

محمود المصري أبو عمار

مسلك الختام

نحن
نقص
عليك
أحسن
القصص

روائع القصص
في حسن الخاتمة

مكتبة الصف

مفتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

منتدى اقرأ الثقافي

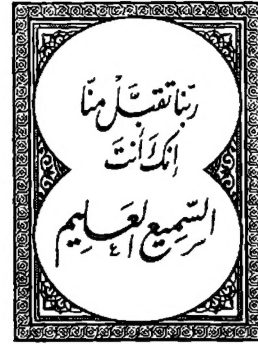
www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠٠٨١



مكتبة الصفا

دار الكتب والوثائق

تليفون: ٢٢٩٩٩٥٦٦

مكتبة

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠

١٠١٤٣١١١٤ / ٢٥١٤٧٩٧٤: خلف الجامع الأزهر ت:

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

المصري ، محمود .

مسك الختام / محمود المصري -

القاهرة : مكتبة الصفا ، ٢٠٠٨ .

٤١٦ ص ٢٤٩ سم

١- الوعظ والارشاد .

٢- الإسلام - تراجم .

أ- العنوان

مسائل الختام

الشيخ
مكي بن أبي بكر
أبو عمار

مكتبة الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فما زال فضل الله العظيم الكريم يتوالى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد منَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان في جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً، أو مفرقاً على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتي عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتي قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتاباً وسنة، قولاً وفعلاً، نصاً وفهماً وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطأ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم، وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً وشرحاً وبياناً.

وأيضاً وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال . والتي قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل -
 في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، في صور شتى ما بين المطول والمختصر ،
 رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم .
 ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو
 كتاب «مسك الختام» ، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتي نرجو من الله -
 عز وجل - أن يتقبلها منا قبولاً حسناً وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين .
 إنه نعم المولى ونعم النصير .
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين .

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائماً أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل؛ فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبداً؛ . . . وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «من لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله»^(١).

وفى مقدمة هؤلاء الناس جميعاً أقدم هذا الإهداء.

*** إلى أمي الحبيبة - رحمة الله عليها -:**

وكيف أنساكِ يا أمي الحبيبة، يا من ضحيت من أجلى بكل شيء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان؟! والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب؛ ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة، وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة، وأن يجعل أعمالى كلها فى ميزان حسناتك، وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.

*** إلى أبى الحبيب - حفظه الله:**

أسأل الله تعالى أن يُعجِّلَ لك بالشفاء وأن يبارك فى عمرك، وأن يرزقنى وإياك وسائر المسلمين حُسن الخاتمة. . . فجزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نعم الأب الرحيم.

*** إلى زوجتى الغالية / أم عمار:**

جعل الله أيامك عامرة بالعطاء لدينك. . عامرة بالسعادة. . عامرة بالإخلاص. . وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، من حديث أبى سعيد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

* إلى أبنائى الأعزاء (عمار، وهاجر، وسارة، وحبيبة حفظهم الله ورعاهم)؛

أسأل الله جل وعلا أن يحفظكم وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين، وأن يستخدمكم لنصرة دينه وأن يجعلكم فى ميزان حسناتى، وأن يجمعنى بكم فى جنته ومستقر رحمته.

* إلى إخوانى الكبار الذين أحببتهم فى الله؛

* إلى دولة الرئيس محمد نجيب ميقاتى الذى يبذل وقته وماله لخدمة إخواننا المسلمين فى لبنان (حفظه الله).

* إلى الدكتور عبد الإله ميقاتى الذى يبذل وقته وجهده لخدمة الدعوة فى لبنان (حفظه الله).

* إلى سعادة المستشار إبراهيم محمد بوملحه رئيس اللجنة المنظمة لجائزة دى الدولية للقرآن الكريم (حفظه الله).

* إلى الأستاذ الفاضل عارف عبد الكريم جلفار عضو اللجنة المنظمة لجائزة دى الدولية للقرآن الكريم ورئيس وحدة البرامج للأنشطة (حفظه الله).
أقول لكم جميعاً: إن الإخوة الصادقة عُملة نادرة فى هذا الزمان، فما أجمل أن تلتقى القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة فى الله - جل وعلا -.

فأسأل الله أن يجمعنى وإياكم مع المتحابين فى الله، فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

* إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة؛

والله ما نسيت الدعاء لكم فى صلاتى - وأنا ساجد بين يدى الله - فلا تنسونى من دعوة صالحة، بأن يغفر الله لى ذنوبى، وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنى حسن الخاتمة، وأن يجمعنى بكم فى جنته إخواناً على سررٍ متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

* أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإنه ما من عبد مؤمن إلا وهو يتمنى السعادة في الدنيا والآخرة ومع ذلك فلقد انقسم الناس إلى فريقين:

فمنهم من اعتمد على سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته فاسترسل في الذنوب والمعاصي فخسر ديناه وآخرته.

ومنهم من علم أنه لا بد أن يأخذ بالأسباب وأن يغتنم كل لحظة في طاعة الله (جل وعلا) لأن سلعة الله غالية.. ولأن النبي ﷺ قال: «من خاف

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»^(١) ففاز بخيرى الدنيا والآخرة.

* ومن أجل ذلك أمرنا الحق (جل وعلا) بالثبات على الإيمان والتقوى لنفوز بحسن الخاتمة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٣).

وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بأنهم جمَعُوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان فى العمل فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٤).

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفاً شديداً. قال سهل التستري: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾^(٥). وكان على بن أبى طالب يشتد خوفه من اثنتين: «طول الأمل، واتباع الهوى» قال: فأما طول الأمل: فيُنسى الآخرة، وأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق. وكان يقول: «ألا إن الدنيا قد ولّت مدبرة، والآخرة قد أسرعَت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل؟؟»

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، والحاكم فى المستدرک (٧٨٥١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩٩).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات: (٥٧ - ٦١).

(٥) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

* ومن باب قول النبي ﷺ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» جمعت مادة هذا الكتاب والذي هو بعنوان «مسك الختام» وهو نفس عنوان البرنامج الذي قدمته في شهر رمضان ١٤٢٩هـ على قناة الرسالة وذلك لألقى الضوء على أسعد لحظة في حياة كل مسلم ومسلمة.. وهي تلك اللحظة التي يفوز فيها بحسن الخاتمة وذلك من أجل أن تعلو الهمم للطاعة ولنشاق جميعاً للقاء الله (جل وعلا) فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

* ولقد جمعت الكثير من القصص عن حسن الخاتمة لتذكر جميعاً وعد الله (عز وجل) حينما قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) فيكون ذلك حادياً لنا لنعمل ونستعد لتلك اللحظة الحاسمة في حياة كل عبدٍ مسلم.

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا جميعاً حسن الخاتمة وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه وأن يجعلنا مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين... إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

علامات حُسن الخاتمة

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز»^(١): «إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يُستدل بها على حُسن الخاتمة، كتبها الله تعالى لنا بفضله ومَنِّه، فأَيُّما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

• الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت؛

قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢).

* وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: «رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال: مالك يا أبا فلان؟ لعلك ساءت امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا (وأثنى على أبي بكر) إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات... سمعته يقول: ﷺ إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَسَ الله عنه كربته، فقال عمر: إني لأعلم ما هي: قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت، هي والله هي»^(٣).

• الثانية: الموت برشح الجبين؛

لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: أنه كان بخراسان فعاد أخاً له وهو مريض فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه فقال: الله أكبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «موت المؤمن بعرق الجبين...»^(٤).

(١) سنذكر كلام الشيخ مختصراً وسنزيد عليه بإذن الله.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٣) رواه أحمد (١٣٨٧)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

(٤) صحيح: رواه النسائي (١٨٢٨) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٤٥٢) كتاب الجنائز، وأحمد (٢٢٥١٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه.

• الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

لقوله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة - أو ليلة الجمعة - إلا وقاه الله فتنة القبر...»^(١).

• الرابعة: الاستشهاد في ساحة القتال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفرُ له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلى حلة الإيمان، ويُزوّج أثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجَار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الباقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته»^(٣).

✕ * وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»^(٤).

* قال الشيخ الألباني (رحمه الله):

✕ (تنبيه): تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة، بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٥).

(١) حسن: رواه الترمذی (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٧٣).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٦٩ - ١٧١).

(٣) صحيح: رواه الترمذی (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (١٦٧٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩)، كتاب الإمامة.

• الخامسة والسادسة والسابعة: من صُرِعَ عن دابته في سبيل الله ومن وقصه بغيره ومن لدغته هامة وهو في سبيل الله:

* عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابْتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(١).

* عن أبي مالك الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ، أَوْ قُتِلَ، أَوْ وَقَصَّتْهُ فَرْسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ، أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَةٌ، أَوْ مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ، بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ، وَإِنْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

* قال المناوى في «فيض القدير» (١٦٣/٦):

+ و«مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابْتِهِ» فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ «فَهُوَ شَهِيدٌ» أَيْ: مَنْ شَهِدَ الْمَعْرَكَةَ إِنْ كَانَ سَقُوطُهُ بِسَبَبِ الْقِتَالِ، وَعَلَى ذَلِكَ تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ (بَابُ فَضْلِ مَنْ صُرِعَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ فَهُوَ مِنْهُمْ)، أَيْ: مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، فَلَمَّا كَانَ الْحَدِيثُ لَيْسَ عَلَى شَرْطِهِ، أَشَارَ إِلَيْهِ بِالترجمة، وَفِي الْبَابِ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالْحَاكِمُ، وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ مَرْفُوعًا. «وَالصَّرْعُ»، كَمَا فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ: الطَّرْحُ عَلَى الْأَرْضِ، وَعِلَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَالْمُرَادُ: بِالْحَدِيثِ السَّقُوطُ عَنِ الدَّابَّةِ حَالِ قِتَالِ الْكُفَّارِ بِسَبَبِ أَيْ وَجْهِ كَانَ؛ إِمَّا بِطَرَحِ الدَّابَّةِ لَهُ، أَوْ بِعَرُوضِ تِلْكَ الْعِلَّةِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَرُوضًا نَاشِئًا عَنِ الْقِتَالِ، كَأَن أَوْرَثَهُ شِدَّةُ الْإِنْفِعَالِ.

• الثامنة: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ:

قال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ»^(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقِتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، صَادِقًا مِنْ

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (٣٢٣/١٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٣٦).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٤٩٩) والحاكم في المستدرک (٣٤٥/٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمامة.

قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»^(١).

• التاسعة والعاشرة: المائد في البحر والغريق:

المائد: هو الذى يموت بسبب دوار البحر فله أجر شهيد.

* عن أم حرام رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «للمائد أجر شهيد، وللغريق أجر شهيدين»^(٢).

✓ * وعن أم حرام رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «المائد في البحر الذى يصبه القىء له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيدين»^(٣).

• الحادية عشر: من افتترسه السبع:

* عن ابن قانع، عن ربيع الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطعن والطاعون والهدم، وأكل السبع، والغرق، والحرق، والبطن، وذات الجنب، شهادة»^(٤).

• الثانية عشر: الشريق:

قال ابن الأثير فى «النهاية»: هو الذى يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر فى «الفتح» (٥٢/٦): «وللطبرانى من حديث ابن عباس مرفوعاً: «المرء يموت على فراشه فى سبيل الله شهيد». وقال ذلك أيضاً فى المبطلون واللدغ والغريق والشريق والذى يفتترسه السبع، والخار عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

• الثالثة عشر: القابض على دينه فى وقت الفتن:

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم زمان

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٦٥٤) كتاب فضائل الجهاد، وأحمد (٢١٦٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٧).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٣٣/٢٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٨٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٤٢).

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبرانى فى الكبير (٦٨/٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٩٥).

صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»^(١).

* وعن عتبة بن غزوان، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه، أجر خمسين منكم». قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: «بل منكم»^(٢).

• الرابعة عشر: من تردى من رؤوس الجبال:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن من يتردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق في البحار لشهيد عند الله»^(٣).

* قلت: وذلك لمن مات على التوحيد، أما من مات على الشرك فلا يكون شهيداً ولا يرزقه الله نعمة الشهادة.

• الخامسة عشر: المربط في سبيل الله:

* لقوله ﷺ: «لرباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجرى عليه رزقه، وأمن الفتان»^(٤).

* ولقوله ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مربطاً في سبيل الله فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر»^(٥).

• السادسة عشر: من قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن

المنكر فقتله:

قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٢) صحيح: رواه الطبراني (١١٧/١٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله بشواهد في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»، كتاب الجهاد، باب في الشهادة (٢٦٩/٥)، موقوفاً بإسناد صحيح، والطبراني في الكبير (٣٤٥/٩).

قال الحافظ في «الفتح» (٥٢/٦): إسناده صحيح، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه».

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، والترمذي (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

إلى إمام جائر، فأمره ونهاه. فقتله»^(١). ص ١٧٨

• السابعة عشر: الموت على عمل صالح:

قال عليه السلام: «من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة»^(٢).

وقال عليه السلام: «... ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة»^(٣).

وقال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه»^(٤).

• الثامنة عشر: الموت بالطاعون:

قال عليه السلام: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(٥).

* وعن عائشة أنها سألت رسول الله عليه السلام عن الطاعون؟ فأخبرها نبي الله عليه السلام: «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد»^(٦).

• التاسعة عشر: الموت بالهدم:

قال عليه السلام: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»^(٧).

-
- (١) حسن: رواه الحاكم في المستدرک (٣١٢/٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٦٧٥).
 (٢) صحيح: رواه البزار (٣٤٨/٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٢٤).
 (٣) صحيح: رواه أحمد (٢٢٨١٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥).
 (٤) صحيح: رواه الترمذی (٢١٤٢) كتاب القدر، وأحمد (١١٨٠٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥).
 (٥) متفق عليه: رواه البخاری (٢٨٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٦) كتاب الإمارة.
 (٦) صحيح: رواه البخاری (٥٧٣٤، ٦٦١٩) كتاب الطب، كتاب القدر.
 (٧) متفق عليه: رواه البخاری (٦٥٤) كتاب الأذان، ومسلم (١٩١٤) كتاب الإمارة.

• العشرون: الموت بداء البطن:

* لقول رسول الله ﷺ: «... ومن مات في البطن فهو شهيد»^(١).

* وعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالساً وسليمان بن صرد وخالد بن عرفة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه فلن يُعذب في قبره»^(٢).

فقال الآخر: بلى، وفي رواية: «صدقت».

• الحادية والعشرون: المرأة تموت في نفاستها بسبب ولدها:

* عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه فقال: «أندري من شهداء أمتي؟»، قالوا: قتل المسلم شهادة قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة (يجرها ولدها بسرره إلى الجنة)»^(٣).

• الثانية والعشرون والثالثة والعشرون: الموت بالحرق وذات

الجنب:

قال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والفرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد،

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب «الإمارة».

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذي (١٠٦٤) كتاب الجنائز، والنسائي (٢٠٥٢) كتاب الجنائز، وأحمد (١٧٨٤٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن يسار - وهو الجهني - فقد روى له أبو داود والنسائي وهو ثقة.

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد (١٧٣٤١)، والدارمي (٢٤١٤)، وصحح إسناده العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز.

والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع^(١) شهيدة^(٢).

• الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون: الموت

فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس والأهل:

لقوله ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد»^(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: «من قُتل دون مظلّمته فهو شهيد»^(٤).

• السابعة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد خصبه:

قال ﷺ: «من قُتل دون ماله»^(٥)، وفى رواية: «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد»^(٦).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك». قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلنى، قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلتني؟ قال: «هو فى النار»^(٧).

(١) هو ورم حار يعرض فى الغشاء المستبطن للأضلاع: أى تموت وفى بطنها ولد، وقيل التى تموت بكرًا، والجمع بالضم بمعنى المجموع، كذخر بمعنى المذخور، وكسر الكسائى الجيم، والمعنى أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكرة. قلت: والمراد هنا الحمل قطعًا بدليل الحديث المتقدم بلفظ «يقتلها ولدها جمعاء».

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١١١) كتاب الجنائز، والنسائى (١٨٤٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٣٣٢٤١)، ومالك (٥٥٢) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٣٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٤٢١) كتاب الديات، والنسائى (٤٠٩٥) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٤) صحيح: رواه النسائى (٤٠٩٣) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٧٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٤٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٠) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٧١) كتاب السنة، والترمذى (١٤٢٠) كتاب الديات، والنسائى (٤٠٨٨) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١١).

(٧) صحيح: رواه مسلم (١٤٠) كتاب الإيمان.

✧ وعن مخارق رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «ذكره بالله»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «فاستعن عليه من حولك من المسلمين». قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: «فاستعن عليه السلطان». قال: فإن نأى السلطان عني (وعجل على؟) قال: «قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك»^(١) - أي: تحمي مالك -.

• الثامنة والعشرون: الموت غازیاً فی سبیل الله:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الشهيد فيكم؟»، قالوا: يا رسول الله! من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذا قليل»، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، والغريق شهيد...»^(٢).

• التاسعة والعشرون: الموت بداء السل:

قال صلى الله عليه وسلم: «القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة»^(٣).

• الثلاثون: الموت بالمدينة المنورة:

✧ عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»^(٤).

✧ فاللهم ارزقنا شهادةً في سبيلك، وأن تُدفن في بلد حبيبك صلى الله عليه وسلم.

(١) إسناده صحيح: رواه النسائي (٤٠٨١) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٢٠٠٨)، وقال العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز: سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمامة.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٣١٧/٢) رواه الطبراني في الكبير، وفيه مندل بن علي، وفيه كلام كثير، وقد وثق، وقال الألباني: ويشهد له حديث راشد بن حيش.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٩١٧) كتاب المناقب، وأحمد (٥٤١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠١٥).

أسباب حسن الخاتمة

(١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

إن أمر العقيدة ليس أمراً ثانوياً حتى نؤجله أو نؤخره، بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله... فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قوم شريعتهم حتى تصح عقيدتهم.

قال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(١).

وفى حديث عتبان بن مالك «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»^(٢).

وقوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» قال الحافظ: معنى قوله: «على ما كان من العمل» أى من صلاح أو فساد؛ لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات.

* قال ﷺ: «المسلم إذا سُئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»^(٣)»^(٤).

فيا عبد الله! أقم التوحيد لله فى قلبك فإنك سوف تجنى ثمراته فى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٢٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣) المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٩٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٧١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

حياتك وعند موتك وفي قبرك ويوم حشرك وسيقودك التوحيد لله جل وعلا إلى جنات النعيم وإلى رضوان الله (سبحانه وتعالى).

✓ (٢) التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

✓ فالتقوى من أعظم الأسباب التي تقود المؤمن إلى حسن الخاتمة.

فهى سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

✓ وهى سبب لقبول الأعمال.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

✓ وهى سبب للخروج من كل ضيق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٥) ويرزقه من حيث لا يحتسب^(٥)، ولا شك أن العبد عند السكرات يكون فى ضيق وشدة فتكون التقوى سبباً لنجاته.

✓ والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٦).

والتقوى سبب للنجاة من المهالك.. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٧) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا^(٧).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٢٧).

(٥) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

(٦) سورة الطلاق: الآية: (٤).

(٧) سورة مريم: الآيتان: (٧١، ٧٢).

وهي سبب لدخول الجنة.. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (١).

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (٢): (وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه). اهـ.

وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله» (٣).

* وجاء سائل لأبي هريرة رضي الله عنه يسأله عن التقوى فقال أبو هريرة: «هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال السائل: نعم، قال أبو هريرة: فكيف صنعت؟ قال السائل: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال أبو هريرة: ذاك التقوى.

فأخذ ابن المعتز هذا المعنى الكبير وترجمه في هذه الأبيات المعبرة فقال: هـ
خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كما شئت فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

* وحدّ التقوى الذي حده عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: «أن يطاع الله - سبحانه وتعالى - فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر» (٤).

هَيْبَةُ رَبِّكَ تَقْوَاهُ كَيْفَ تَقْوَاهُ كَيْفَ تَقْوَاهُ

(١) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٩٨/١) ط. دار الرسالة. سه ر ما به ده قبيحه بآ نكالا.

(٣) «الزهد» لابن المبارك (ص: ٤٧٣).

(٤) رواه الحاكم في المستدرک موقوفاً.

(٣) الاستقامة:

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (١).

✓ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

* وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! قل لى فى الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «قل: آمنتُ بالله ثم استقم» (٣).

فلاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

ولقد سئل صديق الأمة وأعظمها استقامة - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً. فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ وروغان الثعالب.

✓ وقال ابن تيمية (رحمه الله): أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

وقال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

فلاستقامة تتعلّق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فلاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية: (١٣، ١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

* قال أبو إسحاق السبيعي: «لما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا عليّ، فإنني لم أتنظّف بخطيئة منذ أسلمت». سبحي لله درّه، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة، وحياته كلّها طاعة. «كان يصلّي في الصيف نصف النهار حتى تكرر الصلاة، ثم يصلّي من الظهر إلى العصر».

• وهيب بن الورد (رحمه الله):

كان سفيان الثوريّ إذا حدث الناس في المسجد الحرام وفرغ من الحديث، قال: قوموا إلى الطبيب؛ يعني: وهيباً^(١).

قال وهيب رحمه الله: إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحدٌ، فافعل. هَبْكَ رَهْ كَيْسَانَ مَهْ شَخْلَانَ دَهْ كَمَا دَهْ خَوَا جَوْنَكَ فَوْنَكَ مَسْنِيَهُ بَلَّ بِسْمِ اللَّهِ

وعن محمد بن يزيد قال: حلف وهيب أن لا يراه الله ولا أحدٌ من خلقه ضاحكاً، حتى يأتيه الرسل من قبل الله عند الموت فيخبرونه بمنزله عند الله. قال: وكانوا يرون له الرؤيا أنه من أهل الجنة، فإذا أُخبر بها اشتدَّ بكاءؤه، وقال: قد حسبتُ أن يكون هذا من الشيطان. نَهْ دَهْ بَلَّ جَوْنَكَ فَوْنَكَ مَسْنِيَهُ بَلَّ بِسْمِ اللَّهِ عن عبد الله بن المبارك قال: قيل لو هيب بن الورد: أيجدُ طعم العبادة من يعصى الله؟ قال: لا، ولا من هم بمعصية.

وقال رحمه الله: لا يكون همُّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همُّ في إحكامه وتحسينه؛ فإن العبد قد يصلّي وهو يعصى الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصى الله في صيامه.

• أبو الطيب الطبري (رحمه الله):

اشتهر اسمه، فملاً الأقطار. وشاع ذكره، فكان أكثر حديث السَّمَار. وطاب ثناؤه، فكان أحسن من مسك الليل وكافور النهار.

«قال القاضي أبو بكر الشامي: قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا - وقد عُمر -: لقد مُتَّعَ بجوارحك. فقال: لَمْ لَا، والله ما عصيتُ الله بواحدة منها قط» (١).

١ * وقال ابن دقيق العيد (رحمه الله): ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً منذ أربعين سنة إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله (عز وجل).
 ٢ * وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): إني إلى الآن أجدُّ إسلامي كل وقت. نه خوايه ياره كه نه ويا كه كرد د خوي و ام كرد نه مروت و مروت هم ده ما
 ٣ - وهكذا تكون الاستقامة على الطاعة.. فأهل الاستقامة هم الذين تنزل عليهم الملائكة عند الموت لتبشرهم بجنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(٤) الإكثار من ذكر الموت:

١ فالإكثار من ذكر الموت يردع عن المعاصي ويُلين القلب القاسي. ومن أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة.

٢ ومما يؤثر في النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد. نه وانه م گيروده م زينا بودن با نه و نه و قيفه بئسيه سينا

٣ دخل الحسن البصري على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم

وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هاذم اللذات: الموت»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سئل: أي المؤمنين أكيس، قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدّهم استعداداً له أولئك هم الأكياس»^(٢).

وقال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحاً، وما ألزم عبد قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذكرون الموت والقيامة ثم يكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة. قال ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(٣).

* أخى الحبيب: إن المؤمن يذكر الموت دائماً؛ لأنه موعد لقاء الحبيب وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه (جل وعلا)، ولذا تراه يشتاقي إلى الموت ليخرج من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين.. ولذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه عند موته: حبيبٌ جاء على فاقة.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد والنسائى (١٨٢٤). كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) والحاكم (١٣٥/٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٣٨٤) بمجموع طرقه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

فذكر الموت يجعل العبد دائماً في طاعة الله، ومن ثم يقوده إلى حُسْن الخاتمة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاطت بهم وقد جاء الله وقد نُصِبَ كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووُضِعَ الكتاب وجيء بالنبیین والشهداء، وقد نُصِبَ الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كُثْبٍ وكثر العطاش وقَلَّ الوارد ونُصِبَ الجسر للعبور ولُزَّ الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضاً تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها).

(٥) الصدق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).
قال ﷺ: «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٢)، وتالله إن تلك المنزلة لا يوفق إليها إلا من أراد الله به خيراً في دينه ودنياه، وإلا لمن علم الله أنه سيموت على الإيمان والصدق.
وهذا مثل قول النبي ﷺ في أهل بدر: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(٣). وبالفعل فقد ماتوا جميعاً على التوحيد.

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٩٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

✓ * عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «أهو هو»، قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقته».

ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فضلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك»^(١).

✓ * يقول «أنس بن مالك» غاب عمي «أنس بن النضر» عن قتال يوم بدر. فقال غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعني: المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المسلمين - ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أى سعد، والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد: يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة

(١) صحيح: رواه النسائي (١٩٥٣) والحاكم (٣٥٩/٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٣٦).

برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته بينانه - رؤوس الأصابع - قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا...﴾ نزلت فيه وفي أصحابه^(١).

وفي رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبي ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثير من أصحاب النبي فتوقف منهم من توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكيناً ومر بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركين - ثم تقدم فلقية سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهماً لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة بينانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم^(٢).

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه يقوده صدقه إلى تلك الخاتمة السعيدة فيجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

* بل قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٣).

وهكذا فإن العبد إذا صدق مع الله فإن الله يحفظ عليه إيمانه ويثبت قلبه على التوحيد ويرزقه حسن الخاتمة.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠ / ٨٥) وأسباب النزول للواحدي (١٣٧)، والحديث متفق عليه عن أنس، أخرجه البخاري برقم (٤٠٤٧)، ورواه مسلم، باب في قوله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، كتاب الجهاد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٠٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمامة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمامة.

(٦) حسن الظن بالله (جل وعلا):

وهذا من أعظم أسباب حسن الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»^(١).

* وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»^(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»^(٣).

* وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال له: «كيف تجدك؟»، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف»^(٤).

والرجاء عند الموت أفضل؛ لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر فينبغي أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتي حينئذ بسخط العبد على الله فيما يجري عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت: يا بني! حدثني بالرخص، لعلني ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به»^(٥).

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٢٦/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله صحيح الجامع (١٩٠٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٥٠٤) كتاب التوحيد.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٥١).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٧٨) ط. دار ابن رجب.

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنما العالم الذي لا يقط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله».

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر».

- وروى أن منجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فلم يُضِفْه وقال: إن أسلمت أضفك فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم منذ تسعين سنة أطعمه على كفره. فسعى إبراهيم عليه السلام خلفه فردّه وأخبره في الحال فتعجب من لطف الله تعالى فأسلم^(١).

فهذه الأشياء والأخبار هي التي تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئاً من ذلك إلا قليلاً لئلا يغتروا بحلم الله فيجتروا على محارم الله.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»^(٢).

بل هذا رجل من بني إسرائيل يقص النبي صلّى الله عليه وآله قصته فيقول: «إن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت - فاحترقت - فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً فاذروها في اليم.. ففعلوا ما أمرهم فجمعه الله وقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر له»^(٣).

(١) ذكرها الغزالي في الإحياء (١٥٣/٤، ١٥٤) بصيغة التضعيف قيل. ولم يذكر لها سنداً ولا أصلاً.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٤٦٩) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٤٧٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٥٦) كتاب التوبة.

وفى رواية: «فجمعه الله فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُخرجُ من النار أربعة يُعرضون على الله عز وجل فيأمرُ بهم إلى النار فيلتفتُ أحدهم فيقول: أى ربِّ قد كنتُ أرجو إن أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها فيقول: فلا نعيدك فيها»^(٢).

- فيا أخى المسلم أحسنِ الظن بالله ولا تموتنِ إلا وأنت تحسن الظن بالله فهو حبيبك وهو راحمك وهو ربك وهو رازقك.

فلا ترجُ غيره ولا تطمع فى رحمة من سواه والجاُ إليه وتب إليه فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الأوابين^(٣).

- والجاُ إليه سبحانه وتعالى وقل بلسان الحال والمقال:

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا

وقمت أشكو إلى مولاي ما أجدُ

فقلت يا أملى فى كل نائبة

ومن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها

ما لى على حملها صبرٌ ولا جلدُ

وقد مددت يدى بالذل مبتهالاً

إليك يا خير من مُدَّت إليه يدُ

فلا تردّنها يا رب خائبةً

فبحر جودك يروى كل من يردُ

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٥٧) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان، وأحمد (١٢٩٠٠) واللفظ له.

(٣) «رحلة مع الصادقين» للمصنف (ص: ١٤١).

(٧) التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).
 وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ
 عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

فعن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ
 قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على راهب فأتاه،
 فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّلَ به
 مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة
 نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى
 أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى
 أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت
 فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه
 إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فاتاهم ملكٌ في صورة
 آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو
 له... فقاوسه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

قال قتادة: فقال الحسن: ذكِّرنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدوره.

وفي رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقاربي، وأوحى إلى هذه: أن تباعدى.

وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»^(٣).

(فسبحان الله) يُسَخِّرُ الله عز وجل الأرض كلها بجمالها وأنهارها وكل ما

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

عليها لكي تتحرك من أجل تائب واحد فكيف لو تاب المسلمون جميعاً؟!!!
وقال عليه السلام: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١).

وقال عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٢).

فمن تاب ومات على تلك التوبة فقد رزقه الله حسن الخاتمة؛ لأنه يُبعث تائباً يوم القيامة من كل الذنوب.. كما قال عليه السلام: «من مات على شيء بعثه الله عليه»^(٤).

* * *

• وأما عن شروط التوبة فهي ستة:

- ١ - الإقلاع عن الذنوب.
- ٢ - الندم على فعل تلك الذنوب.
- ٣ - العزم على أن لا يعود إليها أبداً.
- ٤ - الإخلاص في التوبة.
- ٥ - التحلل من المظالم.. لقوله عليه السلام: «من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»^(٥).
- ٦ - التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها: قال عليه السلام: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٦).

(١) لم يغرغر: أى لم تبلغ روحه الحلقوم.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، وأحمد

(٦١٢٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٣٩٦٤)، والحاكم (٣٣٧/٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى

السلسلة الصحيحة (٢٨٣).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١).

٨ الدعاء:

وذلك بأن تتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء وتبكي وتتذلل بين يديه سبحانه بأن يثبت قلبك على الإيمان وأن يرزقك حسن الخاتمة.
فها هو حبيبك ﷺ كان لا يفتر لسانه عن هذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢).

وها هو الحق (جل جلاله) يعلمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٣).

فاعلم أخي الحبيب أنه لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه فالجأ إلى الله في كل وقت وارفع أكف الضراعة إلى الملك قائلًا: اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين.

فتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء في ثلث الليل الأخير أن يرزقك حسن الخاتمة وأن يكرمك بصحبة النبي ﷺ في الجنة، وأن لا يحرمك من نعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

٩ قصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) كتاب القدر، وأحمد (١١٦٩٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه

الله في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٨).

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١﴾ .

وقال عليه السلام: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً» (٢)
لقدوة أو روعة خير من الدنيا ما فيها
لو كانت الدنيا تزيح عند الله جناح بعوضة ما سقى عبثها كافرًا شربة
فالمؤمن يعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأنه
سينسى كل شقاء بغمسة واحدة في جنة الرحمن (جل وعلا)، ولذلك فهو
لا يتعلق قلبه بأى شيء من حطام الدنيا، بل يمسى ويصبح وهو مشغول
بالعمل لهذا الدين ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقيناً أنه لا
راحة إلا في جنة العزيز الغفار.

واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان؛

أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

أما حب الدنيا: فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها،
ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذى هو سبب
مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى
الباطلة، فيمنى نفسه أبداً بما يوافق مراده من البقاء فى الدنيا. وأصل هذه
الأمانى كلها، حب الدنيا والأنس بها، والغفلة عن قول النبى ﷺ:
«أحجب ما شئت فإنك مفارقه» (٣).

السبب الثانى: الجهل: وهو أن الإنسان يُعوّل على شبابه، ويستبعد قرب
الموت مع الشباب.

* والناس متفاوتون فى طول الأمل متفاوتاً كثيراً، منهم من يأمل البقاء إلى

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة
الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٣٥٢/٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٩/٧)، وحسنه العلامة الألبانى
رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣).

زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل.
وعن إبراهيم بن سبط قال: قال لى أبو زرعة: لأقولن لك قولاً ما قلته
لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتني نفسى أن
أرجع إليه.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه فى «صحيح البخارى»
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما»^(١)
كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل
خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك
قبل شغلك وحياتك قبل موتك»^(٣).

وقال عمر رضي الله عنه: التؤدة فى كل شىء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.
وكان الحسن يقول: عجباً لقوم أمروا بالزاد، ونودى فيهم بالرحيل،
وحُبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون.

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن، فكان ابن عمر يقوم فى الليل
فيتوضأ ويصلى، ثم يُغفى إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يغفى
إغفاء الطير، ثم يقوم يصلى، يفعل ذلك مراراً... وكان عمير بن هانىء
يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة، وقال أبو بكر بن عياش: ختمت القرآن فى
هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة^(٤).

* فمن انشغل بآخرته عن دنياه كانت همته فى الطاعة عالية... وهذا
من أعظم السبل إلى حسن الخاتمة.

(١) مغبون فيهما: مخدوع وذو خسران فيهما.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣٢٩/٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٦٣/٧)، وصححه العلامة الألبانى
رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٧٢ - ٤٧٥) بتصرف شديد.

(١٠) البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

وأخيراً فإن من أسباب حُسْن الخاتمة: الخوف من سوء الخاتمة والبُعد عن أسبابها «وهي المذكورة بالتفصيل في كتيب آخر من تصنيفي بعنوان: «الخوف من سوء الخاتمة».

أما عن أسباب سوء الخاتمة فهي:

- ١ - فساد المعتقد والانغماس في البدع.
- ٢ - النفاق ومخالفة الباطن للظاهر.
- ٣ - التسويف بالتوبة.
- ٤ - طول الأمل وحب الدنيا.
- ٥ - تعلق القلب بغير الله.
- ٦ - إلف المعاصي والإصرار عليها.
- ٧ - الانتحار واليأس من رحمة الله.
- ٨ - مصاحبة أهل الفساد.
- ٩ - عدم الاستقامة على الطاعة.

موت آدم (عليه السلام)

✓ ها هو نبي الله آدم - عليه السلام - أبو البشر... وها هي خاتمة السعيدة.
 نام آدم - عليه السلام - على فراش الموت لتفيض روحه إلى بارئها (جل وعلا)
 بعدما ترك لذريته دروساً لا تُنسى أبداً وفوائد لا تبلى مع مرور الأيام والأعوام.
 وها هي قصة موته - عليه السلام -:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه، فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: أي رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسى آدم فنسيت ذريته، وخطيء آدم فخطئت ذريته»^(١).

✓ بأبي وأمي صفى الله ونبه آدم... من غسلته الملائكة وألحدوا له.

✓ * عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما تُوفى آدم غسلته الملائكة بالماء وترأ، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده»^(٢).

* وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: (إن آدم عليه السلام، لما حضره الموت، قال

(١) صحيح: رواه الترمذی (٣٠٧٦) كتاب تفسير القرآن، والحاكم (١٦٣/٣)، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٠٨).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «مستدرکه»، والطبرانی في «الأوسط» بإسناد صحيح. وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٠٧).

نبيه: أى بنى، إني أشتهى من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحى، والمكاتل... فقالوا لهم: يا بنى آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون؟ وأين تذهبون؟ قالوا: أبونا مريض، فاشتهدى من ثمار الجنة، قالوا لهم: ارجعوا فقد قضى قضاء أبيكم. فجاؤوا فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عني، فإني إنما أتيت من قبلك، خللى بينى وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى، فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه فى قبره، ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا: يا بنى آدم هذه سُنَّتكم^(١).

✦ * يقص علينا هذا الحديث خبر آيينا آدم عليه السلام، عندما حضرته الوفاة، أنه اشتهدى من ثمار الجنة، وهذا يدل على مدى حب آدم للجنة، وشوقه للعودة إليها، وما له لا يشتاق إليها وقد عاش فيها، ورأى نعيمها، واستمتع به فترة من الزمن.

ولعله إذ اشتهدى ذلك منها قد أحس بدنو أجله، وقد دلت بعض الأحاديث أنه كان يعلم عدد سنوات عمره، وكان يحسب ما مضى منها فيبدو أنه علم أن سنوات عمره قد انقضت، وأن انتقاله إلى الدار الآخرة قد اقترب، ولا شك أن آدم عليه السلام كان يعلم أن بنيه لا طاقة لهم بتلبية طلبه، فأثنى لهم الوصول إلى الجنة، وقطف ثمارها، وهم كانوا يعلمون

(١) روى هذا الحديث عبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائد المستند: (١٣٦/٥). قال ابن كثير بعد سياقه للحديث: «إسناده صحيح إليه». أى: إلى أبى بن كعب «البداية والنهاية» (٩٨/١). وقال الهيثمى فيه: رواه عبد الله بن أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عتي بن ضمرة، وهو ثقة «مجمع الزوائد» (١٩٩/٨).

وهذا الحديث وإن كان موقوفاً على أبى بن كعب، فإن له حكم المرفوع، فإنه مما لا يقال بالرأى.

ذلك، ولكن برهم بأبيهم جعلهم ينطلقون للبحث عن مراده.

وما كادوا يتعدون عن مقام أبيهم حتى قابلهم جمع من الملائكة متمثلين في صورة رجال، ومعهم كل ما يحتاج إليه لتجهيز الميت ودفنه، وهم يمثلون ما عليه المسلمون اليوم عندما يموت لهم ميت، فقد كانوا يحملون معهم أكفانًا وحنوطًا، ويحملون معهم الفؤوس والمساحي والمكاتل اللازمة لحفر القبر.

ولما أخبرهم أبناء آدم بمقصدهم وطلبهم، طلبوا منهم العودة إلى أبيهم، فإن أباهم قضى عمره وانتهى أجله.

ولما جاءت ملائكة الموت آدم عرفتهم حواء، فلاذت بآدم، ويبدو أنها كانت تريد إغراءه بأن يختار الدنيا، فالرسل لا يقبضون حتى يُخبروا، كما أعلمنا رسولنا ﷺ . . . فلم يلتفت إليها آدم عليه السلام، وزجرها قائلاً لها: إليك عني، فإنني إنما أتيت من قبلك، وهو يشير بذلك إلى ما كان منها في إغوائه ليأكل من الشجرة.

قبض الملائكة روح آدم - عليه السلام -، وتولوا تجهيزه، ودفنه، وأبناؤه ينظرون، فقد غسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له قبره، وألحدوا له فيه لحدًا، وصلوا عليه، ودخلوا في قبره، ووضعوه فيه، ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، وحثوا عليه التراب، وقالوا لأبنائه معلمين لهم: يا بني آدم هذه سنتكم، أي: طريقتكم التي اختارها الله لكم في موتاكم.

وبذلك تكون هذه الطريقة شريعة عامة لكل الرسل ولجميع المؤمنين في الأرض على مدار العصور والأزمان، وكل طريقة تخالفها فهي مخالفة لهدى الله بمقدار ما فيها من المخالفة.

ومن يعرف هدى المسلمين في موتاهم الذي علمهم إياه رسولهم ﷺ

يجده موافقًا لما فعلته الملائكة بآدم - عليه السلام -.

وقد خالف هذا الهدى كثير من البشر على مدار التاريخ، فمنهم الذين يحرقون موتاهم، ومنهم الذين يبنون لهم البنايات الفخمة كالأهرامات ويدفنونهم فيها، بعد أن يضعوا عندهم الطعام والشراب والحلى والجواهر، ومنهم الذين يضعونهم فى توايت من الحجر أو الخشب، وكل ذلك يكلف تكاليف باهظة الثمن، ويضع جهودهم فى غير موضعها، وهو قبل ذلك وبعده مخالف للهدى الذى شرعه الله للموتى من بنى آدم^(١).

أهل الجنة يدخلونها على هيئة أبيهم آدم

وإكراماً لآدم - عليه السلام - فإن أهل الجنة يدخلونها على صورة أبيهم آدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام حيث قال: - كما فى الصحيحين -:

«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة: لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة - عود الطيب - أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء»^(٢).

وفى رواية للبخارى ومسلم: «أنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض: قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيّاً»^(٣).

* * *

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٢٦ - ٢٨) د/ عمر سليمان الأشقر (حفظه الله).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١١٢٥) كتاب الهبات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٢٥) كتاب الهبات.

إدريس (عليه السلام)

وها هو نبي الله إدريس - عليه السلام - عانى فى سبيل دعوته، وتحمل الأذى وصبر - كسائر الأنبياء - صلوات ربي وسلامه عليهم - ولذلك أثنى الله عليه فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١)﴾.

* ولهذا كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين . . فقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٢)﴾.

الله يرفعه مكاناً علياً

عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه: إنى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم - لعله من أهل زمانه - فأحب أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال: إن الله أوحى إلى كذا وكذا، فكلّم ملك الموت حتى أزداد عملاً، فحمّله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلّم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: ياللعجب، بُعثت وقيل

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٥ ، ٨٦).

(٢) سورة مريم: الآيات (٥٦ - ٥٨).

لنى اقبض روح إدريس فى السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض؟ فقبض روحه هناك. فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (١).

* وعن مجاهد فى قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إدريس رُفِعَ ولم يمت كما رُفِعَ عيسى . . . إن أراد أنه لم يمت إلى الآن، ففى هذا نظر، وإن أراد أنه رُفِعَ حيًّا إلى السماء ثم قبض هناك. فلا ينافى ما تقدم من كعب الأحبار. . والله أعلم (٢).

النبى ﷺ يقابله فى ليلة المعراج

ففى الصحيحين فى وصف رحلة الإسراء والمعراج أخبر النبى ﷺ أنه قابل إدريس - عليه السلام - فى السماء الرابعة.
قال ﷺ: «فأتينا السماء الرابعة، قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به ولنعم المجيئ جاء، فأتيت على إدريس فسلمتُ عليه فقال: مرحبًا بك من أخ ونبى» (٣).

* * *

(١) إسناده صحيح: والخبر من الإسرائيليات، أخرجه ابن جرير (٧٢/١٦) فى تفسيره.

(٢) خبر صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٤٦٣/٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

وصية نوح (عليه السلام)

روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عمرو رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن نبى الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك وصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت فى كفة ووُضعت لا إله إلا الله فى كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُن حلقة مبهمة ضمنهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإن بها صلات كل شىء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر»^(١).

موت خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)

بعد هذا العمر المبارك الذى بذل فيه إبراهيم - عليه السلام - كل ما يملك لخدمة هذا الدين العظيم. وإذا به ينام على فراش الموت ليلقى ربه - عز وجل - بقلب سليم. قال ابن كثير رحمه الله:

* وقد ماتت سارة قبله بقرية حبرون التى فى أرض كنعان، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب، فحزن عليها إبراهيم - عليه السلام -، ورثاها رحمه الله، واشترى من رجل من بنى حثيث يقال له: عفرون بن صخر مغارة بأربعمئة مثقال، ودفن فيها سارة هنالك ..

* قالوا - يعنى: أهل الكتاب -: ثم مرض إبراهيم عليه السلام، فلما مات، دُفن فى المغارة المذكورة، عند امرأته سارة، وتولى دفنه إسماعيل

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٤٧)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الأدب المفرد.

واسحاق، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين^(١).

* فى كتاب «فتح البارى» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عليه
سلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله؟

فقال الملك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقُبِضَتْ روحه.

موت كلیم الله موسى (عليه السلام)

قال ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى - عليه السلام - عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقا عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدى فقل الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب رب. قال: أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله: والله لو أنى عنده، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»^(٢).

* أخبرنا رسولنا ﷺ أن من كرامة الأنبياء على ربهم أنهم يُخبرون عند موتهم بين البقاء فى الحياة أو الانتقال إلى الرفيق الأعلى، وقد صح فى بعض الأحاديث عن عائشة أن الرسول ﷺ خير، فاختر الرفيق الأعلى.

(١) قصص الأنبياء (ص ٢٢٤ - ٢٢٦) بتصرف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٣٧٢) كتاب الفضائل.

وقد أرسل الله ملك الموت إلى موسى فى صورة رجل، وطلب منه أن يجيب ربه، وكان ذلك إيدائاً بأن أمله قد حضر، وأن ساعته قد دنت، وكان فى موسى - عليه السلام - حدة، فما كان منه إلا أن لطم وجه ملك الموت ففقأ عينه، - أى: عينه البشرية التى تمثل بها -، وإلا فلو كان فى صورته الملائكية لما استطاع موسى لطمه، وما قدر عليه.

ورجع ملك الموت إلى ربه يشكو إليه ما أصابه من موسى - عليه السلام -، فرد عليه الله تلك العين، وأمره أن يعود إلى موسى ويطلب منه أن يضع يده على ظهر ثور، ثم يعد الشعرات التى غطتها يده، فىكون له بكل شعرة من تلك الشعرات سنة، ويكون أمله من السنوات بعدد تلك الشعرات، وبذلك ينال حياة مديدة، ولو فعل موسى ذلك فمن المرجح أن يكون لا زال حياً باقياً إلى اليوم.

ولكن موسى عندما استعلم من ملك الموت عما وراء تلك الحياة المديدة قال له: الموت. فاختره من قريب. فما عند الله لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده خير وأبقى.

* إذا كانت أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر، تسرح فى رياض الجنة تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوى إلى قناديل معلقة فى سقف عرش الرحمن، فإن حياة الرسل والأنبياء فوق ذلك كله، وماذا كان سينال موسى - عليه السلام - لو بقى حياً إلى يومنا، كان سيعانى من مصائب الحياة وبلاياها، وسيعاصر تلك الأحداث الكبار على مر التاريخ التى تشغل الفكر، وتدمى القلب، أو ليس خيراً له أن يكون فى الرفيق الأعلى مع الرسل والأنبياء يتقلب فى جنات النعيم، من أن يبقى فى دار الشقاء والبلاء!! (١).

(١) صحيح القصص النبوى/ الشيخ عمر الأشقر (ص: ٩٨ - ١٠٠) بتصرف.

موت داود (عليه السلام)

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان داودُ النبيُّ فيه غيرَةُ شديدةٌ، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحدٌ حتى يرجع.

قال: فخرج ذات يوم، وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجلٌ قائمٌ وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بـداود.

فجاء داود: فإذا الرجل قائمٌ وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذى لا أهابُ الملوك، ولا يمتنع منى شىءٌ. فقال داود: أنت والله ملك الموت، فمرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه، حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس.

فقال سليمان للطير: أظلى على داود، فأظلت عليه الطير، حتى أظلمت عليهما الأرض. فقال لها سليمان: اقبضى جناحاً جناحاً، قال أبو هريرة يُرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير «وقبض رسول الله ﷺ وغلبت عليه يومئذ المضرحة»^(١).

* هذا الحديث فيه قصة وفاة نبي الله داود، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنه كان يوم وفاته فى كامل صحته، وتمام عافيته، لا كما يزعم الذين دونوا التوراة، ففى سفر الملوك الأول أن داود فى آخر أيامه شاخ، ولزم الفراش، وفقد قواه، فكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ، وأنهم أحضروا له فتاة جميلة كى تضجع فى حضنه ليدفأ، وذكروا وصايا أوصى بها داود ابنه سليمان وهو فى النزاع.

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده: (٤١٩/٢) وقال ابن كثير بعد سياقه له: «انفرد بإخراجه أحمد، وإسناده جيد قوى، رجاله ثقات». البداية والنهاية (١٧/٢).

وقد جاء هذا الحديث مصوباً لخبر وفاة داود الذى ذكروه فى كتابهم، فداود - عليه السلام - لم يمرض قبل وفاته، ولم يكن بحاجة إلى فتاة تدفنه، ولست أدري لِمَ يصرُّ الذين حرفوا التوراة على تلطيخ الأنبياء وتقدير سيرتهم، فسلیمان فى زعمهم ساحر عبد الأصنام، ولوط زنى بابتتيه، وداود لم يدفنه إلا فتاة صغيرة جميلة تضجع فى حضنه فى مرض موته، كأنه لا يوجد عند ملك عظيم مثل داود وسائل تدفئة تدفع عنه البرد الذى أصابه.

إن داود - عليه السلام - لم يشخ، ولم يفقد قواه، ولم يمرض، فقد خرج داود فى ذلك اليوم من داره كما كان يخرج فى كل يوم، وكان فيه غيرة شديدة، ولذا فإن الأبواب تُقفل بعد خروجه، فلا يدخل على أهله بعد خروجه أحد، فلما خرج فى ذلك اليوم أقبلت امرأته تطلع على دارها، وتتفقد أحوالها، فوجدت رجلاً قائماً فى وسط الدار، فعجبت من أمره، وكيفية دخوله، مع أن الدار مغلقة أبوابها بإحكام وسألت أهل منزلها وخدمها عن كيفية دخوله الدار، وخشيت من غضب داود إذا رجع فوجد رجلاً فى داره.

فلم يمض وقت طويل حتى جاء داود والرجل على حاله فى الدار غير هَيَّابٍ ولا وَجِل، وعادة الرجال أن يفزعوا من مقابلة الملوك، ويحذروا من الدخول عليهم فى منازلهم.

وسأل داود ذلك الرجل عن نفسه، فوصف نفسه وصفاً عرفه به داود، فقال: أنا الذى لا أهاب الملوك، ولا أُمْنَع من الحجاب، فعرفه داود بنعته نفسه، وقال: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله، ثم مكث حتى قُبِضت روحه.

وأخبرنا نبينا ﷺ أنه لما غُسِّلَ وكُفِّنَ وُفِرغ من تجهيزه طلعت عليه الشمس، فأمر سليمان الطير أن تظله بأجنحتها، فأظلته وأظلت مشيئته،

فكان لا ينفذ إلى المشيعين شئ من أشعة الشمس، حتى أظلمت الأرض، عند ذلك أمر سليمان الطير أن تقبض جناحاً، وقد أراهم الرسول ﷺ مثلاً بيديه كيف قبضت الطيور بأجنحتها، كما أخبرهم أن الصقور الطويلة جناح، وهى التى سماها الرسول ﷺ بالمضرحية، غلبت غيرها فى تنظليل على داود فى ذلك اليوم^(١).

موت النبى محمد ﷺ

* عن عائشة رضيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبى يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة».

قالت: فلما كان فى مرض النبى ﷺ الذى قبض فيه، أخذته بحة شديدة، فسمعتة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٢) فعلمت أنه قد خير^(٣).

* وعن عائشة رضيها قالت:

«إن رسول الله ﷺ قبض فى بيتى ويومى، وبين سحرى ونحرى^(٤)، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت، دخل على أخى عبد الرحمن، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ إلى صدرى ويده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفت أنه يعجبه ذلك، فقلت: آخذه لك؟ فأوماً برأسه - أى: نعم - فناولته إياه، فأدخله فى فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلت: ألينه لك؟ فأوماً برأسه، - أى: نعم -، فليتنه له، فأمره، وبين يديه ركوة - أو قالت: علبه - فجعل

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ١٤٠، ١٤١).

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٥٨٦) كتاب التفسير.

(٤) السحر: الرثة، والنحر: أعلى الصدر.

يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات».

ثم نصب يده يقول: «الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى» حتى قبض صلوات الله عليه ومالت يده^(١).

* وعن أنس رضي الله عنه: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه^(٢)، فقالت فاطمة - عليها السلام-: واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نعاه. فلما دُفن قالت فاطمة - عليها السلام - : يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!^(٣).

مع الصحابة على فراش الموت

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار. نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ في جنة الرحمن - جل وعلا - إخواناً على سررٍ متقابلين. عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يوماً بارداً فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغازی، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، واللفظ للبخاري.

(٢) أي: يغشاه الثقل شيئاً فشيئاً.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) في «كتاب المغازی» باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه قال: انظروا ماذا زاد فى مالى منذ دخلت فى الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبى كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح^(١) كان يسقى بستاناً له. فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرنى جدى أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً^(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه، دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه فى صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إلى كالعُضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٣).

ثم قال: يا عائشة! إنه ليس أحدٌ من أهلى أحبَّ إلىَّ منك، وقد كنت نحلكت حائطاً، وإن فى نفسى منه شيئاً فردّيه إلى الميراث.

قالت: نعم... فرددته.

وقال رضي الله عنه: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيئ المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن ففعلت، فلما جاء الرسولُ عمرُ بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم

(١) الناضح: هو البعير الذى يُسقى عليه.

(٢) صفة الصفوة (١/١٠٨).

(٣) سورة ق: الآية: (١٩).

الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده^(١).

وقال رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حاطي الذي بمكان كذا فيها، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالاً^(٢).

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في يوم الاثنين، قال: ما شاء إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولا عمامة.

فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مشق فاغسله واجعلي معه ثوبين آخرين.

فقالت عائشة: يا أبت هذا خلقٌ - قديم - فقال: إن الحى أحق بالجدید، وإنما هو للمهلة^(٣). - يعنى: فترة القبر -.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بى الغد، فإن أحب الأيام والليالي إلى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤).

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١٤٦/٣)، (١٤٧)، ورجاله ثقات.

(٢) المنتظم (١٢٧/٤)، عن ابن سعد، ورجاله ثقات.

(٣) رواه ابن سعد فى الطبقات (١٥٠/٣)، ورجاله ثقات.

(٤) رواه الإمام أحمد فى المسند رقم (٤٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وتوفى رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة.. مُجمعٌ على ذلك في روايات كلها، استوفى سن رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر وكُد بعد أنقيل بثلاث سنين ^{رضي}، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك ^(١)، ودُفن جانب رسول الله ﷺ حسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب.

ونزل قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ.

وصيته الغالية لعمر ^{رضي}

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموت، دعا عمر، فقال له: «اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلةً حتى تُؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحقٌ لميزان يوضع فيه الحقُّ غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحقٌ لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردَّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي، فلا يك غائب أحب

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح.

إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تُعجزه»^(١).

كلمة خالدة قالها (على)

بعد موت (الصديق) ﷺ

عن أسيد بن صفوان: قال: لما قبض أبو بكر الصديق ﷺ وسُجِّي عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ.

قال: فجاء على بن أبي طالب ﷺ ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر.. كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحذبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسميًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٢).

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمُنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين

(١) الحلية لأبي نعيم (١/٣٦، ٣٧)، صفة الصفوة (١/١٣٧، ١٣٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣٣).

ارتدوا، فقامت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا.

وكنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله تعالى، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقاتل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم . . شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوى بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت والله سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإننا لله وإنا إليه راجعون رضيانا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً، وحرزاً وكهفاً فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرماً أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت^(١).

وعن عمر رضي الله عنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم ليتنى شعرة في صدر أبي بكر^(٢).

* * *

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/٤٧٧ - ٤٧٩).

(٢) المطالب العالية (٤٢٩٢) والخير في زيادات مسند مسدد ورجاله ثقات.

وفاة الفاروق عمر رضي الله عنه

بعد حياة طويلة مليئة بالكفاح والطاعة والبذل والتضحية أحسَّ فاروق الأمة باقتراب أجله فقام يدعو بهذا الدعاء راجياً من الله أن يحقق له تلك الأمنية الغالية.

قال رضي الله عنه: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»^(١).

وعن سعيد بن المسيب قال: لما صدر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم كَوْمَ كومة من البطحاء، ثم ألقى عليها نفسه فلزق بثوبه، واستلقى، ومد يده إلى السماء فقال: اللهم ضعفت قوتي، وكبرت سني، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضجع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة، فخطب فقال: أيها الناس: إني قد سننت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على واضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ..

قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة، حتى قُتل عمر^(٢).
بل إنه رأى رؤيا بتلك الشهادة.

فعن معدان بن أبي طلحة العمرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام على المنبر يوم الجمعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر النبي صلی الله علیه وسلم وذكر أبا بكر رضي الله عنه ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلى، ورأيت ديكا نقرني نقرتين، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم^(٣).

ولقد بشره الحبيب صلی الله علیه وسلم قبل ذلك بتلك الشهادة.

(١) صحيح: رواه البخاري (١٨٩٠) في كتاب الحج.

(٢) أخرجه الحاكم (٩١/٣)، ومالك (٨٢٤/٢)، وابن أبي الدنيا في مجابوا الدعوة (٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٦٨، ٣٦٢)، مختصراً ورواه مسلم، والحاكم (٩٠/٣، ٩١).

فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صعد أحدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فضربه برجله، وقال: «اثبت أحد، فما عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان»^(١).

ورأى رسول الله ﷺ على عمر ثوبًا غسيلًا فقال: «أجديد ثوبك هذا أم غسيل؟» قال: غسيل يا رسول الله، قال: «البس جديدًا، وعش حميدًا، وتوفَّ شهيدًا، ويعطيك الله قرة عين في الدنيا والآخرة»^(٢).

وفي صحيح البخارى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة؟

قال حذيفة: أنا أحفظ كما قال: قال: هات، إنك لجرىء.

قال: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل فى أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر».

قال: ليست هذه، ولكن التى تموج كموج البحر.

قال: يا أمير المؤمنين! لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا.

قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق^(٣).

قال النووى: يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يُقتل، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل. اهـ.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٥٧) فى كتاب المناقب.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٨/٢)، والطبرانى (٢٨٣/١٢) قال الهيثمى (٧٣/٩): رجالهما رجال الصحيح، ابن ماجه (٣٥٥٨) كتاب اللباس، والنسائى فى الكبرى (٨٥/٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٥٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٥٨٦) كتاب المناقب.

الفوز بالشهادة

وحان الوقت لتحقيق تلك الأمنية الغالية (أن يرزقه الله الشهادة في مدينة رسول الله ﷺ).

فعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال: «... إني لقائم ما بيني، وبينه إلا عبد الله بن عباس^(١) غداة أصيب وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول: قتلني أو أكلني الكلب، حين طعنه^(٢)، فطار العليج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً، ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه - ذبح نفسه - وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف قدمه^(٣)، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحى المسجد

(١) قال الحافظ في الفتح: وفي رواية أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون: شهدت عمر يوم طعن، فما معنى أن أكون في الصف الأول إلا هيئته، وكان رجلاً مهيباً، وكنت في الصف الذي يليه، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخراً ضربه بالدرّة، فذلك الذي معنى منه. اهـ. فتح الباري (٧/٧٧).

(٢) قال الحافظ: روى ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري قال: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صانعاً، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل، فانصرف ساخطاً، فلبث عمر ليالى، فمر به العبد فقال: ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالرياح؟ فالتفت إليه عابساً فقال: لا صنعت لك رحي يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه فقال: توعدني العبد، فتح الباري (٧/٧٨).

(٣) أى: للصلاة بالناس.

فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة.

وفى رواية: فظن عمر أن له ذنباً إلى الناس لا يعلمه، فدعا ابن العباس وكان يحبه ويدنيه.

فقال: أحب أن تعلم عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج لا يمر بملا من الناس إلا وهم يبكون، فكأنما فقدوا أبكار أولادهم، قال ابن عباس: فرأيت البشر في وجهه.

قال: فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس! انظر من قتلنى. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة؟ قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذى لم يجعل ميتى بيد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً. فقال: إن شئت فعلت - أى: إن شئت قتلنا -.

قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلُّوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فانطلقنا معه.

وفى رواية: ثم غلب عمر الزحف حتى غشى عليه، فاحتملته فى رهط حتى أدخلته بيته فلم يزل فى غشيته حتى أسفر فنظر فى وجوهنا، فقال: أصلى الناس؟ فقلت: نعم، قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلى.

قال: وكأن الناس لم تُصيهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنيذ^(١) فشربه فخرج من جوفه، ثم أوتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يشنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين

(١) قال الحافظ فى الفتح: المراد بالنبيذ المذكور تمرات نُبِذت فى ماء، أى نقتت فيه، كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء.

ببشرى الله لك، وصُحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافٌ لا على ولا لى.

فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض، قال: ردُّوا على الغلام. فقال: يا ابن أخى، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك.

وفى رواية: قال ابن عباس: فقلت له: أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته، ووليت أمر المؤمنين ففويت وأديت الأمانة.

فقال: أما تبشرك إياى بالجنة فوالله لو أن لى الدنيا بما فيها، لافتديت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك فى أمر المؤمنين، فوالله لوددت أن ذلك كفافًا لا لى ولا على، وأما ما ذكرت من صحبة نبي الله ﷺ فذلك^(١).

قال الذهبي: قال ابن عمر: كان رأس عمر فى حجرى، فقال: ضع خدى على الأرض فوضعتة فقال: ويل لى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى^(٢).

* * *

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٣٢٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سيرة الخلفاء للذهبي (٩٤)، والخبر فى الطبقات (٢٧٤/٣)، وإسناده صحيح.

صحبة الحبيب ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه فى القبر

وفى اللحظات الأخيرة من حياة الفاروق رضى الله عنه قال لابنه: يا عبد الله بن عمر، انظر ما على من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه.
قال: إن وفى له مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل من بنى عدى ابن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدّهم إلى غيرهم، فأدّ عنى هذا المال.

انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه،... فسلم فاستأذن، ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تبكى. فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى.

فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعونى فأسنده رجلٌ إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.

قال: الحمد لله، ما كان من شىء أهمّ إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت احملونى، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى رُدنى إلى مقابر المسلمين.. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت^(١) عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لها، فسمعنا بكاءها من الداخل، قالت: يا صاحب رسول الله ﷺ يا صهر رسول الله ﷺ، يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: لا صبر لى على ما أسمع، أخرج عليك بما لى عليكم من

(١) أى: دخلت عليه.

الحق أن تنديبني بعد مجلسك هذا، فأما عينيك فلن أملكها.
قال: فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين؛ استخلف.

قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ: فسمى عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن^(١)، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر، فإنني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، الذين تبوءوا الدار والإيمان^(٢) من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى من مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردُّ الإسلام (أي: عون الإسلام الذي يدفع عنه)، وغيظ العدو (أي: يغيظون العدو بكثرتهم وقوتهم)، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم (أي: إلا ما فضل عنهم). وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم (أي: التي ليست بخيار)، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ (أي: أهل الذمة) أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم^(٣).

(١) قال الحافظ في الفتح (٨٤/٧): واقتصر عمر على الستة من العشرة لا إشكال فيه؛ لأنه منهم، وكذلك أبو بكر، ومنهم أبو عبيدة، وقد مات قبل ذلك، أما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري من الأمر، وقد صرح المدائني بأسانيده، أن عمر عد سعيد بن زيد فيمن توفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ، إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقربته منه، وقد صرح بذلك المدائني بأسانيده، قال: «فقال عمر: لا أرب لى فى أموركم فأرغب فيها لأحد من أهلى» اهـ.

(٢) أي: سكنوا المدينة قبل الهجرة.

(٣) صحيح: رواه البخارى رقم (٣٧٠٠) كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه^(١).

وفاة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

* عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكًا له، ودعا بسرًا ويل فشدّها عليه - ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام -، وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فشربه بين يديه فقتل وهو بين يديه^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عثمان، إن الله مقيمك قميصًا، فإن أراذك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني»^(٣).
لله درّه في محنته.. محنة هبطت بها شراسة المتآمرين إلى السفح، وارتفع بها تسامح الخليفة إلى القمة.

لقد سيطر على روع الخليفة واجب - وهو يرى المدّ المتآمر - بدا له - يومئذ - أنه أهم الواجبات وأقدسها؛ ذلكم هو «المحافظة الكاملة على هبة الدولة وسلطانها». فهذه الفتنة المخربة، والتمرد الآبق، يهدفان إلى هدم كيانها ودحر قيمها، واعتصام الدولة بكبريائها وسلطانها، فيصبح واجبها الأول ومسئوليتها المقدسة... لقد وعى خليفتنا عهد رسول الله إليه ببصر ثاقب، وحمل مسئوليته بعزم مجيد.

(١) بتصرف من أئمة الهدى/ للشيخ محمد حسان وعوض الجزار.

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): رواه عبد الله وأبو يعلى في «الكبير» ورجالهما ثقات.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٠٥) كتاب المناقب، وابن ماجه (١١٣) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٤٧).

من شاء أن يُبصر علو الهمة في الاستمساك، في أجل وأروع وأبهى صوره، لا للفوضى، حتى ولو كان فيها قتله: تُواتيه فرصة قتال الثوّار وقتلهم، فيرفضها.

ومع هذا، حين أخرج الثوّار ورقتهم الأخيرة، ورفعوا عقائدهم في جرأة ضاربة: «إما اعتزال عثمان، وإما قتله». في ثبات مُذهل يرفض الخليفة أن يعتزل.

لقد رفض عثمان أن يعتزل؛ لأنه «رجل مسئوليات» من طراز فريد. وهذا الخُلُق كان مخبوءاً تحت ستار تواضعه وحيائه، وما كنا سنراه متألقاً كالشمس في رابعة النهار، إلا في أزمة كهذه. ومحنة كهذه. وموقف كهذا الموقف الزاخر العظيم... أفيرضخ ويُسلم مصاير الإسلام، وكرامة الدولة، لعصابة مفتونة؟ لا، وألف لا.

قال له ابن عمر: «لا تَسُنَّ هذه السنة في الإسلام، ولا تخلع قميصاً ألبسه الله».

منعوه زوّاده، ومنعوه الماء.. الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.

سبحان الله! ما أعلى هذه الهمة... صبر على حقن الدماء ولو سالت دماؤه... وحافظ على هبة الدولة ولو ذُبِح.

حاصروه أربعين يوماً، وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب من سبعمائة وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لى عليه حق أن يكفّ يده، وأن ينطلق إلى منزله. وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حرٌّ.

ولما اشتدَّ حصار الثوّار لداره، قال للصحابة الذين تجمعوا حول داره

يُواجهوا الثُّورَ بالسَّلاحِ: «إِنْ أَعْظَمَكُمْ عَنَى غَنَاءٌ، رَجُلٌ كَفَّ يَدَهُ
وسلاحه!!».

ويقول لأبى هريرة وقد جاء شاهراً سلاحه مُدافعاً عنه: «أما إنك والله
لو قتلت رجلاً واحداً، لكأنما قتلت الناس جميعاً».

ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير، وشباب الصحابة
الذين أخذوا مكانهم لحراسته: «أناشدكم الله وأسألكم به، ألا تُراق بسبى
مِحْجَمَةً دَمٍ».

قال ابن عمر: جاء (على) إلى عثمان يوم الدار، وقد أغلق الباب ومعه
الحسن بن على وعليه سلاحه، فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين،
وأقرئه السلام، وقُلْ له: إنما جئتُ لنُصرتك، فمُرْنِي بأمرِك. فدخل الحسن
ثم خرج، فقال لأبيه: إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول لك: لا
حاجة لى فى قتال وإهراق الدماء.

قال: فنزع (على) عمامةً سوداء فرمى بها بين يدى الباب، وجعل ينادى:
﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (١)(٢).

واستسلم عثمان لأمر الله رجاء موعوده، وشوقاً إلى رسوله ﷺ،
ليكون خيراً ابنى آدم:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

كان عثمان أكثر الناس يقيناً بصدق رؤياه.. سينطلق فى عرسه العظيم
إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ ورحلة الخلود.

(١) سورة يوسف: الآية: (٥٢).

(٢) التبصرة: (٤٣١/١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢٩).

ولما أصابوا كفه قال: «والله إنها لأول يد خطت المفصل وكتبت آي القرآن»..
وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

لقد كان همه ألا تسقط راية الخلافة من يمينه.. وألا يلقي الله - حين يلقاه - وعلى يديه قطرة واحدة من دماء مسلمة.

وحين تمدد جثمانه الطهور، كان كتاب الله لصيقه وصديقه.. ومن أولى بذلك منه؟! وهو الذي وحده، وحفظه وافتداه.

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

يُقطع الليل تسبيحاً وقرآناً (٢)

وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة من قبل، وكان (علي) رضي الله عنه لا ينسى أبداً تلك البشرى العظيمة، فكان علي يقين من أنه سيقتل شهيداً مهما طال عليه العمر.

فعن زيد بن وهب، قال: «قدم عليّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد ابن بعجة، فقال له: اتق الله يا علي فإنك ميت».

فقال له علي رضي الله عنه: «بل مقتول، ضربة علي هذا، يقصد قرنه، تخضب هذه-، يعني لحيته من رأسه - عهد معهود، وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى».

وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى (علي) وهو يصلي في المسجد، فقال: احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدر عليه، فإذا جاء القدر خلياً بينه وبينه، وإن

(١) سورة البقرة: الآية: (١٣٧).

(٢) صلاح الأمة / د. سيد حسين (٦٤/٦ - ٦٦) بتصرف.

الأجل جنة حصينة^(١).

وقال الأصمغ الحنظلي: لما كانت الليلة التي أصيب فيها على - كرم الله وجهه - أناه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع مثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة، فقام على يمشى، وهو يقول:

اشدّد حيازيمك للموت

فإن الموت لا قسيكا

ولا تجزع من الموت

إذا حلّ بواديكا

أما عن قصة قتله ﷺ: فلقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي فتذاكروا أمر الناس وعابوا ولاتهم ثم ذكروا (أهل النهر) فترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرْحنا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها - وضعوا عليها السم - واتعدوا لخمس عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠ هـ) أن يثب كل على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم على المصر - المكان - الذي فيه صاحبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده في كِنْدَة فخرج حتى أتى الكوفة، ولم يخبر من بها من إخوانه شيئاً كراهة أن يظهر، وكان بالكوفة من تيم الرباب عشرة

(١) صفة الصفوة (١/ ١٣٤ - ١٣٥).

وفيهام امرأة يقال لها (قطام ابنة الشجنة) قَتَلَ عَلَى أباه وأخاه يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها أذهلته عما جاء له فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لى. قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد، وقينة (جارية مغنية) وقَتَلَ على بن أبى طالب قال: هو لك مهر، أما على فلم أرك ذكرتيه لى وأنت تريدننى قالت: بل التمس غرته فإن أَصَبْتَ شفيت نفسك ونفسى وتهنأ بالعيش معى وإن قُتِلتَ فما عند الله خير وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك ثم اختارت له مساعداً من قومها واختار هو مساعداً آخر، ولما كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة (٤٠هـ) ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح، فضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهو ينادى: الحكم لله لا لك ولا لأصحابك. ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة^(١).

ولقى الإمام ربه - أخيراً - مصاباً بضربة سيف مسموم.. كما لقيه من قبل عمر الفاروق، مصاباً بضربة خنجر محموم!

وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد فى حياته جديراً بها أكثر ما تكون الجدارة، ودالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة..!

فإنه لم يكذب يتلقى ضربة القدر فى رأسه، حتى حُمِلَ إلى داره..

وإذ هو فى لحظات الكارثة هذه، يأمر حامله والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تُؤذَنَ بفوات.. هذه الصلاة التى كان يتهياً لها حين حال الاغتيال الأليم بينه وبين بلوغها أو إتمامها.. وحين يفرغون من صلاتهم، ويعودون إليه كما يعود فى نفس الوقت، بعض الرجال ممسكين بالقاتل - عبد الرحمن بن ملجم - يفتح الإمام عينيه، فتقعان عليه. فيهب رأسه فى أسى حين يعرفه ويقول:

(١) نقلاً من (الخلفاء الراشدون) للشيخ حسن أيوب (ص ٣١٩: ٣٢٠) بتصرف.

- أهو أنت؟! لطلما أحسنتُ إليك..؟

ويُلقي البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجّر غيظاً، وتضطرم نقمة، ويُحسُّ برد الموت يَسرى في أوصاله، ويكاد يرى المصير الذي سيحيق بـ «ابن ملجم». يكاد يرى الانتقام المروّع الذي سيثأر به أولاده وأصحابه، فيتقدم هو في إصرار ليحمي قاتله من أيّة مجاوزة أو تخطُّ لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة متقطعة لترسم في «العظمة الإنسانية» التي أفاءها القرآن على «عليّ» لوحة باهرة.

قال لبنيه، ولأهله:

«أحسنوا نَزْكَه.. وأكرموا مَثَوَاه..

فإن أعش، فأنا أولَى بدمه قصاصاً أو عفواً..

وإن أمت، فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين..

ولا تقتلوا بى سواء..

إن الله لا يحبُّ المعتدين»..!! (١).

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان. وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه. سنة أربعين. فبقي الجمعة والسبت، ومات ليلة الأحد، وغسّله ابنه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودُفن في السّحر (٢).

عن محمد بن على بن أبى طالب أنّ عليّاً لما ضُرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبضه الله (٣).

* * *

(١) خلفاء الرسول / خالد محمد خالد (٥٩٨ / ٥٩٩) بتصرف.

(٢) صفة الصفوة (١/١٣٥).

(٣) الثبات عند الممات (١٠٣).

وفاة خال رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص رضوان الله عليه

بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهد في سبيل الله نام سعد رضي الله عنه على فراش الموت ليُسلم روحه إلى بارئها - جل وعلا - ويلحق بالحبيب ﷺ في جنة الرحمن.. فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

عن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجرى، وهو يقضى فبكيتُ، فرفع رأسه إلىَّ، فقال: أى بُنى ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً. وإنى من أهل الجنة (١).

قال الإمام الذهبي: قلتُ: صدق والله، فهنيئاً له.

وعن الزهرى أن سعد بن أبى وقاص لما احتضر، دعا بخلق جبة صوف، فقال: كفنوني فيها، فإني لقيتُ المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم (٢).

وعن أم سلمة أنها قالت: لما مات سعد، وجيء بسريره، فأدخل عليها، جعلت تبكى وتقول: بقية أصحاب رسول الله ﷺ (٣).

ومات سعد فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحُمِلَ على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ والى المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبی ﷺ فى حُجرهن، ودُفِنَ بالبقيع (٤).

(١) الطبقات لابن سعد (١٠٤/١/٣) نقلاً من السير للذهبي (١٢٢/١).

(٢) أخرجه الحاكم (٤٩٦/٣)، والطبراني فى الكبير (٣١٦)، وذكره الهيثمى فى المجمع (٢٥/٣) وقال ورجاله ثقات إلا أن الزهرى لم يدرك سعداً.

(٣) السير للإمام الذهبي (١٢٣/١).

(٤) صفة الصفوة (١٤٧/١).

أمين الأمة الشهيد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «إني كنت مع أبي عبيدة، وإن الطاعون وقع بالشام، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا، فإني أعزم عليك، إن أتاك مصباحاً أن لا تُمسي حتى تركب، وإن أتاك ممسياً أن لا تصبح حتى تركب إليّ، فقد عرضت لي إليك حاجة، لا غنى لي عنك فيها. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين يستبقى من ليس بياق. فكتب إليه أبو عبيدة: إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسى عنهم، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين فحللني من عزمك. فلما جاء عمر الكتاب بكى، فقل له: توفي أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد - أي قرب - (١).

أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس «وأرسل معاذ بن جبل الحارث بن عمير إلى أبي عبيدة، يسأله: كيف أنت؟ فأراه أبو عبيدة طعنة بكفه فبكى الحارث بن عمير إلى أبي عبيدة، وفرقَ منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة بالله، ما يحبُّ أن له مكانها حُمِر النعم» (٢).

وفاة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

لقد بشره النبي ﷺ بأنه سيموت شهيداً - بإذن الله جل وعلا - .

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء. فتحرك.

(١) إسناده صحيح: أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده»، والطحاوي في «معاني الآثار»، والبيهقي، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون في فضل الطاعون» تحقيق أحمد عصام عبد القادر ص (٢٧١) - دار العاصمة - الرياض.

(٢) إسناده حسن: أخرجه البزار، والطبراني. وحسن إسناده ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون» ص (٢٦٦ - ٢٦٧).

فقال رسول الله ﷺ: «اسْكُنْ حراءَ! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحةٌ والزبير وسعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنهم (١).

فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً.. وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب ﷺ ظل يبحث عن الشهادة في مظانها.

موقفه يوم الجمل... والشهادة في سبيل الله

عن علقمة بن وقاص الليثي قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان عرجوا عن منصرفهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن فردوهما، قال ورأيت طلحة، وأحب المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد! إنني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمني، كنا أمس يداً واحدة على من سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدهما إلى صاحبه، ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان، مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي، وطلب دمه (٢).

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: الذي كان منه في حق عثمان تمغفل وتألّب فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نصرته رضي الله عنه، وكان طلحة أول من بايع علياً، أرهقه قتلة عثمان، وأحضره حتى بايع (٣). ولكن طلحة والزبير رضي الله عنهما اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رآيا (عماراً) يقاتل في صف (علي) فتذكرا قول النبي ﷺ لعمار: «تقتلك

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٣٧٢)، وفيه «في طلب دمه» بدل «وطلب دمه» وسكت الحاكم عنه ولكن الذهبي

قال في مختصره: سنده جيد. وهو كما قال.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣٥).

وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما في جيش معاوية رضي الله عنه الذي يقاتل عماراً رضي الله عنه فخشيا من الخوض في هذا القتال. ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب - قول علي بن أبي طالب للزبير - : يا زبير أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «تقاتله وأنت له ظالم؟» قال - الزبير - : أذكر، ثم مضى الزبير منصرفاً (٢). فانسحب طلحة والزبير وقتلاً أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» فقتله غدراً.

وأما طلحة فيقال: إنه جاءه سهم غرب - أى لا يدرى من الذى رماه -.

وقيل: إن الذى رماه هو مروان بن الحكم.

فعن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع فى ركبته، فما زال ينسج حتى مات (٣).

وعن أبي سبرة قال: نظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأرى بعد اليوم فرماه بسهم فقتله (٤).

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: قاتل طلحة فى الوزر بمنزلة قاتل (على) وعن (على) قال: «بشروا قاتل طلحة بالنار» (٥).

وعن طلحة بن مطرف: أن علياً انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه، وقال: «ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة» (٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن.

(٢) أخرجه الحاكم (٣٦٦/٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم (٣٧٠/٣) وابن سعد (١٥٩/١/٣) مطولاً، وأورده الحافظ فى الإصابة (٢٣٥/٥) وقال: سنده صحيح.

(٤) أورده الحافظ فى الإصابة (٢٣٥/٥) وقال: إسناده صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦/١، ٣٧).

(٦) قال الهيثمى فى المجمع (١٥٠/٩): رواه الطبرانى وإسناده حسن.

وعن قيس بن عباد قال: «سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول لابنه الحسن: «يا حسن، وددت أني كنت مت منذ عشرين سنة»^(١).
وعن أبي حبيبة - مولى لطلحة - قال: دخلت على (علي) مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل فرحب به وأدناه ثم قال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

يلتقى (أبو حذيفة) بأخيه في الله (سالم) رضي الله عنه على أرض الشرف والجهاد - في غزوة بدر - يقاتلان في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله فأتلج الله صدور المؤمنين بهذا النصر المؤزر على المشركين.
وظل أبو حذيفة وسالم رضي الله عنهما يجاهدان في سبيل الله - جل وعلا - مع النبي ﷺ في كل غزواته حتى توفي الحبيب ﷺ واستخلف المسلمون أبا بكر رضي الله عنه وخاض المسلمون حروب الردة التي كانت في قمة الشراسة والضراوة.

وحان وقت الرحيل

وفي معركة اليمامة التي كانت بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب قام أبو حذيفة وسالم رضي الله عنهما يضربان المثل في الشجاعة والإقدام والبحث عن الشهادة في سبيل الله أينما كانت.
وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة وراية الأنصار مع ثابت ابن قيس... واصطدم المسلمون والكفار.

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٠): رواه الطبراني وإسناده جيد.

(٢) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٦٠) والطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦) - وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤).

وقاتلت بنو حنيفة (حلفاء مسلمة الكذاب) قتالاً لم يُعهد مثله وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قُتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: نخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قُدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيداً رضي الله عنه وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه ^(١).

وأما سالم رضي الله عنه فقد أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله، فقطعت. ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ^(٢) إلى أن قُتل ^(٣).

لله در سالم من سيد... لله دره من قارئ... لله دره من بدرى...

هو أحد القراء الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم...

فلما كان يوم اليمامة وانكشف صف المسلمين حفر سالم لنفسه حفرة وتحنط بحنوطه وأمسك براية المهاجرين، فقالوا له: يا سالم، إنا نخشى أن نؤتى من قبلك. فقال رضي الله عنه: بئس حامل القرآن إذاً أنا.

قال ابن الجوزي: «حضر اليمامة فأخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم شاله ^(٤)

بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء، وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى أن قُتل ^(٥).

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٣٢٩/٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٠/١).

(٤) أى: رفعه.

(٥) «الثبت عند الممات» ص (١٠٤)، و«طبقات ابن سعد» (٨٥/٣).

وهكذا يموت سيد القراء في الميدان . . . ومن أولى بهذا منه، وقد قال فيه رسول الله ﷺ : «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله»^(١).

وقبل أن تخرج روحه الشريفة وهو في الرمق الأخير يبحث عن رفيق عمره الذي كان يتمنى من أعماق قلبه أن يجمعه الله به في جنته كما جمعه به في تلك الحياة على طاعته.

وإذا بالحق - جل جلاله - يجمع بينهما ويرزقهما الشهادة في يوم اليمامة بل إن سالمًا وجد هو ومولاه أبو حذيفة رأس أحدهما عند رجلى الآخر صريعين^(٢).
ولسان حال كل واحدٍ منهما: غداً نلتقى في الجنة إخواناً على سرٍّ متقابلين.

مصعب بن عمير رضي الله عنه

كانت خاتمته السعيدة في غزوة أحد.

فلقد حمل مصعب اللواء يوم أُحُد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٣). وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قُتل مصعب، وأخذ اللواء ملكٌ في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدّم يا مصعب، فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب فعرف النبي ﷺ أنه ملك أُيِّد به^(٤).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٢٦٥/٩) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وانظر الإصابة (٧/٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢٢٥/٣) نقلاً من السير (١٦٩/١).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٤) صفة الصفوة (١٦٢/١).

قال ابن إسحاق: وقَاتَلَ مصعبُ بنُ عُمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ، قَتَلَهُ ابنُ قَمْثَةَ الليثي، وهو يظنه رسول الله. فرجع إلى قريش، فقال: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا... فلما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ علىَّ بن أبي طالب، ورجالاً من المسلمين^(١).

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مرَّ على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقراً: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٢).

ادخار الأجر لمصعب يوم القيامة

وبعد أن سالت دماء بطلنا على أرض الشرف والجهاد وقام الحبيب ﷺ يتفقد القتلى، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «أنا شهيدٌ على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرحُ في سبيل الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جُرحه، اللونُ لون دم، الريحُ ريح مسك، وانظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد^(٣).

وعند جثمان مصعب سالت دموعه ﷺ. قال خَبَّابُ بن الأُرْت: هاجرنا مع النبي ﷺ نريدُ وجه الله فوق أجرتنا على الله فمننا مَنْ مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعبُ بن عُمير، قُتِلَ يوم أحد وترك نمرَةً فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه فأمرنا النبي ﷺ أن نغطّي رأسه وأن نجعل على رجله شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها^(٤).

(١) السيرة لابن هشام (٧٣/٢) وابن سعد (٨٥/١/٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٣) رواه أحمد (٤٣١/٥) والنسائي (٧٨/٤) وقال جمال ثابت في تخريج السيرة النبوية لابن هشام: رجاله رجال الصحيح.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٧٦) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز.

وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعباً في كل وقت لم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام - وكان صائماً - فقال: قُتل مصعب بن عمير - وهو خير مني - كُفِّن في بُرْدَةٍ إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتل حمزة - وهو خير مني - ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا - ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^(١).

سعد بن معاذ رضي الله عنه

نحن نعلم أن سعد بن معاذ رضي الله عنه كان من أعظم أسباب انتشار الإسلام في المدينة عندما أسلمت قبيلته كلها على يديه .
ونعلم أيضاً موقفه في مؤازرة النبي ﷺ في غزوة بدر وموقفه في غزوة الأحزاب .

وفي يوم الأحزاب أُصيب سعد بسهم فقطع عرقه فقام سعد يدعو ويقول: اللهم لا تُمتني حتى تُقر عيني من بني قريظة - وذلك لأنهم خانوا العهد مع رسول الله ﷺ - فتماسك الدم في عرقه .

ثم دعاه النبي ﷺ بعد ذلك ليحكم على يهود بني قريظة فقال سعد: فإنني أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتُقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله» قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٥) كتاب الجنائز .

شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. فانفجر كلمه - جرحه - وكان قد برأ إلا مثل الخرص^(١).

ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله - عز وجل -: ﴿رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

وها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت الله ما وعدته. ولينجزنك الله ما وعدك»^(٣).

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن - جل جلاله - . قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»^(٤).

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه فقال النبي ﷺ: «ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش»^(٥).

الملائكة تحمل جنازة سعد

عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحلُ سعد فثقل، حوَّله عند امرأة يقال لها ربيعة تُداوى الجرحى. فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله، فقيل: انطلقوا به.

(١) الحلقة الصغيرة من الحلمة.

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٩/٢/٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه الطبرانى (١٢/٦)، قال الهيثمى (٣٠٩/٩): رجاله رجال الصحيح، والحاكم (٢٢٨/٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبى فى التلخيص، وابن أبى شيبه (٢٦٦/٧)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٥٥٩).

فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوعُ نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعدا

حزامه وجدا

فقال: «كُلُّ باكية تكذبُ إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفَ علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخفَ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»^(١).

سعد بن معاذ وضمة القبر

عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً إلى سعد بن معاذ حين تُوفى. قال: فلما صلى عليه رسول الله، ووُضع في قبره، وسُوي عليه سبّح رسول الله ﷺ تسييحاً طويلاً. ثم كبر فكبرنا. فقيل: يا رسول الله! لمَ سبحت ثم كبرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله - عز وجل - عنه^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمةٌ ثم أُفُرج عنه» يعني سعداً^(٣).

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -: قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في

(١) صحيح: رواه ابن سعد (٣/٧٢، ٨) وحسنه الأرنؤوط في السير (١/٢٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٥٨).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣٠/٣٦٠، ٣٧٧) وصححه الحاكم (٣/٢٠٦) مختصراً ووافقه الذهبي وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٢٠٥٥) كتاب الجنائز، وابن سعد (٣/٩٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٩٨٧).

الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببياء أهله عليه وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفقُ الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾^(١) وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾^(٢) فسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي. ومع هذه الهزات، فسعدُ ممن تعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هولُ في الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد^(٣).

مناديل سعد بن معاذ في الجنة

عن أبي إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلّةً حرير، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها وألين»^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جُبّةً من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفسُ محمد بيده! إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة، أحسنُ من هذا»^(٥).

قال الإمام النووي - رحمه الله - : قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المناديل أدنى

(١) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة غافر: الآية: (١٨).

(٣) السير للإمام الذهبي (١/ ٢٩٠ - ٢٩١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) عن أنس رضي الله عنه.

التياب؛ لأنه مُعدٌّ للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد^(١).

عمار بن ياسر رضي الله عنه

لما وقعت الفتنة بين (علي) و(معاوية) رضي الله عنهما كان عمار رضي الله عنه في صف علي رضي الله عنه.

وكان قد بلغ من العمر يومئذ ثلاثاً وتسعين سنة. وكان عمار بن ياسر قليل الكلام، طويل السكوت، وكان عامةً قوله: عائذ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة^(٢).

وعن عمار بن ياسر أنه قال: وهو يسير إلى (صفين) إلى جنب الفرات: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عنى أن ألقى نفسى فى الماء فأغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبنى وأنا أريد وجهك... يا لها من كلمات تُصدع الأفئدة وتفتت الجبال.

وعن أبى البخترى قال: قال عمار يوم صفين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن» ثم تقدم فقتل^(٣).

وعن الزهرى: عن أبيه، عن حدثه: سمع عماراً بصفيين يقول: أزفت الجنان، وزوجت الحور العين. اليوم نلقى حبينا محمداً ﷺ^(٤).

(١) مسلم بشرح النووي (٣٤/١٦).

(٢) أخرجه ابن سعد (١٨٣/١/٣) وأبو نعيم فى الحلية (١٤٥/١).

(٣) أخرجه أحمد (٣١٩/٤)، قال الهيثمى (٢٤٣/٧) : رواه أحمد والطبرانى، وبين أن الذى سقاه أبوالمخارق، ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه منقطع. وابن أبى شبة (٥٥٢/٧)، وأبو يعلى (١٨٨/٣)، وإلحاكم (٤٣٩/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٥/١).

وَقُتِلَ عَمَارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَزَفَتْ دِمَاؤُهُ الشَّرِيفَةَ الَّتِي لَطَالَمَا امْتَزَجَتْ بِحُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ ، وَلَطَالَمَا احْتَرَقَتْ شَوْقًا لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا .
أَمَّا عَمَارٌ فَقَدْ حَمَلَهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ فَوْقَ صَدْرِهِ إِلَى حَيْثُ صَلَّى عَلَيْهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . . ثُمَّ دَفَنَهُ فِي ثِيَابِهِ . .

أَجَلٌ - فِي ثِيَابِهِ الْمُضْمَخَةِ بِدَمِهِ الزَّكِيِّ الطَّهُورِ . . فَمَا فِي كُلِّ حَرِيرٍ الدُّنْيَا وَدِيَابِهَا مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ كَفَنًا لِشَهِيدٍ جَلِيلٍ مِنْ طَرَاذِيرِ عَمَارٍ .
وَوَقَفَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَبْرِهِ يَعْجَبُونَ . . !! مِنْذُ سَاعَاتٍ كَانَ (عَمَارٌ) يُغْرَدُ بَيْنَهُمْ فَوْقَ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ . . تَمَلَّؤُ نَفْسَهُ غَبَطَةَ الْغَرِيبِ الْمُضْنَى يُزِفُّ إِلَى وَطَنِهِ ، وَهُوَ يَصِيحُ : {الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ، مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ} . . !!!^(١)
وَكَيْفَ لَا يَلْقَاهُمْ وَقَدْ «اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى عَمَارٍ» .

فَهَنِيئًا لَكَ أَيُّهَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ . . وَهَنِيئًا لِمَنْ اكَتَحَلَّتْ عَيْنَاهُ بِرُؤْيَاكَ وَرُؤْيَا أَصْحَابِ الْحَبِيبِ ﷺ . . وَهَنِيئًا ثُمَّ هَنِيئًا لِمَنْ اكَتَحَلَّتْ عَيْنَاهُ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ بِرُؤْيَا الْحَبِيبِ ﷺ .

وَهَكَذَا رَحَلَ عَمَارُ الَّذِي اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَيْهِ رَحَلَ عَنْ دُنْيَا النَّاسِ لِيَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي جَنَّتِهِ مَعَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

* * *

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٢٧٩) .

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ: «إن أُصيب زيد فجعفر ابن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر، فعبد الله ابن رواحة على الناس». فمضوا إلى أرض البلقاء من أرض الشام حتى نزلوا (معاناً) من أرض الشام، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة.

ثلاثة آلاف من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، أمام عبدة الصليبان - عليهم لعائن الرحمن - في ذلك الزمان، وفي كل أوان.

فالتقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل.

اقتحم جعفر عن فرس له شقراء، ثم عقرها؛ فكان جعفر أول المسلمين عقرَ في الإسلام، ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

يا حَبَّذَا الْجَنَّةِ واقتَرابها

طَيِّبَةٌ وَبارِدٌ شَرابها

والروم رومٌ قد دنا عذابها

كافرة بعيده أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرًا أخذ اللواء يمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء.

وفى رواية: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قُتل زيدُ فجعفرُ، وإن قُتل جعفرُ فَعبد الله بن رواحة. قال عبد الله: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتَسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَّةٍ»^(١).

ولقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة لأصحابه وبشّرهم بشهادتهم في سبيل الله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخذ الراية زيدُ فأصيب ثم أخذها جعفرُ فأصيب، ثم أخذها جعفرُ فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم لتذرفان - ثم أخذها خالدُ بن الوليد من غير إمرة ففتحَ له»^(٢).

وعن نافع أن ابن عمر أخبره: وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيلٌ فعددتُ به خمسين طعنةً وضربةً، ليس منها شيءٌ في دُبُرِهِ - يعني في ظهره -»^(٣).

وها هو يطير بجناحيه في الجنة مع الملائكة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»^(٤).
«وكان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»^(٥).

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٢٤٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٠) كتاب المغازى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠٧/٢) والحاكم (٢١٧/٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المغازى.

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»^(٢).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

* عن أنس بن مالك قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوذه في مرضه فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟
قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً.
قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟
قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.
قلنا: ما تشكى أبا عبد الرحمن؟
قال: أشتكى ذنوبي وخطاياي.
قلنا: ما تشتهي شيئاً؟
قال: أشتهي مغفرة الله ورضوانه.
قلنا له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني^(٣).
* وعن أبي ظبية قال: مرض عبد الله، فعاده عثمان، وقال: ما تشكى؟
قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟
قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه^(٤).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٦/٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٣) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٥٩).

(٣) «كتاب المحضرين» ص (٢٣٨ - ٢٣٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤ / ٢٧٠).

(٤) «السير» (١ / ٤٩٨).

خالد بن الوليد رضي الله عنه
سيف الله وفارس الإسلام

* عن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما احتضر بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء^(١).

رضي الله عن البطل سيف الله الذي قال: ما من ليلة يُهدى إلىّ فيها عروس أنا لها محب أحب إلىّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أُصبح فيها العدو^(٢).

* وعن أبي وائل قال: لما حضرت خالدًا الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يُقدَّر لى إلا أن أموت على فراشي. وما من عملى شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بُتُّها وأنا متترس، والسماء تهلّنى تنتظر الصبح؛ حتى تُغيّر على الكفار. ثم قال: إذا مت، فانظروا إلى سلاحى وفرسى، فاجعلوه عدة في سبيل الله^(٣).

* * *

(١) «السير» (٣٨٢/١). والعير: الحمار.

(٢) «السير» (٣٧٥/١)، و«المجمع» (٣٥٠/٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) «السير» (٣٨١/١)، و«الإصابة» (٧٤/٣)، وابن المبارك في «الجهاد»، وإسناده حسن.

ثابت بن قيس رضي الله عنه

لقد بشره النبي ﷺ بالجنة .

فعن أنس بن مالك أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(١) إلى آخر الآية . . . جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: «أنا من أهل النار» واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد ابن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد: إنه لجارى وما علمت له بشكوى - مرض - قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار . فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»^(٢) .

فما زال ثابت يبحث عن الشهادة في مظانها . . . ففى كل غزوة غزاها يقول فى نفسه . لعلى أنال الشهادة هنا . . . وظل هكذا يتلهف شوقاً لهذا اليوم الذى يلقى الله فيه شهيداً فى سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) . إلى أن جاءت حروب الردة التى كانت الدولة فيها فى أكثر المعارك لمسيلمة الكذاب حتى وصل الأمر أن اقتحموا فسطاط - خيمة - خالد بن الوليد وهموا بقتل زوجته أم تميم .

وكان ثابت بن قيس وقتها هو حامل لواء الأنصار .

فلما رأى الضعف والوهن قد دبَّ فى صفوف المسلمين قام فقال: أوفِّ لهؤلاء ولما يعبدون! وأفِّ لهؤلاء ولما يصنعون! يا معشر الأنصار، خلُّوا

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٩) كتاب الإيمان .

سننى لعلى أصلى بحرهما ساعة، ورجل قائم على ثلثة، فقتله وقُتل.

وعن أنس قال: جئته وهو يتحنط، فقلت: ألا ترى؟ فقال: الآن يا ابن أخي. ثم أقبل، فقال: هكذا عن وجوهنا نقارعُ القوم، بئس ما عودتكم أقرانكم، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فقاتل حتى قُتل^(١).

وعن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين، فكُفّنَ فيهما، وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إني أبرأ إليك عما جاء به هؤلاء، وأعتذر من صنيع هؤلاء، بئس ما عودتكم أقرانكم، خلّوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل، فقاتل حتى قُتل^(٢).

وخرَّ البطل صريعاً على أرض الشرف والجهاد، وقد نال الشهادة التي لطالما كان يتمناها والتي بشره بها حبيبهِ ﷺ. وأسلم البطل نفسه ليكون في حواصل طير خضر تأوى إلى تلك القناديل المعلقة عند عرش الرحمن وليسرح في أنهار الجنة وليكون من تلك الثلة المؤمنة ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

أبو طلحة الأنصارى رضي الله عنه

عاش أبو طلحة رضي الله عنه حياته عابداً صائماً قائماً مجاهداً في سبيل الله. عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سرّد الصوم بعد وفاة رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى أو في مرض^(٤).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٤٥) كتاب الجهاد.

(٢) أخرجه الحكم (٢٣٤/٣، ٢٣٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) سورة النساء: الآية (٦٩).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٣/٣) وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وفى رواية عن أنس قال: كان أبو طلحة بعد النبي ﷺ لا يُفطر إلا فى سفرٍ أو مرضٍ^(١).

كرامة ثابتة لأبى طلحة بعد موته

وها هو فى آخر أيامه ﷺ لكن شيخوخته ما حالت بينه وبين الجهاد فى سبيل الله حتى آخر قطرة من دمه.

عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة (براءة) فأتى على هذه الآية ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٢) فقال: ألا أرى ربي يستغفرنى شاباً وشيخاً؟ جهزوني.

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، وغزوت مع أبى بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهزوني فجهزوه، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير^(٣).

وهناك فى هذا المكان البعيد عن الأهل والعشيرة والأصحاب يُدفن أبو طلحة.

وإن كان مكانه بعيداً عن أعيننا إلا أنه ليس بعيداً عن عين الله - جل وعلا - الذى سيجبر كسره يوم القيامة فى جنات النعيم مع الحبيب ﷺ وأصحابه ﷺ.

* * *

(١) أخرجه ابن سعد (٥٠٦/٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) سورة التوبة: الآية (٤١).

(٣) أخرجه الحاكم (٣٥٣/٣) وابن حبان (٢٢٥١) وذكره الهيثمى فى المجمع (٣١٣/٩) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

بلال مؤذن الرسول ﷺ

ظل بلال رضِيَ اللهُ عنه يؤذن لرسول الله ﷺ طوال حياته، فلما انتقل الحبيب ﷺ إلى الرفيق الأعلى وحان وقت الصلاة قام بلال يؤذن في الناس - والنبي الكريم ﷺ مُسَجًى^(١) لم يُدفن بعد - فلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»... خنقته العبرات... واحتبس^(٢) صوته في حلقه... وأجهش المسلمون في البكاء، وأغرقوا في النحيب. ثم أذن بعد ذلك ثلاثة أيام. فكان كلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»؛ بكى وأبكى... عند ذلك طلب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ أن يُعفيه من الأذان بعد أن أصبح لا يحتمله^{(٣)(٤)}.

وطلب من أبي بكر رضِيَ اللهُ عنه أن يأذن له بالخروج إلى الشام للجهاد والمرابطة.. وكان الصديق يحبه حباً جماً، فتردد في بادئ الأمر، فقال له بلال: «إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله»^(٥). وظل في بلاد الشام عابداً زاهداً ينتظر اليوم الذي يلحق فيه بالحبيب ﷺ وأصحابه رضِيَ اللهُ عنهم.

ونام أول وأعظم مؤذن عرفته الدنيا (على فراش الموت). قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر بلال قال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، قال تقول امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه!^(٦)

(١) مُسَجًى: مغطًى.

(٢) احتبس صوته في حلقه: لم يستطع الكلام.

(٣) لا يحتمله: لا يطيق أن يؤذن في غياب رسول الله ﷺ.

(٤) صورة من حياة الصحابة (ص ٣٢١).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٧٥٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١/٣٥٩).

أسد الله وأسد رسول الله ﷺ
حمزة بن عبد المطلب ﷺ

إنه حمزة بن عبد المطلب ﷺ . . أسد الله وأسد رسول الله ﷺ الذي بذل حياته كلها لنصرة دين الله جل وعلا .
قاتل في يوم بدر قتالاً شديداً . . وفي يوم أحد كان يقاتل بسيفين وهو يقول : أنا أسد الله .
وفي يوم أحد قتله وحشى لينال الشهادة بل وليكون سيد الشهداء يوم القيامة كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

روحه في جوف طير خضر
تردُّ أنهار الجنة

هكذا رحل (أسد الله) عن الدنيا - ليس شهيداً فحسب، بل سيداً للشهداء - وفاز بتلك المنقبة العظيمة التي أخبر عنها الحبيب ﷺ بعد الغزوة .
عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ : «لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تردُّ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى فنابير من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يُبَلِّغُ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم، فَأُنزِلَتْ: ﴿وَلَا تَحْزَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ (١)(٢) .

(١) سورة آل عمران: الآية : (١٦٩) .

(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات، ورواه أبو داود (٢٥٢٠) في الجهاد: باب في فضل الشهادة، =

التمثيل بجسده الطاهر ﷺ

ولم يكتف أعداء الله بقتله، بل مثلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن (حمزة) وجدوه قد بُقر بطنه، واحتمل وحشياً كبده إلى (هند) في نذر نذرتة حين قُتل أبوها يوم بدر. فدفن في غرة كانت عليه، إذا رُفعت إلى رأسه، بدت قدماء، فغطوا قدميه بشيء من الشجر^(١). . . . وتأتى اللحظة الأليمة التي وقف فيها رسول الله ﷺ أمام جسد عمه حمزة الذي كان يحبه من كل قلبه. . . . فيها هو الآن قد فارق الدنيا كلها. فعن أنس قال: لما كان يوم أُحُد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدع ومثل به، فقال: «لولا أن تجد صفة في نفسها، لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطيور»^(٢).

كرامة ثابتة (لأسد الله) بعد موته

قال ﷺ: «رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبد المطلب وحظلة بن الراهب»^(٣).

= والحاكم (٨٨/٢، ٢٩٧). وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٧) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تُحْسِنُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتبهون شيئاً؟ قالوا: أى شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٧٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١٣٦) كتاب الجنائز، والترمذي (١٠٢٧) كتاب الجنائز، وأحمد (١١٨٩١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٣٢٤).

(٣) أخرجه الطبراني (٣٩١/١١)، قال الهيثمي (٢٣/٣) : إسناده حسن، والبيهقي (١٥/٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٦٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما أراد معاوية أن يُجرى عينه التي بأحد كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نُجريها إلا على قبور الشهداء، قال فكتب: أنبشوهم. قال: فرأيتهم يُحْمَلُونَ على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابَت المسحاةُ طرفَ رجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دماً^(١)... وكأنه قد مات الآن.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

* عن زياد - مولى ابن عباس - عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم إنك تعلم لولا أنى أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أنى كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم^(٢).

* وعن أبي مسعود قال: أُغْمِيَ على حذيفة، فأفاق في بعض الليل فقال: يا أبا مسعود، أى الليل هذا؟ قال: السَّحَر. قال: عائذ بالله من جهنم... مرتين^(٣).

* وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟

(١) الطبقات لابن سعد (٧/٣).

(٢) «الثبات عند الممات» ص (١٢١ - ١٢٢)، و«حلية الأولياء» (١/٢٨٢)، و«كتاب المحضرين» ص (٢٣٦).

(٣) «حلية الأولياء» (١/٢٨٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/٣٨٠)، و«وصايا العلماء» ص (٥٣)، و«كتاب المحضرين» ص (١٣٥)، و«كتاب الثبات» ص (١٢١ - ١٢٢).

قال: أشتهى الجنة. قالوا: فما تشتكى؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو
نك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضني. لقد عشت فيكم على خلال ثلاث:
للفقر فيكم أحب إليّ من الغنى، وللضعة فيكم أحبّ إليّ من الشرف،
وإن من حمدني منكم ولا مني في الحق سواء.

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح
من ندم^(١).

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

رفع الله ذكره لما اختار بيته دون بيوت المسلمين جميعاً لينزل فيه النبي
ﷺ... وفي شيخوخته كان عجباً.

* حين جهّز معاوية رضي الله عنه جيشاً بقيادة ابنه «يزيد» لفتح القسطنطينية،
وكان أبو أيوب آنذاك شيخاً طاعناً في السن يحبو نحو الثمانين من عمره،
فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، لكنه لم يمض غير قليل على منازل العدو،
حتى مرض أبو أيوب مرضاً أقعده، فأثاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال:
نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم تبسّغ^(٢) بي في أرض العدو ما وجدت
مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً، فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار

(١) «الثبات عند الممات» ص (١٢٢)، و«الحلية» (٢٨٢/١)، و«كتاب المحتضرين» ص (١١٢)، و«صفة
الصفوة» (٦١٤/١).

(٢) «تبسّغ به الدم: أي: تردّد فيه، وعند ابن سعد، وابن عساكر، و«أسد الغابة»: سغ أي: ادخل فيها ما
وجدت مدخلًا.

به، ثم دفنه. وكان يقول: قال الله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(١)، لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقیلاً.

وعند ابن سعد: عن أبي ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صافقتم العدو، فارموني تحت أقدامكم. أما إنني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً؛ دخل الجنة»^(٢).

وتحت أسوار القسطنطينية دفن أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه.

أبو سلمة رضى الله عنه

ينام هذا الصحابي الجليل على فراش الموت وتأتيه في تلك اللحظة الحاسمة أعظم بشرى يتحصل عليها مسلمٌ في تلك الحياة الدنيا: ألا وهي دعوة رسول الله ﷺ له.

عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضجَّ ناسٌ من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم غفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»^(٣).

* * *

(١) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز عن أم سلمة رضى الله عنها.

عمرو بن الجموح رضي الله عنه

أسلم عمرو بن الجموح رضي الله عنه وكانت نفسه تهفو إلى الجهاد في سبيل الله (جل وعلا) مع أنه ليس عليه جهاد؛ لأنه كان أعرج شديد العرج. وتمضى الأيام بسرعة ومازال عمرو تهفو نفسه ويشتاق قلبه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله على الرغم من أن الله قد عذره من فوق سبع سماوات.

لقد كان رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ، فلما توجهوا إلى أحد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد... فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بنى هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إنى لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتى فى الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم أحد شهيداً^(١).

قالت امرأته هند أخت عبد الله بن عمرو بن حرام: كأنى أنظر إليه قد أخذ درّفته وهو يقول: اللهم لا تردنى.

هكذا كان يتمنى الشهادة من كل قلبه ولا يتمنى أن يرجع سالماً غانماً فقد علم أن الغنيمة التى لا ينبغى أن تفوته أبداً هى الفوز بالشهادة، ومن ثم بالخلود فى جنة الرحمن - جل وعلا - فلما كان يوم أحد قال

(١) صحيح: رواه ابن هشام (١٣٩/٢) عن ابن إسحاق وبعضه فى المسند (٢٩٩/٥) من حديث أبى قتادة، وصحح الألبانى إسناده فى تحقيق فقه السيرة هامش (٢٨١).

رسول الله ﷺ : «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» فقام وهو أعرج فقال : «والله لأقحزن»^(١) عليها في الجنة، فقاتل حتى قُتل^(٢).

وفي رواية: أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أقتل أُمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ : «نعم». فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له، فمر رسول الله ﷺ ، فقال : «كأنني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد^(٣).

وقال ابن إسحاق: عن أشياخ من بنى سلمة: أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى : «انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد»^(٤).

كرامة ثابتة (لعمر) بعد موته

وفي أيام معاوية رضي الله عنه كان السيل قد خرب قبرهما، فحفر عنهما ليُغَيَّرَ من مكانهما، فوجدوا لم يتغيرا، كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدُفِنَ كذلك، فأُمِيطَ يده عن جرحه، ثم أُرسِلت، فرجعت كما كانت وكان بين يوم أحد ويوم حُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة^(٥).

(١) القحز: الوثب والقلق.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٥٣/١).

(٣) حسن: قال العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص ١٤٦): أخرجه أحمد (٢٩٩ / ٥) بسند حسن كما قال الحافظ (١٦٨ / ٣).

(٤) رواه أحمد (٢٩٩/٥) وابن سعد (٥٦٢/٢) وذكره ابن حجر في الفتح (٢٥٦/٣، ٢٥٧) وعزاه إلى أحمد في مسنده بإسناد حسن.

(٥) أخرجه ابن سعد، وقال الحافظ في الفتح (١٧٣/٣): صحيح.

عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه

* رأى عبد الله بن حرام مبشر بن عبد المنذر - وكان ممن استشهد ببدر - يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام، فقصها على النبي ﷺ فقال: «هذه الشهادة».

* وعن جابر أن أباه قال له: «إني معرض نفسي للمقتل»^(١).

* وعن جابر قال: لما حضر أحد، دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدى أعز علي منك، غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علي ديناً فاقض، واستوص بأخواتك خيراً: فأصبحنا فكان أول قتيل...»^(٢).

* قال جابر: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظلل به بأجنحتها حتى رفعتموه»^(٣).

* وعن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدى، سلني أعطك. قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانياً. فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب! فأبلغ من ورائي. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤)»^(٥).

(١) «فتح الباري» (٢٥٦/٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٥١) كتاب الجنائز.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٧١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٣٠١٠) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٩٠) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٣٦١).

سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

* عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى فقليل له: ما يُبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ، لم نحفظه. قال: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». وأما أنت يا سعد فاتق الله في حكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت. قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً نفقة كانت عنده^(١).

* وعن الحسن قال: بكى سلمان عند الموت، فقليل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى ضمناً^(٢) بدنياكم، ولا جزءاً من الموت، ولكن قلة الزاد، ويُعد المفاز^(٣).

* وعن امرأة سلمان بقيقة قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني - وهو في عليّة لها أربعة أبواب فقال: افتحى هذه الأبواب فإنى لى اليوم زوار^(٤)، لا أدرى من أى هذه الأبواب يدخلون علىّ، ثم دعا بمسك له، ثم قال: أديفيه فى قور^(٥) ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشى، ثم انزلى وامكثى فسوف تطلعين فترينى على فراشى، فاطلعت، فإذا هو قد مات^(٦). وفى «الحلية»: فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه.

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٩٥، ١٩٦)، (٢/ ٢٣٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٣٨)، وانظر: «السير» ترجمة سلمان (١/ ٥٠٥ - ٥٥٨).

(٢) ضمناً: بفتح الضاد وكسرهما، أى: بخلاً وحرصاً.

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٢٢٣ - ٢٢٤).

(٤) وفى رواية: «إنه يحضرنى خلق من خلق الله عز وجل - يجدون الريح ولا يأكلون الطعام».

(٥) أدافه: خلطه وأذابه فى الماء، والقور: إناء صغير.

(٦) «الثبات عند الممات» ص (١٢٠ - ١٢١)، و«الحلية» (١/ ٢٠٨)، و«وصايا العلماء عند الموت» ص (٤٤).

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

عن عروة بن الزبير قال: بعث النبي بعثاً إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال لهم: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودّع عبد الله بن رواحة مع من ودّع بكى، فقيل: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: والله ما بى حب الدنيا وصباية، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(١) فلست أدري كيف لى بالصدر بعد الورود، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ورفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً

وضربة ذات فزع تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة

بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي

أرشدته الله من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ

يودعه فقال:

يثبت الله ما أتاك من حسن

تثبيت موسى ونصر كالأذى نصروا

(١) سورة مريم: الآية: (٧١).

إِنِّي تَقَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً

فِرَاسَةً خَالَفْتَهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته

فِي النَّخِيلِ غَيْرَ مَوْدِعٍ وَكَلِيلِ

ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل في باب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لحم وجذام وبلقين وبهرام وبلى في مائة ألف، عليهم رجل يلي أخذ رايتهم يقال له ملك بنى زانة، فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنا هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة.

ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها فقاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام^(١).

فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى عروة - مجمع الزوائد (٦/ ١٠٧ - ١٠٩).

فرسه فجعل يستنزل نفسه وتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه

طائفة أو لتكرهنه

ما لي أراك تكرهين الجنة

إن أجلب الناس وشدوا الرنة

لطالما قد كنت مطمئنة

هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلا تقلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت

إن تفلى فعلهما هديت

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف^(١).

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم: فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعينه تذر فان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»^(٢).

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (١٥٩/٦ - ١٦٠) مجمع الزوائد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٨٥/٧) كتاب المغازي.

سعد بن الربيع رضي الله عنه

كان يضرب به المثل في الإيثار.

فمن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنني من أكثرها مالاً سأقسم مالي بيني وبينك شطرين - نصفين - ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها.

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك. فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط^(١)، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ضرٌّ من صفرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهم؟» قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «ما سقت فيها؟» قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: «أولم ولو بشاة»^(٢).

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بنبل (عبد الرحمن) الذي زاحم اليهود في سوقهم وبزّهم في ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان^(٣).

* وكان يتمنى الشهادة في سبيل الله (جل وعلا)... وإذا به يموت شهيداً بل ويفوز بتسليم النبي صلى الله عليه وسلم عليه قبل موته.. بل ويشم رائحة الجنة.

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب (سعد بن

(١) الأقط: قطع الجبن.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٧٨١) كتاب المناقب.

(٣) فقه السيرة للشيخ الغزالي (ص: ١٩٣).

الربيع) فقال لى: «إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرنى كيف تجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف. وفاضت نفسه من وقته^(١).

وفى رواية: أنه لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «من رجل ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع؟» فقال رجل من الأنصار: أنا. فخرج يطوف فى القتلى، حتى وجد سعداً جريحاً مثبتاً بآخر رمق، فقال: يا سعد، إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر: أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟! قال: فإنى فى الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ السلام، وقل إن سعداً يقول جزاك الله عنى خير ما جزى نبياً عن أمته وأبلغ قومك منى السلام وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم - أى أصابه مكروه - وفيكم عين تطرف^(٢).

* * *

(١) رواه ابن هشام (٩٤/٢ ، ٩٥) والحاكم (٢٠١/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) الإصابة (١٤٤/٤) الاستيعاب لابن عبد البر (١٤٥/٤) والسيرة لابن هشام (٩٤/٢ ، ٩٥).

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

نحن نعلم كيف كان عداؤه للرسول ﷺ أكثر من عشرين سنة لكنه أسلم في عام الفتح وحسن إسلامه وعاش في صحبة النبي ﷺ إلى أن مات النبي ﷺ وهو عنه راضٍ.

ولما كان يوم اليرموك، تقدّم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو أن يُنشأ القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز - المبارزة - وتنازل الأبطال وتجاولوا، وحميت الحرب وقامت على ساق. فنادى عكرمة: «قاتلتُ رسول الله ﷺ في كل موطن، وأفر منكم اليوم؟! مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار ابن الأزور، فاستبسلوا وقاتلوا قُدّام فسطاط خالد، حتى أثبتوا جميعاً جراحاً. وأتى خالد بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما.

فرضى الله عن شهيد اليرموك عكرمة، الذي قال فيه ابن كثير: «يقال: إنه لا يُعرف له ذنبٌ بعد ما أسلم»^(١).

قال الشافعي: كان محمود البلاء في الإسلام ﷺ.

قال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديداً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعاً وسبعين من طعنة ورمية وضربة^(٢).

* * *

(١) البداية والنهاية (١١/٧) (٣٥/٧) والطبري (٤٠١/٣).

(٢) السير للإمام الذهبي (٣٢٤/١).

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

* عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران: عن أبيه، أن معاوية أوصى فقال: كنت أوصي رسول الله ﷺ فنزع قميصه وكسانيه، فرفعته وخبأت قلامة أظفاره، فإذا مت فالبسوني القميص على جلدي، واجعلوا القلامة مسحوقة في عيني، فعسى الله أن يرحمني ببركتها.

* قال أبو عمرو بن العلاء: لما احتضر معاوية، قيل له: ألا توصي؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فما وراءك مذهب. وقال: هو الموت لا منجى من الموت والذي

نُحاذرُ بعد الموت أدهى وأفظع^(١)

* وفي رواية أنه جعل وجود نفسه ويقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب

عذاباً لا طوق لي بالعقاب

أو تجاوز فأنت ربي رحيم

عن مسيء ذنوبه كالتراب^(٢)

* وقال الحسن البصري:

دُخِلَ على معاوية، وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي على الموت أن حلّ بي، ولا على دنيا أخلفها، ولكن هما

قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي القبضتين أنا^(٣).

(١) انظر: ترجمة معاوية رضي الله عنه في «السيرة» (١١٩/٣ - ١٦٢).

(٢) «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا ص (٩٠)، و«البداية والنهاية» (٨/١٥٤)، و«كتاب المحتضرين» ص (٧١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (١٩٩).

* وقال ﷺ :

فإن الموت لم يَخْلُقْ جديداً

ولا هضباً تُوقِّلهُ الوبار^(١)

ولكن كالشهاب يضي ويخبو

وحادي الموت عنه ما يُجار

فهل من خالداً إما هلكنا

وهل بالموت يا للناس عار^(٢)

* وقال ﷺ وهو يَلْقَبُ في مرضه، وقد صار كأنه سعة محترقة :
أى شيخ تَقْلَبُونَ إن نَجَّاهُ الله من النار غداً؟^(٣) .

* وقال ﷺ لابنه يزيد: «اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب
النبي ﷺ وقُراصة من شعره وأظفاره، فاستودع القراصة أنفى وفمى
وأذنى وعينى، واجعل الثوب يلى جلدى دون أكفانى . . فإذا أدرجتمونى فى
جريدتى، ووضعتمونى فى حفرتى، فخلّوا معاوية وأرحم الراحمين»^(٤) .

* عن محمد بن سيرين قال: مرض معاوية مرضاً شديداً، فنزل عن
السريّر، وكشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخدّ مرة بالأرض،
وذا الخدّ مرة بالأرض، ويكى ويقول: اللّهُمَّ إنك قلت فى كتابك: ﴿إِنَّ
اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) . اجعلنى ممن تشاء أن
تغفر له»^(٦) .

(١) الهَضْبُ: جمع هضبة. وهضب الرجل هَضْباً: مشى مشية البليد من الدواب.

توقل فى الجبل: صعد فيه. الوبار: جمع وَبْر: حيوان فى حجم الأرنب قصير الذنب.

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥ / ٨١ - ٨٢).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٦٢).

(٤) «الكامل» لابن الأثير (٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠)، و«كتاب المحتضرين» ص (٦٨). والقراصة: القطعة.

وجريدتى: أى: ثوبى الخلق.

(٥) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٦) «كتاب المحتضرين» ص (٢٢٩).

أبو هريرة رضي الله عنه

* عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى على ديناكم هذه، ولكن على بُعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيتُ فى صُعود، ومهبطُهُ على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بى^(١).
- اللهم إني أحب لقاءك؛

* وعن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال: دخل مروان على أبى هريرة رضي الله عنه فى شكواه الذى مات فيه. فقال: شفاك الله. فقال أبو هريرة: اللهم إني أُحِبُّ لقاءك فأحِبُّ لقائى. فما بلغ مروانُ أصحاب القطا حتى مات - رحمه الله -^(٢). هكذا حياة الأحباب وموت الصالحين.

* وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على أبى هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته، فقلت: اللهم اشفِ أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها... قالها مرتين. ثم قال: إن استطعت أن تموت فمُت، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء. وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه^(٣).

صدق أبو هريرة ونصح فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه»^(٤).

(١) «الزهد» لابن المبارك ص (٣٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٣٣٩/٤)، و«وصايا العلماء» ص (٥٨)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٣٩، ٢٠٠ - ٢٠١)، وانظر: «السير» (٥٧٨/٢ - ٦٣٢) ترجمة أبى هريرة.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣٣٩/٤)، و«السير» (٦٢٥/٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٣١).
(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٢٠٤ - ٢٠٥)، و«طبقات ابن سعد» (٣٣٨/٤)، و«حلية الأولياء» (٣٨٤/١).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة.

أبو سفيان بن الحارث بن المطلب رضي الله عنه

تَرَبَّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.
* عن أبي إسحاق قال: «قال أبو سفيان بن الحارث لما حضره الموت لأهله: لا تبكوا عليّ، فما تنظّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»^(١).

عبادة بن الصامت رضي الله عنه

* عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال:
لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن،
يعني إلى الدار، ثم قال: اجمعوا لي موالِيّ، وخدمي وجيراني، ومَنْ كان
يدخل عليّ، فجمعوا له فقال: إنّ يومِي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ
من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعلّه قد فرط مني إليكم
بيدي، أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة،
وأُحرّج عليّ أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصر مني قبل أن
تخرج نفسي، فقالوا: بل كنت والدًا، وكنت مؤدّبًا، قال: وما قال لخدم
قط سوءًا. فقال: أغفرتُم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: اللّهم
اشهد^(٢).

* * *

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص (١١٥)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٠)،
و«روضة المحبين» ص (٣٤١)، وتنظّف، أي: تلطخ.

(٢) «وصايا العلماء عند الموت» ص (٤٨ - ٤٩).

عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه

وها هو (ابن أم مكتوم) صاحب الهمة العالية الذي أنزل الله عذره من فوق سبع سماوات يأبى إلا أن يجاهد في سبيل الله . . ولم يعجز أن يجد له دوراً يتناسب مع قدراته لينصر دين الله - جل وعلا - .
فكان يغزو ويقول: «ادفعوا إلى اللواء فإنى أعمى لا أستطيع أن أفرّ وأقيموني بين الصفين»^(١).

وفى السنة الرابعة عشرة للهجرة عقد عمر بن الخطاب العزم على أن يخوض مع «الفرس» معركة فاصلة تُدِيل^(٢) دولتهم، وتُزِيل مُلْكهم، وتفتح الطريق أمام جيوش المسلمين، فكتب إلى عُمّاله يقول: لا تدعوا أحداً له سلاح، أو فرس، أو نجدة، أو رأى؛ إلا انتخبتموه ثم وجهته إلى، والعجل العجل - السرعة - .
وظفقت جموع المسلمين تُلَبّي نداءً الفاروق، وتنهال على المدينة من كل حذب وصوب^(٣)، وكان في جملة هؤلاء المجاهد المكفوف البصر عبد الله ابن أم مكتوم.

فأمّر الفاروق على الجيش الكبير سعد بن أبي وقاص، وأوصاه وودعه .
ولما بلغ الجيش «القادسية» برز عبد الله بن أم مكتوم لابساً درعه، مُسْتَكْملاً عُدته، وندب نفسه لحمل راية المسلمين والحفاظ عليها، أو الموت دونها .
والتقى الجمعان في أيام ثلاثة قاسية عابسة . . . واحترب الفريقان حرباً لم يشهد لها تاريخ الفتوح مثيلاً حتى انجلي اليوم الثالث عن نصرٍ مُؤزِرٍ للمسلمين، فدالت دولةٌ من أعظم الدول .

(١) أخرجه ابن سعد (١٥٤/١/٤) .

(٢) تدليل دولتهم: تغلب دولتهم .

(٣) من كل حذب وصوب: من كل ناحية .

وزال عرش من أغرق عروش الدنيا... ورُفعت راية التوحيد في أرض الوثنية. وكان ثمن هذا النصر المبين مئات الشهداء... وكان بين هؤلاء الشهداء عبد الله بن أم مكتوم فقد وجدَ صريعاً مُضرجاً بدمائه وهو يُعانق راية المسلمين^(١).

عاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

على إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفى غيظها، وتروى غلة حقدِها، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة... فكانت غزوة أحد.

وقامت نسوة قريش بنصييهن في المشاركة في المعركة، تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فكن يتجولن في الصفوف، ويضربن بالدفوف، يستنهضن الرجال، ويحرضن على القتال ويثرن حفاظ الأبطال، ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال، فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن:

وَيَهَّأَ بَنَى عَبْدِ الدَّارِ
وَيَهَّأَ حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

وتارة يآزرن قومهن على القتال وينشدن:
إِنْ تُقْبَلُوا نَعَانِقُ
وَنَفْـرِشِ النَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نَفْـرِشِ
فِرَاقِ غَيْرِ وَأَمِقِ^(٢)

(١) صور من حياة الصحابة (ص ١٥٦ ، ١٥٧) بتصرف.

(٢) الرقيق المختوم (ص: ٢٧٣ ، ٢٧٤).

ودارت رحي الحرب بين الفريقين وارتفعت الصيحات وتطايرت الرؤوس، وسالت الدماء في أرض الشرف والقتال.
وسكتت الأفواه والألسنة، وتكلمت السيوف بل وصرخت على رؤوس أعداء الله - جل وعلا - .

ووضعت الحرب أوزارها فقامت (سُلَافَة بنت سعد) - وهي مشركة من نساء قريش - تبحث عن زوجها وأولادها الثلاثة، فجعلت تطوى الأرض بحثًا عنهم، إلى أن وجدت زوجها صريعاً، فقامت في فزع وخوف تبحث عن أولادها (مُسَافِع وكلاب والجلال)، فما لبثت أن رأتهم صرعى على سفوح أحد.
أما مسافع وكلات، فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجلال فوجدته وما تزال به بقية من دماء.

أَكَبَت سُلَافَة على ابنها الذي يعالج سكرات الموت، ووضعت رأسه في حجرها، وجعلت تمسح الدماء عن جبينه وفمه، وقد يبس الدمع في عينيها من هول الكارثة، ثم أقبلت عليه وهي تقول: مَنْ صرعتك يا بني؟ فهمّ أن يجيبها، ولكن حشجة الموت منعتة، فألحت عليه بالسؤال، فقالت: صرعتني عاصم بن ثابت، وصرع أخى مسافعاً، و... ثم لفظ آخر أنفاسه.
جُن جنون سُلَافَة بنت سعد، وجعلت تعول وتنشج، وأقسمت باللات والعُزَّى ألا تهدأ لها لوعة، أو ترقأ لعينيها دمعة إلا إذا تأرت لها قريش من عاصم بن ثابت، وأعطتها قحف رأسه لتشرب فيه الخمر^(١).

قال أبو جعفر الطبري: وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرها في قريش، وجعل كل فتى من فتیان مكة يتمنى أن لو ظفر بعاصم بن ثابت وقدم رأسه لسُلَافَة، حتى كان يوم الرجيع في السنة الرابعة من الهجرة.
فلما كان يوم الرجيع «بعث رسول الله ﷺ عشرةً عِيناً وأمر عليهم

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٣٩٨).

عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدية بين عُسْفان ومكة ذُكروا لحيٍّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكَلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر...»^(١).

تذكر عاصم نذر سلافة الذي نذرته، وجرد سفيه وهو يقول: اللهم، إني أحمي لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمي وعظمي، ولا تُظفر بهما أحداً من أعداء الله^(٢).

اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي آخره. قال ابن إسحاق: فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه؛ لبيعوه لسلافة بنت سعد، فمنعته الدبر^(٣)، فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً تنجساً.

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعه: يحفظ الله العبد المؤمن،... كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمسه مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته^(٤).

(١) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٩٨٩) كتاب المغازي.

(٢) صورة من حياة الصحابة (ص: ٤٠٠).

(٣) جماعة النحل والزنابير.

(٤) البداية والنهاية (٦٧/٣).

والجزاء عند الله من جنس العمل .
يقول ابن سيد الناس فى المقامات العلية فى الكرامات الجليلة: أعطى الله
عهداً أن لا يمسّ مشركاً .

وعناية الرحمن تعصم عاصماً
عَنْ أَنْ يُنَالَ بِرَاحَةٍ أَوْ أُصْبِعَ
بِالسَّيْلِ بَعْدَ الدَّبْرِ مِنْ أَعْدَائِهِ

فى مصرعٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَصْرَعٍ^(١)
أَخَذَهُ السَّيْلُ بَعِيداً، وَمَضَى بِهِ إِلَى حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ .
وصان الله رأس عاصم الكريمة من أَنْ يُشْرَبَ فى قَحْفِهَا الْخَمْرُ .
حمى دينه، فَحُمِيَ جَسَدُهُ .

لم يمسّ مشركاً فى دنياءه، فلم يمسّه مشرك بعد موته .
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا
أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة على رعل وذكوان وعُصِيَّةَ عَصَتِ الله
ورسوله .

قال أنس: أنزل فى الذين قُتِلُوا ببئر معونة قرآنُ قرأناه ثم نُسخَ بعد:
«بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرْضَى عَنَا وَرَضِينَا عَنْهُ»^(٢) .

* * *

(١) المقامات العلية (ص ٧٢) نقلاً من الجزء من جنس العمل (٢/ ٤٤) .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨١٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

عثمان بن مظعون رضي الله عنه

بعد رحلة طويلة مملوءة بالعطاء والطاعة والعبادة نام هذا الصحابي الجليل على فراش الموت.

فعن خاتمة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء - امرأة من نسائهم بايعت النبي ﷺ - أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حيث اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين.

قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفى، وجعلناه في أثوابه فدخل علينا النبي ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب (عثمان ابن مظعون) شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: «وما يدرك أن الله أكرمهم؟» قالت: قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: «أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله - وأنا رسول الله - ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أزكى أحداً بعده قالت: فأحزنني ذلك فتمت فرأيت لعثمان عيناً تجري فجئت رسول الله ﷺ وأخبرته فقال: «ذلك عمله»^(١).

بل لقد فاز هذا الصحابي الجليل بمنقبة عظيمة ألا وهي أن النبي ﷺ قبله وسالت دموعه على خده.

فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون^(٢).

وعن أبي النضر قال: لما مرَّ بجنزة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٩٢٩) كتاب المناقب.

(٢) رواه الترمذي (٩٨٩) كتاب الجنائز وقال: حديث صحيح. وأحمد (٤٣/٦). وهو حسن بشاهده عند البزار.

«ذهبت ولم تلبس منها بشيء»^(١) - أي: من الدنيا.

وعن المطلب بن عبد الله قال: لما دفن النبي ﷺ عثمان بن مظعون، قال لرجل: هلم تلك الصخرة، فاجعلها عند قبر أخي، أعرفه بها، أدفن إليه من دفنت من أهلي، فقام الرجل فلم يطقها، فقال - يعني الذي حدثه - : فلكأنني أنظر إلى بياض ساعدى رسول الله ﷺ حين احتملها، حتى وضعها عند قبره^(٢).

وظل الحبيب ﷺ يذكر عثمان بن مظعون ﷺ ولا ينساه أبداً... وكيف ينساه وهو الذي جرت دموعه على خده يوم موته حزناً عليه. فلما ماتت بنت رسول الله ﷺ قال لها: «الحق بسلفنا الخير عثمان بن مظعون»^(٣).

* * *

(١) أخرجه مالك ص ١١٦ فى الجنائز مرسلًا: باب جامع الجنائز، برقم (٥٦)، ومن طريقه ابن سعد (٢٨٩/١/٣). وقال الزرقانى: وصله ابن عبد البر من طريق: يحيى بن سعيد، عن القاسم عن عائشة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٠٦) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٠٦٠).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣٩٨/٣)، والطبرانى (٣٧/٩)، والحاكم (٢١٠/٣)، والطيالسى (ص ٣٥١)، وأحمد (٣٣٥/١)، قال الهيثمى (١٧/٣) فيه على بن زيد وفيه كلام وهو موثق.

أبو الدرداء رضي الله عنه

* عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على أبي الدرداء في اليوم الذي قُبِضَ فيه وكان عندهم كأنفسهم - فجعل أبو مسلم يُكَبِّرُ، فقال أبو الدرداء: أجل هكذا فقولوا: فإن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى^(١).

* وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشكى؟ قال: أشتكى ذنوبي!

قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو أضجعني^(٢).

* وعن أبي مسلم قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ثم قُبِضَ^(٣).

* قالت أم الدرداء: لما احتضر أبو الدرداء، جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا^(٤)؟

رضي الله عن حكيم الأمة القائل: «إن لنا داراً لها نعمل، وإليها نظعن، والمخف فيها خير من المثلث^(٥)».

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٠٩).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣٩٣/٧)، و«صفة الصفوة» (٦٤٢/١)، و«الثبات عند المات» ص (١٢٨)، و«الحلية» (٢١٨/١)، و«الزهدة» لأحمد (١٣٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٣٠٩/١٣)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٣٧).

(٣) «صفة الصفوة» (٦٤٢/١)، و«الثبات عند المات» ص (١٢٩).

(٤) انظر: «السير» ترجمة أبي الدرداء (٣٣٥/٢ - ٣٥٣).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص (١٣٨).

البراء بن مالك رضي الله عنه

رضي الله عن الأسد المغوار الذي قال فيه رسول الله ﷺ :

«كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرِ ذِي طَمَرِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ، مِنْهُمْ البراء بن مالك»^(١).

* عن أنس قال: دخلت على البراء وهو يتغنى ويرنم قوسه، فقلت: إلى متى هذا؟ قال: أتراني أموت على فراشي؟! والله لقد قتلت بضعا وتسعين^(٢).

استشهد الأسد المغوار يوم فتح «تُسْتَر».

* وعن أنس قال: لقي أخى البراء زحفاً من المشركين، فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيّ ﷺ، فمُنحوا أكتافهم وقُتل شهيداً^(٣).

وعند الطبري: «اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني»^(٤).
ورزقه الله شهادة في سبيله.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذی (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٢) «طبقات ابن سعد» (١٠/١/٧)، وإسناده صحيح.

(٣) «صفة الصفوة» (٦٢٦/١)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٥).

(٤) «تاريخ الطبري» ص (٥١٠).

النعمان بن مقرن رضي الله عنه

كان مع النعمان لواء مَزِينَةٌ في فتح مكة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن».

* وفي نهاوند جمع الفرس مائة وخمسين ألفًا تحت إمرة الفيرزان، وقد قرن بعضهم بعضًا، كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد، وقالوا: مَنْ فرَّ منا عقره حسك الحديد.

وخطب النعمان في جيشه:

«... إذا كَبُرَتِ التكبيرة الأولى؛ فشدَّ رجل شسعه، وأصلح من شأنه، وليتهيأ من لم يكن تهيأً، فإذا كَبُرَتِ الثانية؛ فشدَّ رجل إزاره، وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، ويتهيأ لوجه حملته، فإذا كَبُرَتِ الثالثة فإنِّي حامل إن شاء الله فاحملوا معًا. اللهم إني أسألك أن تُقرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذُلٌّ يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك أمَّنوا يرحمكم الله»^(١) فأمن المسلمون وبكوا.

وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة، وهو يحمل الراية - وقد رآها المسلمون تنقضّ نحو الأعاجم انقضاض العقاب.

يقول جبير: «فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذٍ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا

(١) «تاريخ الطبري» (٤/١١٩).

صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة، بعضهم على بعض فى قياد فيقتلون جميعاً، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذى وضعوه خلفهم واقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً يصفه الرواة بقولهم: «لم يسمع السامعون بوقعة قط كانت أشد منها»، واستمر القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام، وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم، وزلق فرس النعمان فلقى النعمان مصرعه.

وفى رواية ابن إسحاق وجبير: أنه رُمى بنشابة فأصابته خاصرته فقتلته، وكان أخوه نعيم بن مقرن قريباً منه، وأسرع نعيم - وفى رواية جبير: معقل ابن مقرن - وسجى النعمان بثوب، ثم أتى حذيفة بن اليمان فى ميمته فدفع إليه الراية باعتباره خليفة النعمان. وكتبوا مصاب النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس. وقُتل من الفرس مائة ألف أو يزيدون، وفى رواية أنه قُتل فى اللهب^(١) ثمانون ألفاً، وفى المعركة ثلاثون ألفاً، مقترونون فى السلاسل سوى من قُتل فى المطاردة^(٢).

واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا: «أين أميرنا؟»، قال معقل بن مقرن: «هذا أميركم، قد أقر الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة».

وفى رواية عن معقل بن يسار قال: «فأتيت النعمان وبه رمق، فغسلت وجهه من إداوة ماء كانت معى: فقال: مَنْ أنت؟ قلت: معقل، قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح الله ونصره. قال: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر». ولما أتى عمر بغنائم نهاوند قال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك بأعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن - رحمه الله -، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى، فنشج حتى

(١) جرف من خندق أو واد عميق.

(٢) «تاريخ الطبرى» (٤/١٣٦).

لأنظر إلى فروع منكبه من فوق كتفه... ونشج كأنما أصيب بأعز إنسان لديه... وكاد الحزن على النعمان يُنسى عمر فرحة الفتح بهذا النصر الكبير الذي سُمي في التاريخ بفتح الفتوح^(١).

خالد بن سعيد رضي الله عنه

استشهد فسطح له نور إلى السماء فكان سبباً في إسلام قاتله.
خاض خالد بعض المعارك ضد الروم، وكان من أشجع الفرسان، وكان معه أخواه «أبان وعمرو» فأما عمرو فلقد استشهد البطل في معركة فحل، «رُئي وهو مضروبٌ على حاجبه بالسيف، وقد ملأ الدم عينيه، وهو لا يستطيع أن يطرف ولا أن يفتح جفنه من الدم، وكان الروم قد حنقوا عليه لما رأوا من شدة قتاله، فجردوا له فريقاً، فمشى إليهم بسيفه فضاربهم ساعة، وثار بينهم الغبار؛ فشد عليهم المسلمون، وإذا الروم قد قطعوه بسيوفهم، ووُجد به أكثر من ثلاثين ضربة»^(٢).

وما يضيره وقد مضى البطل إلى ربه، ومنح الله إخوانه من المسلمين أكتاف الروم، وقتلوا قائدهم سقلار (سكلاريوس)، وقتلوا منهم زهاء عشرة آلاف^(٣).
وأما خالد وأبان فلقد استشهدا يوم أجنادين (على الصحيح).
ويُروى أن خالدًا رضي الله عنه استشهد، فقال الذي قتله بعد أن أسلم: مَنْ هذا الرجل؟ فإني رأيتُ نوراً له ساطعاً إلى السماء.
وقيل: كان خالد بن سعيد وسيماً جميلاً، قُتل يوم أجنادين^(٤).

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٦/٣).

(٢) الطريق إلى دمشق (ص: ٣٤٤).

(٣) علو الهمة - د سيد حسين (٤١٣/٣).

(٤) السير للإمام الذهبي (١/٢٦٠).

وهكذا رحل بطلنا الحبيب عن دنيا الناس بعد أن ضحى بثروة أبيه وآثر الإسلام على هذا المتاع الزائل من أجل أن يظفر بصُحبة الحبيب ﷺ وبرضوان الله - جل وعلا - ومن ثمَّ بالنعيم المقيم في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد: خذ درعى، قال: إني أريد من الشهادة مثل ما تريد. فتركها جميعاً ^(١).

* وعن الجحاف بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، ولقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرجال، فجعل زيد يقول: أما الرجال فلا رجال، وأما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: إنا نخاف أن نُؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيت من قبلى ^(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأهش للصبا؛ لأنها تأتي من ناحية أخى زيد ^(٣).

وقال لمتسم بن نويرة: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك ^(٤).

(١) «الحلية» (٣٦٧/١).

(٢) «صفة الصفوة» (٤٤٧/١)، و«طبقات ابن سعد» (٣٧٧/٣) باختصار، و«الطبقات عند الممات» ص (١٠٩).

(٣، ٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١١/٥)، دار الكتب العلمية.

لقد لامنى عند القُبور على البكا
 رفيقى لتذراف الدموع السَّوافكِ
 فقال أَتَبكى كُلَّ قَبْرٍ رأيتَهُ
 لقبر ثوى بين اللوى والدكادكِ
 فقلتُ له إن الشَّجَا يبعثُ الشَّجَا
 فدعنى فهذا كله قبرُ مالك^(١)

عامر بن فهيرة رضي الله عنه

لقد وقف موقفاً لا يُنسى أبداً مع تعاقب الجديدين - الليل والنهار - إنه موقفه يوم هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم فقد كان بمثابة وزارة التموين للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، حيث كان يأتي إليهما بالغنم ليشربا اللبن، بل كان يمحو آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر حتى لا يهتدى المشركون إلى مكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه.

وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما. قالت عائشة: وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين ~~يخاطب~~ الظلام. وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رَسَل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينقو بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله

(١) «ديوان الحماسة بشرح التبريزي» (١/ ٣٣٠ - ٣٣١).

قال متمم بن نويرة لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر بن الخطاب: ما عزانى أحد عن أخى بمثل تعزيتيه. «وفيات الأعيان» (٥/ ١١).

ابن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى عليه^(١).
 * وبذلك كان عامر بن فهيرة رضي الله عنه يعفى^(٢) على آثار عبد الله بن أبي بكر، فلا يتفطن إليه أحدٌ، ولا يستدلُّ بآثاره على المهاجرين الكريمين.
 * لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت والله! قال: وذُهب بعامر علُوًّا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليَّين»، وسأل جبار بن سلمى ما قوله فزت والله؟ قالوا: الجنة. قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه.
 قالت عائشة رضي الله عنها: رُفِعَ عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارتته^(٣).

عمرو بن العاص رضي الله عنه

* عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص، عجباً لمن نزل به الموت، وعقله معه كيف لا يصفه؟! فلما نزل به الموت، ذكره ابنه بقوله، وقال: صفه. قال: يا بني! الموت أجلٌ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأن في جوفى الشوك، وأجدني كأن نفسي يخرجُ من إبرة.
 وفي رواية: والله ليتني كنتُ حيضاً أعركتني الإمام بدريب الإذخر^(٤).
 * وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جرَّع عمرو بن العاص عند الموت

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٥)، ابن هشام (٤٨٦/١).

(٢) يعفى: يخفى الآثار، وهو ما يشبه عمليات التمويه في عصرنا الحالي.

(٣) «الثبات عند الممات» ص (١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٢٣١/٣).

(٤) الحيضة هي: الخرقة التي تستشر بها الإمام. وعركه: دلكه. والإذخر: نبات.

جزعاً شديداً، فقال ابنه عبد الله: ما هذا الجزعُ، وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيكَ ويستعملك؟! قال: أى بنى! قد كان ذلك، وسأخبرك: إى والله ما أدرى أحبُّا كان أم تألُّفاً، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية، وابن أم عبد... فلما جدَّ به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجيراً حتى مات^(١).

* وفى رواية عن أبى نوفل قال: لما جدَّ بعمر بن العاص، وضع يده موضع الغلال^(٢) من رقبته، فقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجيراً^(٣) حتى مات^(٤).

* وعن محمد بن زياد أن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال: اللهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا الله - ثم قبض عليها بيده اليمنى - وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ثم قبض عليها بيده اليسرى.

قال: فقبض وإن يديه لمقبوضتان^(٥).

* وعن ابن شماس المهرى قال:

حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت، فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ

(١) انظر: «السير» (٣/ ٥٤ - ٧٧)، وفى «كتاب المحتضرين» ص (٩٣): والله يا بنى لكأن جنبى فى تخت، وكأنى أتفس من سم إبرة، وكان غصن الشوك يُجرُّ به من قدمى إلى هامتى، ثم قال:

ليتنى كنت قبل ما بدالى فى قلال الجبال أرمى الوعولا

«طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠).

(٢) يعنى: الأغلال.

(٣) الهجيرى: كثرة الكلام، وما يولع المرء بذكره.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص (١٤٧) رقم (٤٣٩)، و«المسند» لأحمد

(٤/ ٢٠٠).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص (٩٦).

بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. إني قد كنت على أطباق^(١) ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: أبسط يمينك فلأبائعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: «ما لك يا عمرو؟»، قال: قلت: أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟» قلتُ: أن يغفر لي قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»، وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقْتُ؛ لأنني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها^(٢).

حنظلة (غسيل الملائكة) رضي الله عنه

لما أحسَّ حنظلة بحاجته إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه. ذهب وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول. فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له.

فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها - جامعها - وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم

(١) أطباق، أي: أحوال ثلاث.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١) في كتاب الإيمان.

أنه دخل بها. فقبل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة. وعلقت بعبد الله بن حنظلة. وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبى ﷺ وهو يسوى الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان. فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ: «رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب»^(١).

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب. فولده يقال لهم: «بنو غسيل الملائكة»^(٢).

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبتة عنه -زوجته» فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»^(٣).

* * *

(١) رواه الطبراني في الكبير وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٦٣).

(٢) صفة الصفوة (١/٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٢/٢٠٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخرجاه وسكت عليه الذهبي، وقال الشيخ مصطفى العدوى في فضائل الصحابة: إسناده حسن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٦).

حرام بن ملحان رضي الله عنه

فاز بالشهادة في حادثة بئر معونة.

وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك (المدعو بملاعب الأسنّة) قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله! لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك؛ لرجوت أن يجيئوهم، فقال: «إني أخاف عليهم أهل نجد» فقال أبو براء: أنا جارٌ لهم، فبعث معه أربعين رجلاً، في قول ابن إسحاق^(١)، وفي الصحيح^(٢): أنهم كانوا سبعين، والذي في الصحيح هو الصحيح، وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة الملقب بالمعتق ليموت، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم^(٣)، فساروا يحتطبون بالنهار، يشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن، ويصلون بالليل، حتى نزلوا بئر معونة - وهي أرض بين بنى عامر وحرّة بنى سليم - فنزلوا هناك، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر ابن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة»^(٤).

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٦٧٨/٣) عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٨٨) كتاب المغازي، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قلت: وقد ورد بالشك بين الأربعين والسبعين في أحد روايات الحديث عند البخاري (٣١٧٠).

(٣) كذا في جميع النسخ التي بين يدي، وهو كلام غير مستقيم، وفي «السيرة» لابن هشام (٦٧٨/٣): «بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المعتق، ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين...».

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦/٧) كتاب المغازي.

معاذ بن جبل رضي الله عنه

عن الحارث بن عميرة، أنه قدم مع معاذ من اليمن، فمكث معه في داره وفي منزله، فأصابهم الطاعون، فطعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحيل ابن حسنة وأبو مالك، رضي الله عنهم في يوم واحد، وكان عمرو بن العاص، حين خبر بالطاعون، فرق فرقاً شديداً، وقال: يا أيها الناس! تفرقوا في هذه الشعاب، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزاً - أو طاعوناً -، فقال له شرحيل ابن حسنة: كذبت، قد صحبنا رسول الله ﷺ وأنت أضل من حمار أهلك، فقال عمرو: صدقت.

وقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص: «كذبت، ليس بالطاعون ولا الرجز ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، اللهم فأت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال: فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يُكنى به. فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروباً، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن: يا أبت: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(١) فقال معاذ رضي الله عنه: وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فمات من ليلته ودُفن من الغد... ثم إن معاذاً رضي الله عنه اشتد به نزع الموت، فنزع أشد العالم نزعه. فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه فقال: اخنقني خنقك، فوعزتكَ إنك لتعلم أنني أحبك»^(٢).

وعند ابن سعد: «ثم طعن امرأته فهلكتا، وطعن هو في إبهامه، فجعل

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٧).

(٢) إسناده حسن: سبق تخريجه. «بذل الماعون في فضل الطاعون» ص (٢٦٦-٢٧٠).

يُحْسِنُ بِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ، فَبَارِكْ فِيهَا. فَإِنَّكَ تَبَارَكٌ فِي الصَّغِيرِ حَتَّى هَلَكَ»^(١).

* وعن عمرو بن قيس:

أَنْ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟

قَالَ: فَقِيلَ: لَمْ نَصْبَحْ، حَتَّى أَتَى فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ.

قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ. مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ مَرْحَبًا، زَائِرُ مُغَبٍّ^(٢) حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَطَوَّلَ الْبَقَاءَ فِيهَا لَكَرَى^(٣) الْأَنْهَارِ، وَلَا لَغَرَسِ الْأَشْجَارِ، وَلَكِنْ لَظْمًا الْهَوَاجِرِ، وَمُكَابَدَةً السَّاعَاتِ^(٤)، وَمُزَاحِمَةً الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حَلْقِ الذِّكْرِ^(٥)... مِنْ أَجْلِ هَذَا يَعِيشُ مُقَدِّمُ الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى الشُّوقِ وَالْحُبِّ لِلَّهِ يَمُوتُ.

* * *

(١) «طبقات ابن سعد» (٥٨٩/٣).

(٢) أى: قليل الزيارة.

(٣) كرى الأنهار أى: حفرها.

(٤) أى: صيام نهار الصيف، وقيام ليل الشتاء.

(٥) «الزهد» لأحمد (١١٦/٢)، و«حلية الأولياء» (٢٣٩/١)، و«صفة الصفوة» (٥٠١/١)، و«النبات

عند الممات» (١١٩/١)، و«كتاب المحتضرين» (١١١).

حكيم بن حزام رضي الله عنه

إن من كمال رحمة الله -جل وعلا- أن الكافر إذا أسلم؛ فإن الله يجعل كل خير عمله قبل الإسلام في ميزان حسناته بعد الإسلام.

فهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت أموراً كنت أتحنت بها في الجاهلية، هل لى فيها من شيء؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير»^(١).

وفى رواية: قال ﷺ: «أسلمت على صالح ما سلف لك» فقلت: «يا رسول الله، لا أدع شيئاً صنعتته في الجاهلية إلا صنعت لله في الإسلام مثله. وكان أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وأعتق في الإسلام مثلها. وساق في الجاهلية مئة (بدنة)، وفي الإسلام مثلها.

وهكذا أراد حكيم رضي الله عنه أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية أو نفقة أنفقها في عداوة رسول الله ﷺ.

وكان إذا اجتهد في يمينه قال: «لا والذي نجاني يوم بدر من القتل»^(٢). فكان يحمد الله أن أبقاه حتى أسلم وفعل الخير الذي يمحو به خطاياہ في الجاهلية.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣٦) كتاب الزكاة، ومسلم (١٢٣) كتاب الإيمان.

(٢) جمهرة نسب قريش (ص: ٣٦٣).

يشتري داراً في الجنة

ولعلكم تعرفون جميعاً «دار الندوة» التي كانت قريش تعقد فيها مؤتمراتها ومؤامراتها، وكان من أقبح تلك المؤامرات المؤامرة التي عقدوها لقتل رسول الله ﷺ - فأراد حكيم بن حزام أن يغلق هذا التاريخ الأسود والماضي البغيض... فلما آلت إليه دار الندوة - أصبحت في ملكه - باعها بمائة ألف درهم، فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم يا ابن أخي إلا التقوى، إني اشتريت بها داراً في الجنة، أشهدكم أنني قد جعلتها لله»^(١).

رحلة الرحيل

وبعد رحلة طويلة من العطاء للإسلام نام حكيم على فراش الموت فلما دخلوا عليه وجدوه يقول: «لا إله إلا الله قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك»^(٢).

وفاضت روحه إلى ربه - جل وعلا -.

* * *

(١) قال الهيثمي: أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن - مجمع الزوائد (٩/٣٨٤).

(٢) جمهرة نسب قريش (ص ٣٧٧).

أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه

يوقن هذا الصحابي الجليل أنه سيلقى ربه لا محالة، فقد قال الله تعالى
لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾.

فتمنى على الله أن يموت وهو ساجد، فكان يقول: إني لأرجو ألا
يخنقني الله كما أراكم تُخنقون.

فبينما هو يصلي في جوف الليل، قُبِضَ، وهو ساجد. فرأت بنته أن أباهما
قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه.
فنادته فلم يجبها فأنبهته فوجدته ميتاً (٢).

ويا لها من خاتمة السعادة.. فإنه من عاش على شيء مات عليه ومن
مات على شيء بُعث عليه.. ولقد مات أبو ثعلبة رضي الله عنه ساجداً لله - جل
وعلا- وسوف يُبعث إن شاء الله ساجداً.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣).

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٣٤ ، ٣٥).

(٢) الإصابة للحافظ ابن حجر (٥٦/١١).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

عبد الله بن جحش رضي الله عنه

لما كانت غزوة أحد دخل (عبد الله) يقاتل قتال من يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها.

فلما رأى - سعد بن أبي وقاص - دار بينهما هذا الحوار الذي يعجز القلم عن وصفه.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: لما كانت «أحد» لقيني عبد الله بن جحش وقال: ألا تدعو الله؟ فقلت: بلى. فخلونا في ناحية فدعوت فقلت: يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده^(١) أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه، حتى أقتله وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش على دعائي، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني؟ ثم يأخذني فيجدع - يقطع - أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: فيم جدع أنفك وأذنك؟... فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد بن أبي وقاص: لقد كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار، وقد قُتل ومُثل به، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان على شجرة بخیط^(٢).

عن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بما ذاك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيب: إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله^(٣).

(١) حرده: غضبه وثورته.

(٢) صفة الصفوة (١/١٥٩) بتصرف.

(٣) رواه الحاكم (٣/١٩٩، ٢٠٠) معرفة الصحابة وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه.

ووافقه الذهبي. وقال الألباني: لكن له شاهد موصول وأخرجه البغوي كما في الإصابة من طريق إسحق بن سعد بن أبي وقاص: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد في آخره قال سعد: «فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط».

جليبب رضى الله عنه

عن أبى برزة أن النبى ﷺ كان فى مغزى له فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكنى أفقد جليبيبا فاطلبوه». فطلب فى القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبى ﷺ فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا منى وأنا منه، هذا منى وأنا منه». قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبى ﷺ. قال: فحفر له ووضع فى قبره. ولم يذكر غسلًا^(١).

عمير بن الحمام رضى الله عنه

عن أنس قال: قال النبى ﷺ يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «ما حملك على قول: بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل^(٢).
لله دره كم كان شوقه عارمًا إلى الجنة.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠١) كتاب الإمارة.

بخ بخ: كلمة تطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

عن عبد الله بن إبراهيم القرشي قال:

لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبد الله، إني والله ما مت موتاً، ولكني فئت فناء، وإني موصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإني أستودعك الله يا بني.

ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا الله. ثم شخص ببصره فمات^(١).

أنس بن مالك رضي الله عنه

عن أنس بن سيرين قال: شهدت أنس بن مالك، وحضره الممات فجعل يقول: لقنوني لا إله إلا الله فلم يزل يقولها حتى قبض - رحمه الله -^(٢).

أنس بن النضر رضي الله عنه

يقول «أنس بن مالك» غاب عمي «أنس بن النضر» عن قتال بدر فقال: غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعني: المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -

(١) «كتاب المحتضرين» ص (٢١٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١/٣٥٢).

(٢) «الثبات عند الممات» ص (١٣٣).

يعنى: المسلمين- ثم مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد: يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه -رؤوس الأصابع- قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا...﴾ (١) نزلت فيه وفي أصحابه (٢).

- وفى رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبي ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار فى نفوس كثير من أصحاب النبي ﷺ، فتوقف منهم من توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكيناً، ومرَّ بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى: المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى: المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس واهماً لريح الجنة يا سعد إنى أجده دون أحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرِفَ حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم (٣).

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٨٥/٢٠ وأسباب النزول للواحدي ١٣٧، والحديث متفق عليه عن أنس، أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٧)، ورواه مسلم، باب فى قوله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، كتاب الجهاد.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٤٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمامة.

خبيب بن عدي رضي الله عنه

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عييناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلاً لهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم. فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحابكم، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجرروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم. فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحذ بها، فأعارته، فدرج بُنى لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلسه على فخذه والموسى بيده. ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه

الله خبيئاً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحِل قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تَبُق منهم أحداً. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالى حين أُقتل مسلماً

على أى جنب^(١) كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال^(٢) شلو^(٣) ممزع^(٤)

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله. وكان خبيب هو سنّ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة^(٥).

شداد بن أوس رضي الله عنه

كان رضي الله عنه ممن أوتى العلم والحلم. وكان صاحب ليل - أى قيام ليل -. عن محمود بن الربيع أن شداد بن أوس حين حضرته الوفاة قال: «يا نعايا العرب، يا نعايا العرب، أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفية»^(٦).

* * *

(١) فى رواية باب غزوة الرجيع من كتاب المغازى من «صحيح البخارى»: على أى شق.

(٢) أوصال: جمع وصل، وهو العضو.

(٣) الشلو: الجسد، وقد يطلق على العضو ولكن المراد به: الجسد.

(٤) الممزع: المقطع.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير.

(٦) «الثبات عند الممات» ص (٧٢، ٧٣).

عامر بن ربيعة رضي الله عنه

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: حين نشب الناس في الفتنة قام أبى يصلى من الليل، ثم نام فأرى في المنام فقيلاً له: قم فسل الله أن يعيدك من الفتنة - قتل عثمان - التى أعاذ منها صالح عباده، فقام يصلى ثم اشتكى فما خرج إلا في جنازة.

وفى رواية: «لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله عنه قام أبى يصلى من الليل، وقال: اللهم قنى من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، قال: فما خرج إلا في جنازة»^(١).

أبو بكره مولى النبى صلى الله عليه وسلم

عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثنى أبى:

أن أبا بكره لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبك ليردها إن كان صادقاً؟ قالوا: وما يُغنى الآن؟

قال: ولا قبل!

قال: فجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أى بنية لا تبكى.

قالت: يا أبتاه، فإن لم أبك عليك فعلى من أبكى؟

قال: لا تبكى، فوالذى نفسى بيده ما فى الأرض نفس أحب إلىَّ أن

تكون خرجت من نفسى هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر.

(١) «حلية الأولياء» لأبى نعيم (١/١٧٨).

ثم أقبل على حمران - مولى عثمان بن عفان - وهو عند رأسه فقال:
ألا أخبرك لماذا خشيتك؟ والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام^(١).

الحسن بن علي رضي الله عنه

عن رقة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشي
إلى صحن الدار، قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أحسب
نفسى عندك، فإنها أعز الأنفس علي^(٢). فكان مما صنع الله له أن احتسب
نفسه عنده.

* وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال:

«لما أن حضر الحسن بن علي الموت، بكى بكاءً شديداً، فقال له الحسين:
ما يُبكيك يا أخي، وإنما تقدّم على رسول الله ﷺ وعلى عليّ وفاطمة
وخديجة وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك «سيد شباب
أهل الجنة»، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على
قدميك خمس عشرة مرة حاجاً؟... وإنما أراد أن يطيب نفسه.
قال: فوالله ما زاده إلا بكاءً وانتحاباً، وقال: يا أخي، إني أقدم على أمر
عظيم وهول لم أقدم على مثله قط^(٣)».

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١١٥-١١٦)، و«الثبات عند الممات» ص (١٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق»
(١٨٣/٢٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٣٨/٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٠٣)، و«وصايا العلماء» ص (٦٤)، رقة بن
مسقلة - بالسين والصاد - ثقة، بين وفاة الحسن ووفاة رقة تسعة وسبعون عاماً ولم يرو عن الحسن
ابن علي.

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (١٧٤)، ومختصراً في «تهذيب الكمال» (٦/٢٥٤).

الحسين بن علي رضي الله عنهما

عن ابن أبي نعم، قال: كنت عند ابن عمر، فسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظر إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هما ريحانتي من الدنيا»^(١).

وعن عائشة أو أم سلمة، أن رسول الله ﷺ قال لها: «لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها، فقال: إن حُسينًا مقتول، وإن شئت أريتكَ التربة»^(٢).

قال الحسين رضي الله عنه في يوم قتله: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة...». وقتل الحسين أحب أهل الأرض يوم قتل إلى أهل السماء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم نصف النهار، أشعث أغبر، ويده قارورة فيها دم. قلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه. فأحصى ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذ^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة - رضى الله عنهم وأرضاهم - وأهان بالبغي والظلم والعدوان من

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٧٥٣) كتاب المناقب.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٩٤/٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٢٢).

(٣) سنده قوى: أخرجه أحمد (٢٨٣/١)، والطبرانى (٢٨٢٢)، وسنده قوى كما قال ابن كثير فى «البداية» (٢٠٠/٨).

أهانته بما انتهكه من حرمتهم، واستحله من دمائهم ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١)، وكان ذلك من نعمة الله على الحسين، وكرامته له لينال منازل الشهداء، حيث لم يجعل له فى أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته كجده عليه السلام وأبيه وعمه، وعم أبيه عليه السلام ^(٢).

وقال أيضاً: «ولما كان الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وكانا قد ولدا بعد الهجرة فى عز الإسلام، ولم ينلهما من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله بما أكرمهما من الابتلاء ليرفع درجاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعلياً وجعفر وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة.

وفى المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبى عليه السلام أنه قال: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبتها، وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعاً، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها». فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التى شهدت مصرعه. وقد علم الله أن مصيبتها تذكر على طول الزمان»^(٣).

* * *

(١) سورة الحج: الآية: (١٨).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/٤٧١، ٤٧٢).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/٤٧٣).

سعد بن خيثمة بن الأنصاري رضي الله عنه

* أحد نقباء الأنصار الإثني عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فأثرتني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة أثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقُتل ببدر^(١).

عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت أخى عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتواري، فقلت: ما لك يا أخى؟ فقال: إني أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: «ارجع»، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ. قال سعد: فكنت أعقد له خمائل سيفه من صغره فقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود^(٢).

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤٦٨/١)، و«الثبات عند الممات» ص (١١١، ١١٢)، و«طبقات ابن سعد» (٤٨٢/٣).

(٢) «الثبات عند الممات» ص (١٠٧، ١٠٨)، و«طبقات» لابن سعد (١٤٩/٣)، و«صفة الصفوة» (٣٩٤/١)، وأخرجه أبو يعلى والحاكم.

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال:

لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول من جرح أبو عقيل رُمى بسهم فوق بين منكبيه وفؤاده فأخرج السهم فوهن له شقه الأيسر، وجُرَّ إلى الرحل، فلما حمى القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عدي يصيح: يا آل الأنصار، الله الله والكرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل. فقلت: ما تريد؟ قال: قد فوّه المنادي باسمي. فقلت: ما يعني الجرحى. فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبواً. فتحزم وأخذ السيف، ثم جعل ينادي: يا آل الأنصار، كرة كيوم حنين. قال ابن عمر: فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل، فقال: لييك، بلسان ملثا^(١)، لمن الدبرة^(٢)؟ فقلت: أبشر قد قُتل عدو الله^(٣).

رفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء يحمد الله ومات يرحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها^(٤).

* * *

(١) ملثا: ثقیل، بطيء في الكلام.

(٢) لمن الدبرة: تفتح الباء وتسكن، ويقال: على من الدبرة أيضاً أي: الهزيمة.

ولمن الدبرة: أي: لمن الدولة والظفر.

(٣) أي: مسيلمة الكذاب.

(٤) «صفة الصفوة» (٤٦٦/١)، و«الثبات» ص (١١٠، ١١١)، و«طبقات ابن سعد» باختصار (٣/٤٧٤).

المثنى بن حارثة رضي الله عنه

البطل الذى ما هُزمت له راية . . .

البطل العظيم الذى حمى انسحاب جيش المسلمين وعبورهم إلى الشاطئ الغربى من النهر فى معركة الجسر، ونجا ستة آلاف من المسلمين من موت محقق وجرح المثنى جرحاً مميتاً عند الجسر ولكنه ربطه، ومات البطل متأثراً بجراحه بعد شهرين، ولكن قبل موته من الله عليه بالنصر وشفى غليله فى معركة البويب التى تعادل معركة اليرموك تماماً كما قال ابن كثير.

وما نسى البطل الصالح العهد إلى سعد بن أبى وقاص وتوصيته، وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لأبى بكر رضي الله عنه، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين فى الفتوح ويوصى بها.

وترك المثنى وصية غالية لسعد: «ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس إذا استجمع أمرهم ومأوئهم فى عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب، وأدنى مدرة من أرض العجم، فإن يُظهر الله المسلمين، فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى، رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجراً على أرضهم، إن يرد الله الكرة عليهم»^(١).

وأشار المثنى على سعد: «أن يحارب العدو بين القادسية والعذيب»^(٢).

ومات المثنى قبل أن يرى سعداً.

هذا المثنى يروى الأرض من دمه

فكم أذوب به حَبًّا وأهواه

* * *

(١، ٢) «الطبرى» (٣/ ١٠)، وابن الأثير (٢/ ١٧٤).

عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه

عزم عليه عمرو بن العاص في يوم أجنادين أن لا يبارز، فقال: «لا أصبر. فلما اختلطت السيوف، وُجد في ربضة من الروم عشرة، مقتولاً وهم حوله وقائم السيف في يده في غرى^(١)، وإن في وجهه لثلاثين ضربة»^(٢).
رضى الله عن الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ يقتل عشرة من الروم ثم يُقتل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جريير المجامع

عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه

هذه نهاية فاتح بلاد النوبة.

عن يزيد بن أبي حبيب، قال: لما احتضر ابن سرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة فجعل يقول من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام! إني لأجد برد الصبح فانظر. ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، وسلم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقُبض رضي الله عنه^(٣).

(١) لزق.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٨٢).

(٣) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٣٣-٣٦).

زيد بن الدثنة رضي الله عنه

استؤثر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا: ننشدك الله أتحب أنك الآن في أهلك، وأن محمداً مكانك، فقال: «والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه شوكة تؤذيه، وإنني جالس في أهلي»^(١).

نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه

قال نعيم بن مالك في يوم أحد للنبي ﷺ: «يا نبي الله لا تحرمننا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنّها. فقال له رسول الله ﷺ: «بِمَ؟»، قال: بأنّي أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول الله ﷺ: «صدقت». واستشهد يومئذ»^(٢).

صدق الله فصدق الله

* عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال:

(١) «صفة الصفوة» (١/٦٤٩)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/١٣، ١٤).

ما هذا؟ قال: «قسمته لك».

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنى اتبعتك على أن أرمى ها هنا -وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله بصدقك». فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا فى قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟»، قالوا: نعم قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفَّه النبي ﷺ فى جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً، فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك»^(١).

محمد بن عبد الله بن حوذان (رحمه الله)

* قُتل هذا البطل المغوار فى سنة اثنتى عشرة ومائة، فى وقعة الجنيذ مع الترك ورئسهم خاقان بالشعب.

* قال الطبرى -رحمه الله-: «قاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر، عليه تحفاف مُذهب، فحمل سبع مرات يقتل فى كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان فى ناحيته، فناداه ترجمان للعدو: يقول لك الملك: لا تقبل وتحول إلينا، فنرفض صنمنا الذى نعبد ونعبدك، فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد»^(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه النسائى (١٩٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح سنن النسائى» (١٨٤٥).

(٢) «تاريخ الطبرى» (١٣٩/٤، ١٤١).

أبو محمد عبد الله البطل (رحمه الله)

* كان مقدم جيش الأمير مسلمة بن عبد الملك، أوطأ الروم خوفاً وذللاً وكان - رحمه الله - يسأل ربه دائماً الحج ثم الشهادة، فلم يتمكن من حجة الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها - رحمه الله -.

* وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس، فبعث البطريق - الذي البطل متزوج بابنته - إلى البطل يخبره بذلك، فأخبر البطل أمير عساكر المسلمين مالك بن شبيب، وقال له مالك: المصلحة تقتضي أن نتحصن في مدينة «حران»، فنكون بها، حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية، فأبى عليه ذلك، ودهمهم الجيش، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، والأبطال تحوم بين يدي البطل، ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطاً منه، فلما سمع ذلك فرسان الروم، حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من سرجه برماحهم، فألقوه إلى الأرض، ورأى الناس يُقتلون ويؤسرون، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها، وأصبح ليون، فوقف على مكان المعركة، فإذا البطل بآخر رمق، فقال له ليون: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال: هكذا تُقتل الأبطال، فاستدعى ليون الأطباء ليداووه، فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله، فقال له ليون: هل من حاجة يا أبا يحيى؟ قال: نعم. فأمر من معك من المسلمين أن يلوا غسل^(١) والصلاة على ودفني، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسرى^(٢).

(١) الشهيد لا يُغسل.

(٢) «البداية والنهاية» (٩/٣٤٥-٣٤٧).

الجراح بن عبد الله الحكمي (رحمه الله)

«كان الجراح بطلاً شجاعاً، عابداً قارئاً، كبير القدر.
قال ابن جابر: في سنة اثنتي عشرة ومائة غزا الجراح بلاد الترك ورجع
فأدركه الترك، فقتل هو وأصحابه.
وقال سليم بن عامر: دخلت على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراء
أيديهم، فمكث طويلاً، ثم قال لى: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه؟
قلت: لا، وجدتكم فى رغبة، فرفعت يدي معكم، قال: سألنا الله الشهادة.
فوالله ما بقى منهم أحد فى تلك الغزاة إلا استشهد. قال خليفة زحف
الجراح من بردعة^(١) سنة اثنتي عشرة إلى ابن خاقان، فاقتلوا قتالاً شديداً،
فقتل الجراح فى رمضان^(٢).
قال الواقدي: كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً، بكوا عليه
فى كل جند^(٣)».

* * *

(١) قصة أذربيجان.

(٢) «تاريخ خليفة» ص (٣٤٢).

(٣) «السير» (١٨٩/٥، ١٩٠).

علباء بن جحش العجلي (رحمه الله)

فى معركة القادسية برز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى: من يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي، فنفحه^(١) علباء فأصابه فى صدره وشق رثته، ونفحه الآخر فأصابه فى بطنه وانتشرت أمعاءه، وسقطا معاً إلى الأرض. أما المجوسى فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له، ومر به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنى على بطنى. فأدخل له أمعاءه، فأخذ بصفاقية، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعاً من مصرعه وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثواباً

قد كنت ممن أحسن الضرابا

وفاضت نفسه^(٢).

* * *

(١) النفخ: الضرب إلى خارج اليمين.

(٢) «الطبرى» (٥٤٦/٣).

خاتمة السعادة للصالحين عند الموت

نعم فالموت تحفة كل مؤمن . . . ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١).

قال السحرة لفرعون عندما أخبرهم بأنه سيصلبهم فى جذوع النخل: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢).

أصحاب الأخدود

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلى غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل على،

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٢) سورة طه: الآية: (٧٢).

وكان الغلام يرى الأكمه والأبرص، ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس الملك كان قد عمى، فأناه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى، فقال: إني لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أو لك رب غيرى؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجاءه بالغلام، فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجاءه بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جىء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور - مركب - وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فأنكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبِد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم

أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم فى صدغه فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك قيل له: أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فُحِدَّتْ وأُضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبرى فإنك على الحق^(١).

الرجل الذى قتل مائة نفس

فعن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلکم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمَّلَ به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له... ففاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٥) كتاب الزهد/ باب: قصة أصحاب الأخدود.

«ذرة الجبل»: أعلاه، وهى بكسر الهمزة وضم الجيم، و«القرقرور»: بضم القافين: نوع من السفن، و«الصعيد»: هنا: الأرض البارزة، و«الأخدود»: الشقوق فى الأرض كالنهر الصغير، و«أضرم»: أوقد، و«انكفات»: أى: انقلبت، و«تقاعست»: توقفت وجبت.

قال قتادة: فقال الحسن: «ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى ب صدره». وفى رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقربى، وأوحى الله إلى هذه: أن تباعدى. وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»^(١).

ثابت البنانى (رحمه الله)

رحم الله الإمام القدوة أبا محمد ثابت البنانى. قال بكر المزنى: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلي نظر إلى ثابت البنانى. قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت فقال: يا إخوانه، لم أقدر أن أصلى البارحة كما كنت أصلى، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابى فأذكر معهم، اللهم إذ حبستنى عن ذلك فلا تدعنى فى الدنيا ساعة^(٢) وعن محمد بن ثابت البنانى قال: ذهبت ألقت أبى عند الموت، فقال: يا بنى خلّ عنى فإنى فى وردى السابع. كأنه يقرأ ونفسه تخرج^(٣). مات العابد الربانى وهو يقرأ القرآن. مات الصوام القوام العابد الذى تمنى العبادة فى البرزخ فيقول: «اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينيها»^(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٦) عن أبى سعيد - كتاب التوبة - باب قبول التوبة ممن قتل مائة نفس.

(٢) السير (٢٢٠/٥).

(٣) «صفة الصفوة» (٢٦٣/٣)، و«حلية الأولياء» (٣٢٢/٢)، و«النبات عند الممات» ص (١٤٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٣١٨/٢).

الحسن البصرى (رحمه الله)

عن ابن عون عن الحسن لما حضرته الوفاة استرجع، وأخرج ذراعيه فحركها وقال: هذه منزلة صبر واستسلام^(١).

وعن يونس بن عبيد قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع، فأكبَّ عليه ابنه عبد الله فقال: يا أبه إنك قد غممتنا، فهل رأيت شيئاً؟ قال: هي نفسى التى لم أُصَبْ بمثلها!^(٢).

قال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذى لبُّ فرحاً. قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن، فترحم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه.

قلت: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مائة يوم. ويروى أنه أُغْمِيَ عليه ثم أفاق إفاقة فقال: لقد نبهتمونى من جناتٍ وعيون، ومقامٍ كريم.

* * *

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص (٧٨، ٧٩)، و«كتاب المختصرين» ص (١١٦، ١١٧).

(٢) «كتاب المختصرين» ص (١١٧).

الربيع بن خثيم (رحمه الله)

عن سرية الربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بنية لا تبكى، ولكن قولى: يا بشرى، اليوم لقى أبى الخير^(١).

وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: انظروا.

ثم تفكر فقال: ﴿وَعَادَا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾^(٢).

فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوى بقى، ولا المتداوى. هلك الناعت والمنعوت له^(٣).

سعيد بن جبير (رحمه الله)

عن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وعن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أرانى إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لى دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبه رزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء^(٤).

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، «الكتاب المصنف» لابن أبى شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«الطبقات عند الممات» ص (١٣٧)، و«كتاب المحضرين» ص (١٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٧٦).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣٨).

(٣) «المصنف» لابن أبى شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«كتاب المحضرين» ص (١٢١).

(٤) «السير» (٤/ ٣٤٠).

قال الذهبي: (قلت: ولما علم من فضل الشهادة، ثبت للقتل ولم يكثرث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه الله^(١)).

قال ابن كثير: «عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: أنت الشقي بن كسير؟ قال: لا، إنما أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلك. قال: أنا إذن كما سمتني أمي سعيداً. قال: شقيت وشقيت أمك. قال: الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه. فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين».

وفى رواية: أنه قال له: لأبدلك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً. وفى رواية: أنه لما أراد قتله قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْنَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢). فقال: اجلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٣). فقال: اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم. فقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدى، وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً فى مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا والله أعلم».

وقال ابن كثير عن سعيد بن جبير: «قال له الحجاج: ويلك. فقال: الويل لمن زُحرج عن الجنة وأدخل النار. فقال: اضربوا عنقه. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة، فأنا خصمك عند الله. فذُبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن، فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة، اقصم الحجاج، فما بقى إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود، فأنتن منه فمات. وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك، فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك».

(١) «السير» (٤/ ٣٤٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٣) سورة طه: الآية (٥٥).

قال ابن كثير: «لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله، فيم قتلتنى؟ فيقول خجاج: ما لى ولسعيد بن جبير، ما لى ولسعيد بن جبير، ما لى ولسعيد بن جبير؟»^(١).

قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»^(٣).

عبد الرحمن بن الأسود النخعي (رحمه الله)

* عن الحكم بن عتيبة قال: لما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة.

قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. قال: فرئى أنه من أهل الجنة. وكان الحكم يقول: ولا يبعد من ذلك، لقد كان يعمل نفسه مجتهدًا لذلك، حذرًا من مصرعه الذى صار إليه^(٤).

رحم الله عبد الرحمن بن الأسود كم كان شوقه عظيمًا للصلاة! عن ابن إسحاق قال: «أقدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًا، فاعتلت رجله، فصلى على قدم حتى أصبح».

قال الشعبي: أهل بيت خلّقوا للجنة، علقمة والأسود وعبد الرحمن^(٥).

(١) البداية والنهاية (١٠٣/٩، ١٠٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٤٤) كتاب الملاحم، والترمذى (٢١٧٤) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠١١) كتاب الفتن، وأحمد (١٠٧٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٤٩١).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٢١٥/٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٧٤).

(٤) «كتاب المحضرين» ص (١٤٧)، ولتهذيب الكمال (٥٣٢/١٦، ٥٣٣).

(٥) «السير» (١١/٥، ١٢).

يزيد بن الأسود (رحمه الله)

عن حيان أبي النضر قال:

قال لي وائلة بن الأسقع: قدنى إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغنى أنه لما به^(١).

قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقیل، وقد وجّه^(٢)، وقد ذهب عقله. قال: فنادوه فقلت: إن هذا وائلة أخوك.

قال: فأبقى الله من عقله ما سمع أن وائلة قد جاء، قال: فمد يده، فجعل يلمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت كف وائلة فجعلتها فى كفه. وإنما أراد أن يضع يده فى يد وائلة، لموضع يد وائلة من رسول الله ﷺ.

فجعل يضع مرة على صدره، ومرة على وجهه، ومرة على فيه.

فقال وائلة: أما تخبرنى عن شىء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟

قال: أغرقتنى ذنوب، وأشفيت^(٣) على الهلكة، ولكن أرجو رحمة الله.

فكبر وائلة. وكبر أهل البيت تكبيرة. وقال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «يقول الله: أنا عند ظن عبدى بى، فليظن بى ما شاء»^(٤).

* * *

(١) أى: من حضوره الموت.

(٢) أى: نحو القبلة.

(٣) اقتربت من هلكة.

(٤) رواه ابن المبارك فى «الزهد» ص(٣١٨)، والحاكم فى «المستدرک» (٤/ ٢٤٠)، وصححه ووافقه

الذهبى، وروى طرقاً منه البخارى، ومسلم، انظر: «حسن الظن» لابن أبى الدنيا ص(١٦)، و«الرقعة

والبكاء»، لابن قدامة ص(٢٨٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣١، ٣٢).

عامر بن عبد الله بن الزبير (رحمه الله)

قال مصعب: سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيئه؟! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة، ثم مات.

أبو حازم (رحمه الله)

عن بشر الأُمي الأَفوه قال: قال أبو حازم لما حضره الموت: ما أتينا على شيء من الدنيا إلا على ذكر الله، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أحلقاه. وفي الموت راحة للمؤمنين. ثم قرأ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١)(٢).

* وعن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج، لما حضره الموت فقلنا: كيف تجددك؟ قال: أجدني بخير، راجياً لله، حسن الظن به، إنه والله ما يستوى من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب (٣).

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).

(٢) كتاب المحتضرين ص (١٢٤).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٤١-٢٤٢)، وقصر الأمل ص (١١٠-١١١)، وانظر: الترجمة في «السير» (١٠٣-٩٦/٦).

محمد بن واسع (رحمه الله)

سيد أهل عصره الفقيه الورع الزاهد - رحمه الله -:

عن يونس بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوذ فقال: وما يغنى عنى ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلي فألقيت فى النار^(١).

وعن الربيع بن صبيح قال: لما احتضر محمد بن واسع جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبد الله، فإننا نرجو لك.
وعن فضالة بن دينار قال:

حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّي للموت، فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها.
قال: ثم شخص ببصره فمات^(٢).

عامر بن عبد قيس (رحمه الله)

قال قتادة: لما احتضر عامر بكى، فقيل: ما يُبكىك؟ قال: ما أبكى جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر، وقيام الليل^(٣).

وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله فى مرضه الذى مات

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/٢٤٢)، و«حلية الأولياء» (٢/٣٤٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص (١٥٠).

(٣) «السير» (٤/١٥-١٩)، و«الزهد» لابن المبارك ص (٩٥)، و«الزهد» لأحمد (٢/١٧٦). و«وصايا العلماء» ص (٨١).

فيه بكاءً شديداً، فقليل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب
نه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١)(٢).

حسان بن أبي سنان (رحمه الله)

عن مهدي بن ميمون قال: رأيت حسان بن أبي سنان -أحسبه في مرضه-
قيل له: كيف تجدك؟

قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أحيى ما بين
طرفيها (٣).

وعن غاضرة بن قرهد قال: دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره
الموت، وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟
قال: أجدني بحال الموت.

قال: أفتجد له أبا عبد الله كرياً شديداً؟ فبكى، ثم قال: ينبغي للمؤمن
أن يسليه عن كرب الموت وألمه ما يرجو من السرور في لقاء الله (٤).

* * *

(١) سورة المائدة: الآية: (٢٧).

(٢) كتاب المحضرين ص (١٤١).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٧، ١١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٨)، و«كتاب المحضرين» ص (١٤٤)،
(١٤٥).

(٤) «كتاب المحضرين» ص (١٥٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٥١).

محمد بن المنكدر (رحمه الله)

كان أبو عبد الله محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الربانيون من سادات القراء،... البكاء طيلة عمره، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ فماذا فعل البكاء عند الموت؟
عن عبد الرحمن بن زيد قال: أتى صفوان بن سليم محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله، لكأني أراك قد شق عليك الموت؟!
فما زال يهون عليه الأمر، ويتجلى عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح.
ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقه لقرت عينك. ثم قضى - رحمه الله -^(١).

أبو عبد الرحمن السلمى (رحمه الله)

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوذه، فذهب بعضهم يَرْجِيهِ، فقال: أنا أرجو ربي فقد صمت له ثمانين رمضاناً^(٢).
وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمى، وهو يقضى - أى ينزع - فى المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوفر - أى أوطأ - قال: حدثنى فلان أن النبى ﷺ قال: «لا يزال أحدكم فى صلاة ما دام فى مُصلاه ينتظر الصلاة».

وفى رواية ابن سعد: «والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».
قال أبو عبد الرحمن السلمى: «فأريد أن أموت وأنا فى مسجدي»^(٣).

(١) «حلية الأولياء» (٣/١٤٧)، و«كتاب المحتضرين» (ص ١٧١)، و«الثبات عند الممات» ص (١٤١، ١٤٢).

(٢) «معرفة القراء الكبار» (١/٥٧).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١٤١، ١٤٢)، و«طبقات ابن سعد» (٦/١٧٤، ١٧٥).

عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

* عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتاً في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، قال: والله لأن يعذبني الله بغير النار أحب إليّ من أن يعلم من قلبي أني أراني لذلك أهلاً^(١).

* وقال المغيرة بن حكيم: قلت لفاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه يقول: اللهم أَخْفِ عليهم أمرى ولو ساعة، قالت: قلت له: ألا أخرج عنك، فإنك لم تتم، فخرجت، فجعلت أسمعه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). مراراً ثم أطرق فلبث طويلاً لا يُسمع له حس، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل، صاح، فدخلت فوجدته ميتاً، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه^(٣).

* وعن أبي زيد الدمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز، دُعِيَ له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سَقَى السم ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت على من لم يُسَقِ السم. قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني.

(١) السير (١٤١/٥).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٣٣٥/٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤١/٥) و«طبقات ابن سعد» (٤٠٦/٥)، (٤٠٧)، و«كتاب المحتضرين» ص (٨١، ٨٢).

قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإنى أخاف أن تذهب نفسك.

قال: ربى خير مذهب إليه. والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته. اللهم خر لعمر فى لقاءك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات - رحمه الله - (١).

هذا والله الشوق إلى الله عز وجل.

وعن مجاهد أنه قال: قال لى عمر بن عبد العزيز: ما يقول فى الناس؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلاماً له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتنى السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها، وعلى أن أعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها فى بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد (٢).

وقال ابن عيينة: قلت لعبد العزيز بن عمر: ما آخر ما تكلم به أبوك؟ فقال: كان له من الولد أنا وعبد الله، وعاصم وإبراهيم، وكنا أغيلمة، فجئنا كالمسلمين عليه والمودعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مال، ولم تؤوهم إلى أحد، فقال: ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم، وما كنت لأخذ منهم حقاً هو لهم، وإن ولى الله فيهم الذى يتولى الصالحين، إنما هم أحد رجلين: صالح أو فاسق... وقيل: إن الذى كلمه فيهم خالهم مسلمة (٣).

وعن ليث بن أبى رقية كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت، ونهيتهنى فعصيت، ثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحد النظر، وقال إنى لأرى حضرة ما هم يأنس ولا جن ثم قبض (٤).

(١) «كتاب المحتضرين» ص (٨٢، ٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص (١٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ١٤٠)، ورجاله ثقات.

(٣) «السير» (٥/ ١٤٠، ١٤١).

(٤) «السير» (٥/ ١٤١)، و«كتاب المحتضرين» ص (٨٤).

* وعن عمرو بن قيس قال: قالوا لعمر بن عبد العزيز لما حضره الموت: اعهـد يا أمير المؤمنين قال: أحذرکم مثل مصرعی هذا، فإنه لا بد لكم منه، وإذا وضعتـوني في قبري، فانزعوا عني لبنة، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه^(١).

* وعن يحيى بن أبي كثير قال: لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت؛ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن الله أحيا بك سنناً، وأظهر بك عدلاً.

* فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو رأيت أني عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقتها حجتها، فكيف بكثير مما صنعنا؟ قال: ثم فاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيراً بعدها حتى مات - رحمه الله -^(٢).

قال هشام بن حسان: لما جاء نعيه إلى الحسن، قال: مات خير الناس^(٣).

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (٨٢).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/٦٩٧).

(٣) «السير» (٥/١٤٢).

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

* دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه، فقال: يا بني كيف تجدك؟

قال: أجدني في الحق.

قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إليَّ من أن أكون في ميزانك.
قال ابنه: وأنا يا أبت؟ لأن يكون ما تحب أحب إليَّ من أن يكون ما أحب^(١).

عبد العزيز بن سلمان (رحمه الله)

عن حاتم بن سلمان قال: دخلنا على عبد العزيز بن سلمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجدني أموت.

فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟
فبكى، ثم قال: ما نُعوّل إلا على حسن الظن بالله.
قال: فما خرجنا من عنده حتى مات^(٢).

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٢٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٠٢/١٥).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص (١٥٤).

الإمام القدوة أبو بكر محمد بن أحمد بن النابلسي (رحمه الله)

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد - الفاطميون - وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكى، ويقول: كان يقول وهو يُسلخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(١).

«قال أبو الفتوح ابن الفرج، أقام جوهر - القائد - لأبى تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنى أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمى فى الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرمىكم بتسعة، وأن يرمى العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، . . . فشهره، ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفى: أخبرنى الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاح، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه؛ وأخبرنى الثقة أنه كان إمامًا فى الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يُسمع من جسده القرآن»^(٢).

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (٥٨).

(٢) السير (١٦ / ١٤٨ ، ١٤٩).

الإمام المبارك عبد الله بن المبارك (رحمه الله)

مات ابن المبارك سَحَرًا بهيتٍ لعشرٍ مضت من رمضان منصرفه من الغزو. . فهل بعد هذه الأوقات الخيرة من خير!
* قال أبو خالد الأحمر: ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدتها لموت ابن المبارك.

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال: لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء^(١).

* قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام^(٢).

* قال الذهبي: «والله إني لأحبه في الله، وأرجو الخير بحبه»^(٣).

* قال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثني أبي قال: لما احتضر ابن المبارك، جعل رجل يلقيه، قل: لا إله إلا الله، فأكثر عليه، فقال له: لست تحسن، وأخاف أن تؤذي مسلمًا بعدى، إذا لقتني، فقلت: لا إله إلا الله، ثم لم أحدث كلامًا بعدها، فدعني، فإذا أحدثت كلامًا، فلقنني حتى تكون آخر كلامي.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٤).

(١) السير (٨/ ٣٩٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٢).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٧٥).

(٤) سورة الصافات: الآية: (٦١).

وفى «العاقبة»: «لما حضرت ابن المبارك الوفاة، قال لنصر مولاه: اجعل رأسى على التراب. فبكى نصر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم، وأنت ها هنا تموت فقيراً غريباً، فقال: اسكت فإنى سألت الله أن يحيينى حياة السعداء ويميتنى ميتة الفقراء»^(١).

أبو العالية ربيع بن مهران (رحمه الله)

قال أبو بكر بن أبى داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبى العالية.

أبو العالية العبد الصالح الذى كان يختم القرآن يومياً ويخدم مولاه بالنهار فشق ذلك عليه فأوصاه أصحاب النبى ﷺ بختمه كل ثلاث.
عن سيار بن سلامة قال: دخلت على أبى العالية فى مرضه الذى مات فيه، قال: إن أحبه إلىَّ أحبه إلى الله^(٢). . ومن أولى بالرضا عن الله من أبى العالية:

عذابه فيك عذْبُ
وبعدُه فيك قُربُ
وأنت عندي كـروحى
بل أنت منـها أحبُّ
حسبى من الحب أنى
لما تحب أحبُّ

* * *

(١) العاقبة (ص: ١٤٥).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص (٢١٣).

مجاهد بن جبر (رحمه الله)

يرحم الله أبا الحجاج المخزومي المكي مجاهد جهيد المفسرين القائل:
«عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته،
أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها».

قال الفضل بن دكين: مات مجاهد وهو ساجد.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد... ومن كان بحالة لقي الله
بها، ويحشر العبد على ما مات عليه.. وهكذا موت من خالط القرآن لحمه
ودمه.

عبد الله بن عامر الأسلمي المدني (رحمه الله)

عن ابن أبي حازم قال: لما نزل بعبد الله بن عامر بن عبد الله بن أوس
بكي، فاشتد بكاءه فأرسل أهله إلى أبي حازم أن أخاك قد جزع عند الموت،
فأته فعزّه وصبره. قال ابن أبي حازم: فأتيته مع أبي، فقال له أبي: يا
عامر، ما الذي يبكيك؟ فوالله ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه
الدنيا، وإن الذي تبكي منه للذي كنت تدأب له وتنصب.

فأخذ عامر بجلدة ذراعه، ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة على
نار جهنم؟ فخرج أبي يبكي لكلامه.

وأذن لصلاة الظهر، فقام يريد المسجد، فسقط، وتوفى وهو صائم، ما
أفطر^(١).

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٦٨ ، ١٦٩).

عبد الله بن عون بن أربطبان (رحمه الله)

قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون.
وقال خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعاً وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

وقال الأوزاعي: إذا مات ابن عون والثوري استوى الناس.

وكان - رحمه الله - يصوم يوماً ويفطر يوماً.

قال بكار بن محمد: كان ابن عون يتمنى أن يرى النبي ﷺ. فلم يره إلا قبل موته بيسير، فسراً بذلك سروراً شديداً، فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأصابت رجله، فلم يزل يعالجها حتى مات - رحمه الله -.

قال ابن عون: ذكر الناس داء وذكر الله دواء.

قال الذهبي: قلت: إى والله، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونفتحم الدواء؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١) وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٢) وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٣) ولكن لا يتهياً ذلك إلا بتوفيق الله. ومن أدام الدعاء ولازم قرع الباب فُتح له، وقد كان ابن عون قد أوتى حُلماً وعِلماً ونفساً زكية تعين على التقوى فطوبى له.

* قال بكار بن محمد: وكان له سُبُع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار.

* وقال بكار بن محمد: سقط ابن عون وأصابت رجله فتعلل ومات فحضرت وفاته، فكان حين قُبُض موجهًا يذكر الله تعالى حتى غرغر.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٣) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

عروة بن الزبير (رحمه الله)

ابن حوارى الرسول ﷺ أحد فقهاء المدينة السبعة:
كان - رحمه الله - يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف نظراً، ويقوم به الليل.

وعن هشام أن أباه مات وهو صائم، وجعلوا يقولون له: أفطر، فلم يفطر، ... وقال هشام بن عروة: أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر^(١)، ومات وهو صائم^(٢).

أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى (رحمه الله)

كان فى خدى أبى بكر بن أبى مريم الغسانى مسلكان من الدموع.
قال يزيد بن عبد ربه: «عدت مع خالى على بن مسلم أبا بكر بن أبى مريم وهو فى النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا.

ثم جاء الليل فقال: أذن؟ فقلت: نعم. فقطرنا فى فمه قطرة ماء ثم غمضناه فمات - رحمه الله -، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوى فمه من الصيام^(٣).

رحمك الله أبا بكر كم كنت صواماً وختم الله لك أمرك بالصيام.

(١) وأيام التشريق تضميناً فإنه يحرم صومها.

(٢) «السير» - ترجمة عروة بن الزبير (٤/٤٣٧ - ٤٤١).

(٣) «الحلية» (٦/٨٩)، و«صفة الصفوة» (٤/٢٢١)، و«التهاب عند الممات» ص (١٥١، ١٥٢).

قال رسول الله ﷺ: «من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة»^(١).

قال المناوي: «أى من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب»^(٢).

الإمام عبد الله بن وهب (رحمه الله)

قال الذهبي: «كان ابن وهب من أوعية العلم، ومن كنوز العمل»^(٣).

وقال الذهبي: «بلغنا أن مالكا كان يكتب إليه «إلى عبد الله بن وهب مفتى أهل مصر...، ولم يفعل هذا مع غيره»^(٤).

وقال سحنون الفقيه: «كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثاً: ثلثاً في الرباط، وثلثاً يُعلم الناس بمصر، وثلثاً في الحج»^(٥). حج ستاً وثلثين فرحمة الله عليه.

قال خالد بن خدّاش قُرئ على عبد الله بن وهب كتاب «أهوال القيامة» (تأليفه)، فخر مغشياً عليه، قال: فلم يتكلم بكلمة، حتى مات بعد أيام - رحمه الله-^(٦).

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها... هكذا يموت شيخ الإسلام ابن وهب من جراء ذكر القيامة.

(١) صحيح: رواه البزار عن حذيفة، ورواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه

الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٤).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (١٢٣/٦).

(٣) «السير» (٢٢٤/٩).

(٤) «السير» (٢٢٧/٩).

(٥) «السير» (٢٢٦/٩).

(٦) «السير» (٢٢٦/٩)، و«الانتقاء» لابن عبد البر - ص (٤٩).

عمر بن حسين الجمحي (رحمه الله)

«كان عمر بن حسين عبد الله الجمحي، أبا قدامة المكي، مولى عائشة بنت قدامة بن مظعون الجمحي، قاضي المدينة المنورة. وكان من أهل الفضل، والفقه، والمشورة في الأمور، والعبادة. وكانت القضاة تستشيريه. قال مالك بن أنس: ولقد أخبرني من حضره عند الموت، فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾»^(١).

قال ابن وهب: فقلت لمالك: أترأه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم»^(٢).

الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله)

عن علقمة بن مرثد قال: كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفّر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع، والله لو أُتيت بالمغفرة من الله لأهمنى الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه»^(٣).

* * *

(١) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٢) كتاب المحتضرين (ص: ٢١٨).

(٣) السير (٤/٥٣).

شيخ الإسلام أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد بن عمرو الإمام

قال الذهبي: «إن أبا قلابة ممن ابتلى في بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام فمات بعريض مصر سنة أربع، وقد ذهب يده ورجلاه وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر.

وقد روى ابن حبان قصة صبره الجميل الكريم النبيل: قال ابن حبان: «حدثني بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد، قال: ثنى يعقوب بن إسحاق ابن الجراح، قال: ثنى الفضل بن عيسى، عن بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، عن عبد الله بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً وكان رابطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يده ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: «اللهم أوزعني أن أحمذك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً». قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل، ولأسأله أني له هذا الكلام، فهم أم علم أم إلهام، فأتيت الرجل، فسلمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: «اللهم... تفضيلاً» فأى نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها، وأى فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتنى، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فأغرقتنى، وأمر الأرض فبلعتنى ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم عليّ من لسانى هذا، ولكن يا عبد الله إذ أتيتنى لى إليك حاجة قد ترانى على أية حالة أنا، لست أقدر لنفسي

على ضرٍّ ولا نفع، ولقد كان معي بنى لى يتعاهدنى فى وقت صلاتى فيوضينى، وإذا جعت أطعمنى، وإذا عطشت سقانى، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لى رحمك الله. فقلت: والله ما مشى خلق فى حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشى فى حاجة مثلك، فمضيت فى طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثنان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت أنى لى وجه رفيق آتى به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبى ذكر أيوب النبى ﷺ، فلما أتته سلمت عليه، فرد على السلام فقال: أأنت بصاحبى؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت فى حاجتى. فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبى؟ قال: بل أيوب النبى. قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً. قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقاربه وأحبائه؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً. قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيّر عرضاً لمار الطريق. هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال صابراً شاكراً حامداً: أوجز رحمك الله.

قلت له: إن الغلام الذى أرسلتنى فى طلبه وجدته بين كثنان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذى لم يخلق من ذريتى خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار. ثم استرجع وشهق شهقة فمات. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون عظمت مصيبتى، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت فلم أقدر على ضر ولا نفع، فسجيته بشملة كانت على وقعدت عند رأسه باكياً، فبينما أنا قاعد إذ تهجم على أربعة رجال، فقالوا: يا عبد الله ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت

عليهم قصتي وقصته، فقالوا: لى: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانكبَّ القوم عليه يُقبلون عينيه مرة، ويده أخرى، ويقولون: بأبى عين طالما غضت عن محارم الله، وبأبى جسم طالما كان ساجداً والناس نيام، فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمى، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ، فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطى، فلما أن جنَّ علىَّ الليل، وضعت رأسى، فرأيتُه فيما يرى النائم فى روضة من رياض الجنة، وعليه حُلَّتَانِ من حُلل الجنة، وهو يتلو الوحى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١). فقلت: أأنت بصاحبى؟ قال: بلى. قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تُنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل فى السرِّ والعلانية^(٢).

مالك بن أنس (رحمه الله)

عن ابن أبى أويس قال: اشتكى مالك أياماً يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، قال: تشهّد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^{(٣)(٤)}. ونقل القاضى عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالكا بعد موته، وعليه ثياب طويلة، وثياب خضر وهو على ناقة، يطير بين السماء والأرض. فقلت: يا أبا عبد الله! أليس قد مت؟ قال: بلى. فقلت: فإلام صرت؟ فقال: قدمت على ربى وكلمنى كفاحاً، وقال: سلنى أعطك، وتمنَّ علىَّ أرضك.

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٤).

(٢) «الثقات» لابن حبان (٥-٢/٥).

(٣) سورة الروم: الآية: (٤).

(٤) «صفة الصفوة» (١٧٩/٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٥٢).

الإمام سفيان الثوري (رحمه الله)

لما احتضر سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد الله! عليك بالرجاء؛ فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا. وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله! أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض، فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

وكان -رحمه الله- يقول: بكينا على الذنوب زماناً ونحن الآن نبكي على الإسلام.

وعن ابن مهدي، قال: مرض سفيان بالبطن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن! ما أشد الموت، ولما مات غمضته، وجاء الناس في جوف الليل، وعلموا^(١).

وقال إبراهيم بن أعين البجلي، وكان من خيار الناس قال: رأيت سفيان الثوري في المنام، فقلت له: يا أبا عبد الله! ما صنعت فديتك؟ قال: أنا مع السفارة، قلت: وما السفارة؟ قال: الكرام البررة^(٢).

وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم، وقد مات كأنه يطير في الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿لَمِثْلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٣)، فقلت له: بِمَ أَدْخَلْتَ الجنة؟ قال: بالورع بالورع^(٤).

(١) انظر: ترجمة سفيان الثوري في «السير» (٢٢٩/٧ - ٢٧٩).

(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٠).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٤) «العاقبة» لعبد الحق الاشيلي الأزدي ص (١٣١).

أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (رحمه الله)

قال ابن عباس رضي الله عنه: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعهم علماً عما في كتاب الله .

«قيل لجابر بن زيد عند موته: ما تشتهي؟ فقال: نظرة إلى الحسن، فجاء الحسن، فلما دخل عليه قيل له: هذا الحسن، فرفع طرفه، وقال: يا إخوانه! الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار» يا لله أى نضارة تحمل وجوه الصالحين حتى يصير النظر إليها أعز أمنيات الصالحين عند الموت . وعن ثابت البناني قال: لما حضر جابر بن زيد الوفاة قال: أقعدوني . فأقعد، ثم قال: أضجعوني .

فأضجع فقال: أعوذ بالله من النار وسوء الحساب . ثلاث مرات ^(١) .

عبد الرحمن بن أبان بن عثمان (رحمه الله)

قال فيه الذهبي: أحد من يصلح للخلافة . . . وقال موسى التيمي: ما رأيت أحداً أجمع للدين والمملكة والشرف منه .

قال الذهبي: «كان يشتري أهل البيت فيكسوهم ويعتقهم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت فمات وهو نائم في مسجده» ^(٢) .

وقال ابن الجوزي: «مات وهو قائم في مسجده يصلى السبحة - يعنى الضحى -» ^(٣) .

(١) كتاب المحتضرين (ص: ١١٨) .

(٢) «السير» (١٠/٥ ، ١١) .

(٣) «صفة الصفوة» (١٤٨/٢) .

أبو مسلم الخولاني (رحمه الله)

عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قالا: قحط الناس على عهد معاوية رضي الله عنه فخرج يستسقى بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم: ترى ما داخل الناس فادع الله، فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه بُرنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه فقال: اللهم إنا بك نستمطر وقد جئت بذنوبي إليك، فلا تخينني، قال: فما انصرفوا حتى سقوا. قالا: فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعة فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، قالا: وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم - رحمه الله - يوم الخميس المقبل ^(١).

شيخ الإسلام حماد بن سلمة (رحمه الله)

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحامد بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.
قال الذهبي: كانت أوقاته معمورة بالتعب والأوراد.
قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد في الصلاة في المسجد ^(٢).

* * *

(١) «الزهد» لأحمد ص (٣٩٢)، و«إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠).

(٢) السير (٧/ ٤٥٦).

داود الطائي (رحمه الله)

قال فيه ابن المبارك: هل الأمر إلا ما كان عليه داود.
وقال محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئاً من خبره.

«قال أبو داود الطيالسي: حضرت داود، فما رأيت أشد نزعاً منه»^(١).
قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته، فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير الحمد لله، قال: فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير»^(٢).

إبراهيم النخعي فقيه العراق (رحمه الله)

قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه»^(٣).
وقيل: إن إبراهيم لما احتضر، جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك فقال: وأي خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يرد عليّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقى إلى يوم القيامة»^(٤).
هذا قول إبراهيم النخعي، وهو العلم، الإمام، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن.

(١) «السير» (٧/ ٤٢٢ - ٤٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٢٢ ، ٢٢٣).

(٣) «حسن الظن بالله» ص (٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص (٣٨).

(٤) انظر: «السير» (٤/ ٥٢٠ - ٥٢٩).

وعن أبي معشر زياد بن كليب قال: دخلنا على إبراهيم النخعي حين ثقل، فجعل يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

قال: فلما زاد ثقلًا جعل ينقص حتى قال: لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله. ثم قضى^(١).

وعن عمران الخياط قال: دخلت على إبراهيم أعوده وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ قال: أنتظر ملك الموت، لا أدري بالجنة ييسرنى أم بالنار^(٢).

أبو يحيى مالك بن دينار (رحمه الله)

عن أبي عيسى قال: دخلوا على مالك بن دينار وهو فى الموت فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبى يحيى^(٣).

وعن عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنى أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد كان قبلى لأوصيت أهلى إذا أنا مت أن يقيدونى ويجمعوا يدى إلى عنقى فينطلقوا بى على تلك الحالة حتى أُدفن كما يُصنع بالعبد الأبق، فإذا سألنى ربى فقال: قلت: أى رب لم أرض نفسى طرفة عين قط^(٤).

وعند ابن أبى الدنيا: «لولا أنى أخاف أن يكون بدعة لأمرتكم إذا أنا مت فَشُدَّتْ يدى بشريط، فإذا قدمت على الله فسألنى -وهو أعلم-: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أى رب لم أرض لك نفسى قط^(٥).

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٢١).

(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص (١٤٧)، و«المصنف» لابن أبى شيبة (٥٥١/١٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٢٨٨/٣)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٤٤).

(٤) «الثبات عند الممات» ص (١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢٨٨/٣).

(٥) «الحلية» (٣٦١/٢)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٤٤).

يزيد بن أبان الرقاشى (رحمه الله)

كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل.

* قال حوشب بن عقيل: سمعت يزيد الرقاشى يقول لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١). ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساعٍ ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت. ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدى الله موقفه، والنار غداً مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقفك بين يدى ربك^(٢).

* وعن درست القزاز قال:

لما احتضر يزيد الرقاشى بكى، ف قيل له: ما يبكيك -رحمك الله؟ قال: أبكى والله على ما يفوتنى من قيام الليل وصيام النهار. ثم بكى، وقال: من يصلى لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوانه، لا تغترن بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بى من عظيم الأمر وشدة كرب الموت. النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوانه، المبادرة -رحمكم الله-^(٣).

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٢) «تهذيب الكمال» (٧٦/٣٢)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٤٥).

(٣) «تهذيب الكمال» (٧٦/٣٢، ٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٤٦)، والنجاء والنجاة بمعنى واحد.

على بن صالح (رحمه الله)

الإمام القدوة الكبير:

* قال عبد الله بن موسى: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخى، رفع بصره، ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١). ثم خرجت نفسه، فنظرنا، فإذا ثقب فى جنبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد.

* قال الحسن بن صالح: قال لى أخى -وكنت أصلى- يا أخى اسقنى. قال: فلما قضيت صلاتى، أتيته بماء، فقال: قد شربت الساعة، قلت: من سقاك وليس فى الغرفة غيرى وغيرك؟ قال: أتانى الساعة جبريل بماء، فسقانى وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم الله عليهم، وخرجت نفسه^(٢).

الإمام الأوزاعى (رحمه الله)

عن محمد بن عُبَيْد الطنافسى قال: كنت عند سفيان الثورى، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رُفعت، قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى. فكتبوا ذلك، فوجد كذلك فى ذلك اليوم^(٣).

* * *

(١) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٢) «السير» (٣٧١/٧، ٣٧٢)، «النبات عند الممات» ص (١٥٤)، و«صفة الصفوة» (١٥٣/٣).

(٣) «السير» (١٢٦/٧).

الإمام الشافعي (رحمه الله)

قال أحمد بن حنبل: قدم الشافعي فوضعنا على المحجة البيضاء^(١).
 وقال: ما من أحد مس محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منة^(٢).
 وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: «قال أستاذ الأستاذين، فيقال له: من هو؟ فيقول: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟»^(٣).
 وقال أبو زرعة: «ما أعلم أحدًا أعظم منة على أهل الإسلام من الشافعي»^(٤).

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي»^(٥).

قال الربيع: جاء رسول الخليفة^(٦) إلى الشافعي بمصر يدعوه ليوليه القضاء، فقال الشافعي: اللهم إن كان خيرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فأَمْضِهِ، وإلا فاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، قال: فتوفى بعد هذه الدعوة بثلاثة أيام، والرسول على بابه^(٧).

عن ابن خزيمة وغيره، حدثنا المزنّي قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله واركداً، ما أدري روعي تصير إلى جنة فأهنيها، أو إلى نارٍ

(١) «توالى التأسيس» ص (١١١).

(٢) «توالى التأسيس» ص (١١٣).

(٣، ٤) «توالى التأسيس» ص (٦١).

(٥) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٦٥).

(٦) «الخليفة المأمون».

(٧) «توالى التأسيس» لابن حجر ص (١٩٣).

فأعزبها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضائق مذاهبي
جعلت رجائي دُونَ عَفْوِكَ سَلَمًا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فما زلتَ ذا عَفْوٍ عن الذنب لم تزل
تجود وتَعْفُو مَنَةً وتكرِّمًا
ولولاكَ لم يُغْوِ بِإِيلَاسِ عَابِدٍ
فكيف وقد أغوى صفيك آدمًا
وإني لآتي الذنب أعرف قدره
وأعلمُ أن الله يعفو تَرْحَمًا^(١)

توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب.
وقال الربيع: «رأيت في المنام أن آدم عليه السلام مات، فسألت عن ذلك فقيل
لي: هذا موت أعلم أهل الأرض؛ لأن الله تعالى علّم آدم الأسماء كلها،
فما كان إلا يسير، فمات الشافعي»^(٢).

وقال أيضًا: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد الله، ما
صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسى من ذهب، ونثر على اللؤلؤ
الرطب^(٣).

* * *

(١) «صفة الصفوة» (١٤٦/٢)، و«السير»، و«توالي التأسيس» ص (١٨٩).

(٢) «المجموع» للنووي (١٥/١).

(٣) «صفة الصفوة» (١٤٧/٢).

العلاء بن زياد العدوى (رحمه الله)

* عن زهير بن أبي عطية:

لما احتضر العلاء بن زياد العدوى بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة.
قال: فافعل رحمك الله.

قال: فدعا بطهور، فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد، فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ برأسه مرتين، أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات^(١).

أبو عمران الجوني (رحمه الله)

الإمام عبد الملك بن حبيب الجوني الذي كان إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه، قال عنه جعفر الضبي: «شهدت أبا عمران الجوني وهو في الموت، فدخل عليه أيوب السخيتاني، فقال لابنه: لقن أباك لا إله إلا الله.
فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟

قال: قال: لقن أباك: قال أبو عمران: يا أيوب، إنها أمامي، لا أعرف غيرها»^(٢).

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٧/٢١٧)، و«صفة الصفوة» (٣/٢٥٣)،

و«تهذيب الكمال» (٤٩٧/٢٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» (ص: ٢٠٩).

توبة بن الصمة (رحمه الله)

قال ابن أبي الدنيا: حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله، قال: «كان توبة بن الصمة بالرقعة، وكان محاسباً لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتنا! ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خر مغشياً عليه، فإذا هو ميت»^(١).

شيخ الإسلام طلحة بن مصرف (رحمه الله)

قال عبد الملك بن أبجر: ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأ إلا رأيت له الفضل عليهم.

وقال فضيل بن عياض: بلغني عن طلحة أنه ضحك يوماً فوثب على نفسه، وقال: ولم تضحك، إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط، ثم قال: آليت أن لا أفتر ضاحكاً حتى أعلم بم تقع الواقعة، فما رُئي ضاحكاً حتى صار إلى الله^(٢).

قال ليث بن أبي سليم: حدثت طلحة بن مصرف في مرضه أن طأوساً كره الأئين، فما سُمع طلحة يئن حتى مات^(٣).

* * *

(١) «صفة الصفوة» (١٩٦/٤)، وهو الذي يقال له مجنون ليلى كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٣٥٣/٨).

(٢) «السير» (١٩٢/٥).

(٣) «الحلية» (١٨/٥)، و«صفة الصفوة» (٩٨/٣)، و«الثبات» ص (١٤٤)، و«السير» (١٩٢/٥).

على بن الفضيل بن عياض (رحمه الله)

* كان علىُّ يوماً عند ابن عيينة، فحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار، وفي يد على قرطاس في شيء مربوط، فشقق شهقة ووقع، ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان، فقال: لو علمت أنك هاهنا ما حدثت به. فما أفاق إلا بعد ما شاء الله^(١).

* وقال الفضيل: أشرفت ليلة على علىّ، وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟!

وقال لى: يا أبت، سل الذى وهبنى لك فى الدنيا أن يهبنى لك فى الآخرة. ثم قال: لم يزل منكسر القلب حزينا، ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يساعدننى على الحزن والبكاء. يا ثمرة قلبى، شكر الله لك ما قد علمه فيك^(٢).

قال الخطيب: «مات قبل أبيه بمدة، من آية سمعها تُقرأ، فغشى عليه وتوفى فى الحال»^(٣).

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التى مات فيها على بن الفضيل فى الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾^(٤)، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه^(٥).

* * *

(١) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلى ص(٢١)، و«السير» (٨/٤٤٥).

(٢) «السير» (٨/٤٤٤)، و«الحلية» (٨/٢٩٧).

(٣) «السير» (٨/٤٤٣).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٢٧).

(٥) «السير» (٨/٤٤٦).

أبو عبد الله محمد بن يوسف الأصبهاني (رحمه الله)

* كان ابن المبارك يأتيه، ويحبه. وقال يحيى القطان: ما رأيت خيراً منه.
كان - رحمه الله - لا يضع جنبه^(١).

* «خرج - رحمه الله - في جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق
الفزاري ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات
فدُفن بينهما.

فما أتت عليه عشرة أيام، أو نحوها حتى دُفن في الموضع الذي أشار
إليه»^(٢).

ربيع بن حراش العبسي (رحمه الله)

عن الحارث الغنوي قال: «آلى ربيع بن حراش أن لا تفتتر أسنانه
ضاحكاً؛ حتى يعلم أين مصيره. قال الحارث: فأخبر الذي غسله أنه لم يزل
متبسماً على سريرته ونحن نغسله؛ حتى فرغنا منه... رحمة الله عليه»^(٣).

* * *

(١) السير (١٢٦/٩).

(٢) صفة الصفوة (٨٣/٤).

(٣) السير (٣٦١/٤).

سليمان التيمي (رحمه الله)

* سليمان بن طرخان عالم البصرة وعابدها... قال عنه شعبة: كان إذا حدث عن رسول الله ﷺ تغير لونه، وما رأيت أصدق منه. وقال معتمر ابنه: مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوماً. هذا الإمام المتهجّد الصوام قال عنه ابنه المعتمر لما حل به الموت: «قال لي أبي حين حضره الموت: يا بني: حدثني الرُّخَص، لعلّي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به»^(١).

وهذا من فقه هذا الإمام الكبير وعلمه، فإن الإنسان يُغلب الخوف على الرجاء ما دام في دار الدنيا، فإذا نزل به الموت يُغلب الرجاء على الخوف. قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه.

الإمام خالد بن معدان شيخ أهل الشام (رحمه الله)

عن عبدة بنت خالد، قالت: قلما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم، ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجلّ ربّي قبضي إليك،... حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك. قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم^(٢).

(١) «حلية الأولياء» (٣/٣١)، و«صفة الصفوة» (٣/٢٩٩)، و«حسن الظن» لابن أبي الدنيا، خير رقم (٢٩)، و«النبات عند الممات» ص (١٤٨) و«كتاب المحتضرين» ص (٣٩).

(٢) «السير» (٤/٥٣٦ - ٥٤١).

كان -رحمه الله- يُسَبِّحُ كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما كان يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره لِيُغَسَّلَ، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح^(١).

الإمام أبو أسماء إبراهيم التيمي عابد الكوفة (رحمه الله)

قال -رحمه الله-: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبير الأولى فانفض يدك منه.

عن علي بن محمد قال: طلب الحجاج إبراهيم النخعي، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يذله على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كنّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حلم نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فألقى على الكناس^(٢).

* * *

(١) «السيرة» (٤/ ٥٤٠)، وإسناده منقطع، وهي في «الحلية» (٥/ ٢١٠)، وعند ابن عساكر (٥/ ٢٦٠).

بطريق أخرى.

(٢) السيرة (٥/ ٦٢).

عبد الله بن إدريس الأودي
(رحمه الله)

هذا الحافظ الصالح العابد الذي أراد الرشيد توليته القضاء فامتنع تورعاً،
ووصله فرداً عليه صلته.

* عن حسين بن عمرو العنقري قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته
فقال: لا تبكى فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة^(١).

أبو جهث
«المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية»

أبو جهث، أو أبو جهير مسعود الضرير:

* عن إسماعيل بن نصر العبدى، قال: نادى مناد في مجلس صالح
المرى: ليقم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهث، فقال: اقرأ يا
صالح: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٢) **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ**
خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا^(٢) فقال أبو جهث: ردها يا صالح. فما فرغ من
الآية حتى مات أبو جهث^(٣).

* * *

(١). «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٧٠)، و«الثبات» ص (١٥٥).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٢٣ ، ٢٤).

(٣) «الجامع لشعب الإيمان»، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٣).

حطيط الزيات (رحمه الله)

* جىء بحطيط الزيات إلى الحجاج، فلما دخل عليه، قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عما بدا لك، فيأني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. قال: فما تقول في؟ قال: أقول: إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وأنت خطيئة من خطاياها. قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب. قال: فأنتهى به العذاب حتى انتحلوا لحمه. فما سمعوه يقول شيئًا، ثم مات -رحمه الله-.

أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع (رحمه الله)

قال سليمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر حين احتضر، جاء أبو حازم ومشixe، فأكبوا عليه يصرخون به، فلم يجبههم. قال شيبة: -وكان ختنه على ابنة أبي جعفر- ألا أريكم منه عجبًا؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدره، فإذا دواة بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن، قال سليمان: فقالت لى أم ولده بعدما مات: صار ذلك البياض غرة بين عينيه. * وعن نافع، قال: لما غُسل أبو جعفر القارئ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن، - رحمه الله-^(١).

(١) «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» للذهبي (١/ ٧٥ ، ٧٦) مؤسسة الرسالة.

عمرو بن قيس الملائي (رحمه الله)

هذا الشيخ الصالح الذي أقام عشرين سنة صائماً ما يعلم به أهله. يأخذ غداءه، ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه ويصوم.

هذا الإمام العابد الذي كان سفيان الثوري يأتيه يسلم عليه يتبرك به، ويجيء فيجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه.

* عن حفص بن غياث قال: «لما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى، فقال له أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنت مُنْغَصَّ العيش أيام حياتك! فقال: والله ما أبكى على الدنيا، إنما أبكى خوفاً أن أُحْرَمَ خير الآخرة»^(١).

شيخ الإسلام أبو بكر بن عياش (رحمه الله)

* قال عنه أبو عيسى النخعي: لم يُفرش له فراش خمسين سنة.

قال الحماني: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكى أخته، فقال: لا تبك، انظري إلى تلك الخزانة، أو الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة^(٢).

* وعن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة.

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٥)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٤٩).

(٢) «الحلية» (٨/ ٣٠٤)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٦٦).

آدم بن أبي إياس العسقلاني (رحمه الله)

* آدم بن أبي إياس من عباد الله الصالحين، كان شديد التمسك بالسنة، روى عنه الأئمة الأعلام مثل البخاري، وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة.
* قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدم بن إياس الوفاة ختم القرآن، وهو مُسَجَّى، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع. كنت أؤملك لهذا اليوم. كنت أرجوك، ثم قال: «لا إله إلا الله»، ثم قضى^(١).

ذو النون المصري (رحمه الله)

لله ما أحلى حاله وكلامه، لله ما أحلى إشارته، ولله دره عند موته.
قال فتح بن شخرف: دخلت على ذي النون عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموتُ وما مات إليك صبابتي
ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مُنْأى المنى كلُّ المنى أنت لى مُنْأى
وأنت الغنى كلُّ الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتي
وموضعُ آمالى ومكنون إضمارى
تحمّل قلبى فيك ما لا أبشّه
وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى^(٢)

(١) «تاريخ بغداد» (٢٩/٧)، و«صفة الصفوة» (٣٠٨/٤)، و«الثبات عند المات» ص (١٥٩).

(٢) فى «صفة الصفوة»:

وبين ضلوعى منك ما لا أبشّه
 ولم أبد باده لأهلٍ ولا جارٍ
 سرائر لا تخفى عليك خفيها
 وإن لم أبح حتى التنادى بأسرارى
 فهب لى نسيماً منك أحيا بروحه
 وجد لى يسرٍ منك يطرد إعسارى
 أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن
 من العلم فى أيديهم عُشر معشارٍ
 وعلمتهم علماً فباتوا بنوره
 وبان لهم منه معالم أسرارٍ
 معاينة للغيب حتى كأنها
 لما غاب عنها منه حاضرة الدارٍ
 فأبصارهم محجوبة، وقلوبهم
 تراك بأوهام حديدات أبصارٍ
 ألت دليل المرء إن هم تحيروا
 وعصمة من أمسى على جرف هارٍ
 قال الشيخ ابن شخرف: فلما ثقل، قلت له: كيف تجدك؟ فأشأ يقول:
 وما لى سوى الإطراق والصمت حيلةً
 ووضعى على خدى يدى عند تذكارى
 وإن طرقتنى عبرةً بعد عبرة
 تجرعتها حتى إذا عيل تصبارى
 أفضتُ دموعاً جمّةً مستهلة
 أطفئ بها حرّاً تضمن أسرارى

ولست أبالى فائتاً بعد فائت
إذا كنت في الدارين يا واحدی جاری^(١)

شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل (رحمه الله)

صاحب كتاب «الفنون» الذي قال فيه الذهبي: «لم يُصنّف في الدنيا أكبر منه».

قال ابن الجوزي: «لما احتضر ابن عقيل بكى أهله، فقال لهم: لي خمسون سنة أوقع عنه فدعوني أتهدى لمقابلته»^(٢).

الحافظ عبد الوهاب الأنماطي (رحمه الله)

محدث بغداد في عصره عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد.
قال ابن الجوزي: «كان على قانون السلف، لم تسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث».
وقال عنه: «قد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار، وكنت أقرأ الحديث وهو يبكي فاستفدت ببيكائه أكثر من استفادتي بروايته من آثاره».
وقال ابن الجوزي أيضاً: «دخلت عليه في مرضه - وقد ضنى جسمه - وهو ساكن صابر، فقال لي: إن الله لا يتهم في قضائه»^(٣).

* * *

(١) «حلية الأوتياء» (٩/ ٣٩٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٢٠). و«الثبات عند الممات» ص (١٦٤، ١٦٥).

(٢) «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» (٢/ ٢٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص (١٧٨).

(٣) «الثبات عند الممات» ص (١٨٠).

شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي (رحمه الله)

* قال أبو عبد الله محمد بن القاسم خادم ابن أسلم:

«دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام، فقال: تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير. قد نزل بي الموت، وقد منَّ الله تعالى عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه.

أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ عليَّ حتى أموت، واعلم أنني أخرج من الدنيا وليس أدع غير كسائي، ولبدى، وإنائي الذي أتوضأ فيه، وكتبي هذه، وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً، فقال: هذه لابني، أهداه له قريب له، ولا أعلم شيئاً أحلَّ لي منه، لأن النبي ﷺ قال: «أنت ومالك لأبيك»^(١). فكفونني فيها، فإذا أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدى، وغطوا عليها بكسائي، وتصدقوا بإنائي، أعطوه مسكيناً يتوضأ فيه. ثم مات فى اليوم الرابع»^(٢).

* عن محمد بن العباس السلطى: سمعت ابن أسلم ينشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه

لا يستطيع دفاع مقدورٍ أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى

قد كان يُرى مثله فيما مضى

هلك المداوى والمداوى والذى

جلب الدواء وباعه ومن اشترى

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وفى «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخارى.

(٢) «حلية الاولياء» (٢٤١/٩)، و«الثبات عند الممات» (ص ١٦٢، ١٦٣).

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور.

* عن الحاكم قال: سمعت أبا النضر الفقيه، سمعت إبراهيم بن إسماعيل العنبري يقول: كنت بمصر، وأنا أكتب بالليل كتب ابن وهب، وذلك لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبد الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبته على ظهر كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة^(١).

إبراهيم بن هاني النيسابوري (رحمه الله)

* قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «إن يكن أحد ممن يعرف من الأبدال فإبراهيم بن هاني».

وقال: إن كان ببغداد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابوري^(٢).
قال إسحاق بن إبراهيم بن هاني: كان أحمد بن حنبل مخفياً ها هنا عندنا في الدار، فقال لي أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك - يعني: من العبادة.

هذا الإمام العلم مات وهو صائم.

قال أبو بكر النيسابوري: «حضرت إبراهيم بن هاني عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر. قال: يا أبت: الستر مرفوع.
قال: أنا عطشان فجاءه بماء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فردّه، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٣)، ثم خرجت روحه». وفي «صفة الصفوة»: «فدعا ابنه إسحاق قال: هل غربت الشمس؟ قال:

(١) «السير» انظر ترجمة محمد بن أسلم الطوسي (١٢/١٩٥ - ٢٠٧).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/٢٠٥).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

لا، ثم قال: يا أبت رُحِّصْ لك في الإفطار في المرض في الفرض، وأنت متطوع!، قال: أمهل، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(١) ثم خرجت روحه^(٢).

شيخ القراء أبو بكر النقاش (رحمه الله)

قال الخطيب: سمعت ابن الفضل القطان يقول: حضرت النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، فنادى بأعلى صوته ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٣). يرددها ثلاثاً. ثم خرجت نفسه - رحمه الله-^(٤).

شيخ الإسلام نصر بن إبراهيم (رحمه الله)

شيخ الإسلام العلامة القدوة الفقيه نصر بن إبراهيم صاحب كتاب «الحجة على تارك المحجة»:

قال الحافظ ابن عساكر: كان فقيهاً، إماماً، زاهداً، عاملاً، لم يقبل صلة من أحد بدمشق، بل كان يقات من غلة تُحمل إليه من أرض نابلس، فيخبز له كل يوم قرصة في جانب الكانون، حكى لنا ناصر النجار -وكان يخدمه- من زهده وتقلله وتركه الشهوات أشياء عجيبة.

حكى الفقيه نصر^(٥) عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو يقول:

(١)، (٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٢) «تاريخ بغداد» (٢٠٦/٦)، و«صفة الصفوة» (٤٠١/٢).

(٤) السير (٥٧٦/١٥).

(٥) يعنى: نصر الله المصيصي.

يا سيدى أمهلونى، أنا مأمور وأنتم مأمورون، ثم سمعت المؤذن بالعصر، فقلت: يا سيدى المؤذن يؤذن، فقال: أجلسنى، فأجلسته فأحرم بالصلاة، ووضع يده على الأخرى وصلى، ثم توفى من ساعته - رحمه الله-^(١).

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (رحمه الله)

قال ابنه صالح: لما كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حمَّ أبى ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفساً شديداً، وكنت قد عرفت علته، وكنت أُمَرُّضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبتِ على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلى. ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدى، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعف، وتوكأ على. وكان يختلف إليه غير متطبب كلهم مسلمون. فوصف له متطبب قرعة تشوى، ويسقى ماءها. وهذا كان يوم الثلاثاء - فمات يوم الجمعة - فقال: يا صالح، قلت: لبيك، قال: لا تشوى فى منزلك، ولا فى منزل أخيك. وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبته، وأتى ابن على بن الجعد فحبسته، وكثر الناس. فقال: فما ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك. قال: أستخير الله، فجعلوا يدخلون عليه أفواجا، حتى تمتلئ الدار، فيسألونه، ويدعون له، ويخرجون، ويدخل فوج، وكثر الناس، وامتلا الشارع، وأغلقت باب الزقاق.

وجاء جار لنا قد خضب، فقال أبى: إنى لأرى الرجل يحى شيئاً من السنة فأفرح به. فقال لى: وجه فاشتر تمرأ، وكفر عنى كفارة يمين. قال: فبقى فى خريقته نحو ثلاثة دراهم. فأخبرته، فقال: الحمد لله. وقال: اقرأ على الوصية، فقرأتها، فأقرأها.

وكننت أنام إلى جنبه، فإذا أراد حاجة، حركنى فأناوله، وجعل يحرك لسانه، ولم يئنّ إلا فى الليلة التى توفى فيها. ولم يزل يصلى قائماً، أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه فى ركوعه.

قال: واجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتاً، فلما كان يوم الجمعة، لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول، لساعتين من النهار توفى.

وقال المروذى: مرض أحمد تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً، يسلمون ويرد بيده، وتسامع الناس وكثروا.

وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكل السلطان بابه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق، فكان الناس فى الشوارع والمساجد، حتى تعطل بعض الباعة. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه، ربما دخل من بعض الدور وطرز^(١) الحاكة، وربما تسلق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب. وجاءه حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير يُقرئك السلام، وهو يشتهى أن يراك، فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفانى مما أكره. قال: وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبردُ تختلف كل يوم. وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قوم من القضاء وغيرهم، فلم يؤذن لهم. ودخل عليه شيخ، فقال: اذكر وقوفك بين يدى الله، فشقق أبو عبد الله، وسالت دموعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين. قال: ادعوا لى الصبيان - بلسان ثقيل - قال: فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمهم ويمسح رؤوسهم، وعينه تدمع، وأدخلت تحته الطست، فرأيت بوله دمًا عبيطاً. فقلت للطبيب: فقال: هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه.

(١) الموضع الذى تصنع فيه الثياب.

واشتدت علته يوم الخميس ووضأته، فقال خلل الأصابع، فلما كان ليلة الجمعة، ثقل، وقُبض صدر النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجبت، وامتألت السكك والشوارع.

وعن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله، وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذه من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته^(١).

قال صالح: دخل على أبي مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردت على الله الساعة، وجعل يقبل يده ويبكى، ويقول: أوصني يا أبا عبد الله، فأشار إلى لسانه. ودخل سوار القاضي، فجعل يبشره ويخبره بالرخص. رحم الله إمام أهل السنة والجماعة.

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»^(٢).

عن أخى أبي عقيل القزويني قال: رأيت شاباً توفي بقزوين في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قلت: غفر لك؟! قال: نعم. وتعجب، ولفلان، ولفلان. قلت: ما لي أراك مستعجلاً؟ -ورأيت مستعجلاً- قال: لأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا قد اشتغلوا بعقد الألوية -لاستقبال أحمد بن حنبل وأنا أريد استقباله- وكان توفي أحمد في تلك الأيام^(٣).

* وقال شيخ الإسلام الأنصاري: سمعت بعض أهل «باخرز»، وهى من

(١) «السير» (١١/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٣٦٧).

(٣) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣١١).

نواحي نيسابور، يقول: رأيت كأن القيامة قد قامت، وإذا برجل على فرس به من الحسن ما الله به عليم، ومناد ينادى: ألا لا يتقدمه اليوم أحد. فقلت: من هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل^(١).

قال الذهبي: «وقد جمع ابن الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من ثلاثين ورقة. وأفرد ابن البناء جزءاً في ذلك. وليس أبو عبد الله ممن يحتاج تقرير ولايته إلى منامات، ولكنها جند من جند الله تسر المؤمن ولا سيما إذا تواترت^(٢)».

الجنيد بن محمد (رحمه الله)

* قال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا، فكان قاعداً يصلى، ويشنى رجله كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقل عليه حركتها، فمدَّ رجله، وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعم، الله أكبر، فلما فرغ من صلاته، قال له أبو محمد الحريري: لو اضطجعت يا أبا القاسم. قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات - رحمه الله -.

* وقال أبو بكر العطوى: كنت عند الجنيد لما احتضر، فختم القرآن ثم ابتداء سورة البقرة، فتلا سبعين آية ومات.

* قال الخلدی: رأيت في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسفار^(٣).

(١) «السير» (١١/٣٤٩).

(٢) السير (١١/٣٥٣).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠/٢٨١)، و«النبات عند الممات» ص (١٦٨، ١٦٩).

شيخ أهل خراسان أبو محمد أحمد بن عبد الله المفضل المزني (رحمه الله)

قال الحاكم: سمعت ابنه بشرًا يقول: آخر كلمة تكلم بها أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء، وقال: ارحم شعبة شيخ جاءك بتوفيقك على الفطرة.

قال الحاكم: وسمعت أبا الفضل السليماني - وكان صالحًا - يقول: رأيت أبا محمد المزني في المنام بعد وفاته بليلتين، وهو يتبخر في مشيته، ويقول بصوت عال: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١)(٢).

الوزير الكبير الحسن على الطوسي (رحمه الله)

* الوزير الكبير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي: «مات ملكًا في الدنيا، ملكًا في الآخرة، وقُتل صائمًا»:

قال عنه الذهبي: متدين محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء... وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي.

* قُتل صائمًا في رمضان، أتاه باطنى في هيئة صوفى يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله وذلك سنة خمس وثمانين وأربع مائة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: «لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله».

(١) سورة القصص: الآية: (٦٠).

(٢) السير (١٨٤/١٦).

* قيل: إنه ما جلس إلا على وضوء، وما توضأ إلا تنفلًا، ويصوم الاثنين والخميس...

كان حليماً رزيناً جواداً صاحب فتوة واحتمال ومعروف كثير إلى الغاية، وبالغ في الخضوع للصالحين.

* وقيل: كان يتصدق كل صباح بمائة دينار.

قال ابن عقيل: بهر العقول سيرة النظام جوداً وكرماً وعدلاً، وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيامه دولة أهل العلم، ثم خُتم له بالقتل وهو مار إلى الحج في رمضان، فمات ملكاً في الدنيا، ملكاً في الآخرة -رحمه الله-.

محمد بن نوح (رحمه الله)

* ولي الله محمد بن نوح: «رفيق الإمام أحمد في محنته»:

* قال أبو عبد الله: ما رأيت أحداً على حدائثه سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله،... الله الله، إنك لست مثلي. أنت رجل يُقْتَدَى بك. قد مدَّ الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا. فمات وصليت عليه، ودفنته بعانة^(١).

* * *

خير النساج (رحمه الله)

أبو الحسن خير بن عبد الله النساج صاحب الجنيد.
 * قال أبو نعيم الحافظ: سمعت على بن هارون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه.
 أنه غُشى عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من البيت، وقال: قف - عافاك الله - فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أُمِرت به لا يفوتك، وما أُمِرت به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أُمِرت به، ودعا بماء فتوضأ للصلاة، ثم صلى، ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات، فرآه بعض أصحابه فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسأل عن هذا ولكن استرحت من دنياكم^(١).

شيخ الشافعية

ابن الإسماعيل إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم
(رحمه الله)

قال عنه حمزة السهمي: كان أبو سعيد إمام زمانه... تخرَّج به جماعة مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام والسخاء وحسن الخلق. وبالغ السهمي فى تاريخه.

توفى سنة ست وتسعين وثلاث مائة فتوفى إكراماً من الله له فى صلاة المغرب وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففاضت نفسه - رحمه الله -^(٢).

(١) «تاريخ بغداد» (٣٤٧/٨)، و«الحلية» (٣٠٧/١)، و«صفة الصفوة» (٤٥٣/٢)، و«الثبات» ص (١٧١).

(٢) السير (٨٨/١٧).

أبو يحيى زكريا بن يحيى (رحمه الله)

قال ابن الجوزي عنه: «كان عابداً، وكان أحمد بن حنبل - يقول عنه: هذا رجل صالح.

وكان يقول: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهي تقول: «وفيت بعهدك أنا التي اشتريتني». فيقال إنه مات عن قريب^(١).

أعرابي وحسن ظنه بربه عند موته

* وعن إدريس بن عبد الله المروزي قال: مرض أعرابي، فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يذهب بي؟ قال: إلى الله. قال: فما كراحتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه^(٢).

يوسف بن الحسين الرازي (رحمه الله)

* شيخ الري والجبال، نسيج وحده في إسقاط التصنع. كان - رحمه الله - يقول: «لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب إليَّ من أن ألقاه بذرة من التصنع». قال أبو عبد الله الخنقبادي: حضرنا يوسف بن الحسين الرازي، وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئاً.

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص (٦١٦).
(٢) كتاب المحضرين ص (٣٨)، وحسن الظن ص (٤٤).

فقال: اللهم نصحتُ خلقك ظاهراً، وغششت نفسي باطناً، فهب لي غشى لنفسي لنصحى لخلقك، ثم خرجت روحه^(١).

الإمام الحافظ أبو الوليد ابن الفرضي مصنف «تاريخ الأندلسيين» (رحمه الله)

قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيهاً حافظاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث والرجال، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، قتله البربر، وبقي مُلقًى في داره ثلاثة أيام^(٢). وورى متغيراً من غير غسل ولا كفن ولا صلاة.

عن علي بن أحمد الحافظ، أخبرني أبو الوليد بن الفرضي قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكرت في هول القتل فندمت، وهممت أن أرجع، فأستقيل الله ذلك، فاستحييت. قال الحافظ علي: فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: «لا يُكَلِّم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكَلِّم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك». كأنه يعيد على نفسه الحديث، ثم قضى على إثر ذلك - رحمه الله - وله شعر رائق فمنه:

أسيرُ الخطايا عند بابك واقف

على وجلٍ مما به أنت عارفٌ

يخافُ ذُنُوبًا لم يغب عنك غيبُها

ويرجُوك فيها فهو راجٍ وخائفٌ

(١) «تاريخ بغداد» (٣١/١٤)، و«النبات عند الممات» ص (١٧٣).

(٢) انظر: الترجمة في «السير» (١٧/١٧٧ - ١٨٠).

ومن ذا الذى يرجو سواك ويتقى
وما لك فى فصل القضاء مخالفٌ
فيا سيدى! لا تُخزنى فى صحيفتى
إذا نُشرت يوم الحساب الصخائف^(١)

**عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر غلام الخلال
(رحمه الله)**

له المصنفات الحسان الكبار.

* قال أبو يعلى محمد بن الحسين: بلغنى أن عبد العزيز بن جعفر، قال فى علة: أنا عندكم إلى يوم الجمعة. فقل له: يعافيك الله. فقال: سمعت أبا بكر الخلال، يقول: سمعت أبا بكر المروزى يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمان وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المروزى ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر الخلال ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة. وأنا عندكم إلى يوم الجمعة ولى ثمان وسبعون، فلما كان يوم الجمعة مات ودُفن بعد الصلاة^(٢).

* * *

(١) السير (١٧/ ١٨٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص (٦٢٢، ٦٢٣).

أبو زرعة الرازي (رحمه الله)

* لله در أبي زرعة الرازي وحسن خاتمه:

ومن في الناس كأبي زرعة الإمام الرباني عبيد الله بن عبد الكريم.
* قال عنه الإمام أحمد: اعتضت بمذاكرته عن نوافلي، وما جاوز الجسر
أحفظ من أبي زرعة.

وقال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل.

قال أبو جعفر التستري: حضرنا أبا زرعة - يعني: الرازي - بماشهران^(١)
وكان في السوق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان،
وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا
إله إلا الله»، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوه أن يلقنوه. فقالوا: تعالوا
نذكر الحديث، فقال: محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد
الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز، وقال أبو حاتم:
حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح ولم
يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة - وهو في السوق: حدثنا بندار،
حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب،
عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ:
«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وتوفي - رحمه الله -^(٢).

* قال حفص بن عبد الله - باردبيل - اشتهيت أن أرحل إلى أبي زرعة
الرازي، فلم يُقدر لي، فدخلت الري بعد موته، فرأيت في النوم يصلي في
سماء الدنيا بالملائكة، فقلت: عبيد الله بن عبد الكريم؟ قال: نعم! قلت: بم

(١) إحدى قرى الري.

(٢) «تاريخ بغداد» (١/ ٣٣٥)، و«الطبقات عند الممات» ص (١٦٢).

نلت هذا؟ قال: كتبت بيدى ألف ألف حديث، أقول فيها عن النبى ﷺ، وقد قال النبى ﷺ: «من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً»^(١).

إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبرى (رحمه الله)

حضر وقت موته جماعة منهم: أبو بكر بن كامل، ف قيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبيننا لنا نرجو بها السلامة فى معادنا؟ فقال: الذى أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبت فى كتبى فاعملوا به وعليه،.. وكلاماً هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده وبسطها، وقد فارقت روحه الدنيا^(٢).

بطل الإسلام طغان خان التركى (رحمه الله)

صاحب تركستان، وبلاساغون، وكاشغر، وختن، وفاراب^(٣). قصدته جيوش الصين والخطأ^(٤)، فى جمع ما سُمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاثمائة ألف.

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/٣٣٦).

(٢) السير (١٤/٢٧٦).

(٣) بلد عظيم فى ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر.

وكاشغر: هى: مدينة وقرى ورساتيق، وهى فى وسط بلاد الترك.

وختن: بلد دون كاشغر، وهى فى واد بين جبال فى وسط بلاد الترك.

وفاراب: ولاية وراء نهر سيحون، وهى أبعد من الشاش.

(٤) الخطأ: يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك، وقد أسسوا دولتهم فى القرن السادس الهجرى.

وكان مريضاً فقال: اللهم عافني لأغزوهم، ثم توفي إن شئت فعوفي، وجمع عساكره، وساق، فبيتهم، وقتل منهم مائتي ألف وأسر مائة ألف، وكانت ملحمة مشهودة في سنة ثمان وأربع مائة، ورجع بغنائم لا تُحصى إلى بلاساغون، فتوفاه الله عقيب وصوله وكان ديناً عادلاً بطلاً شجاعاً^(١).

أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد الغلبي (رحمه الله)

* قال عنه ابن الجوزي: «أحد المشهورين بالزهد والصلاح».

سمع الحديث على القاضي أبي يعلى، وقرأ عليه شيئاً من المذهب، وكان يعمل بيده تجصيص الحيطان، ثم ترك ذلك ولازم المسجد ليقرأ القرآن ويؤم الناس؛ كان عفيفاً لا يقبل من أحد شيئاً، وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة فيأخذ في كوز له ماء يفطر عليه؛ وكان يمشى بنفسه في حوائجه ولا يستعين بأحد، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويحجى إلى قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يا رب ها هنا، يا رب ها هنا، فاتفق أنه خرج في سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج وكان قد وقع من الجمل في الطريق دفعيتين؛ فشهد عرفة مُحَرَّمًا، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات، فحُمِلَ إلى مكة وطيف به البيت، ودُفِنَ في يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض^(٢).

* * *

(١) «السير» (١٧/٢٧٨ ، ٢٧٩).

(٢) مناقب الإمام أحمد (ص: ٦٣٣ ، ٦٣٤).

الإمام البخارى (رحمه الله)

قال قتيبة بن سعيد: لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة لكان آية .
قال ابن عدى: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندى يقول:
جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك - قرية على فرسخين من سمرقند -
وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعتة ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة
الليل: اللهم إنه قد ضاقت على الأرض بما رحبت، فاقبضنى إليك فما تم
الشهر حتى مات. وقبره بخرتنك.

وقال محمد بن أبى حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل، وهو
الذى نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتد به
المرض حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند فى إخراج محمد، فلما وافى
تهياً للركوب، فلبس خُفَّيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو
نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معى يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال -
رحمه الله-: أرسلونى، فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع فقبضى -
رحمه الله-. فسأل منه العرق شئ لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن
أدرجنه فى ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا: أن كفنونى فى ثلاثة
أثوابٍ بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من
تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أيام ثم علت سوارى
بيض فى السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون،
وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، حتى ظهر القبر ولم نكن نقدر
على حفظ القبر بالحراس. وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشباً
مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول

القبر من التراب، ولم يكونوا يخلّصون إلى القبر... وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة، حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

وقال محمد بن محمد بن مكى الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسى يقول: رأيت النبي ﷺ فى النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف فى موضع، فسلمت عليه، فرد على السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى، فلما كان بعد أيام بلغنى موته، فنظرت فإذا قد مات فى الساعة التى رأيت النبي ﷺ فيها.

على بن بابويه الصوفى (رحمه الله)

لما هجم أبو طاهر القرمطى فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة على الحاج بمكة، دخل يوم التروية، فقتل الحاج فى المسجد الحرام، وفى فجاج مكة، وفى البيت قتلاً ذريعاً، وكان الناس يطوفون، فيُقتلون. وكان على بن بابويه يطوف، فما قطع الطواف فضربوه بالسيوف فلما وقع أنشد:

ترى المحبين صرعى فى ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا^(١)

* * *

(١) «الثبات عند الممات» ص (١٧٥)، «البداية والنهاية» (١١ / ١٦٠).

الإمام أبو حامد الغزالي (رحمه الله)

* قال أخوه أحمد: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلى، وقال: علىَّ بالكفن، فأخذه وقبله، وتركه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجله، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار^(١).

ورثاه الأبيوردي بأبيات منها.
مضى وأعظمُ مفقودٍ فُجعتُ به
من لا نظير له في الناس يخلفه
وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبتُ لصبري بعده وهو ميتٌ
وكنتُ امرأً أبكى دماً وهو غائب
على أنها الأيامُ قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب^(٢)

* * *

(١) «الثبات عند الممات» ص (١٧٨ ، ١٧٩).

(٢) «وفيات الإعيان» (٤ / ٦٠ ، ٦١).

رواية عجز البيت قبل الأخير في الديوان هي:

وقد كنت أبكيه دماً وهو غائب

الإمام ابن الجوزي (رحمه الله)

شيخ وقته وإمام عصره، صاحب التصانيف في فنون العلم، من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه.

وله في الوعظ العبارة الرائقة. والإشارات الفائقة.

وإشارة تبكي الجنيـد وصـحبه

في رقة ما نالها ذو الرمة

كان إذا وعظ اختلس القلوب، وتشققت النفوس دون الجيوب، انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب في المجلس الواحد مائة وأكثر، وكان يجلس بجامع المنصور يوماً أو يومين في السنة فتُغلق المحال، ويحضر الجمع بمائة ألف. وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف.

* ومجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون. وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل...

وقال في آخر كتاب «القصاص والمذكرين» له: قد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل،... وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف.

كم كان لى من مجلس لو شُبِّهَتْ

حالاته لتشُبِّهَتْ بالجنة

قال سبط ابن الجوزي: «نزل عن المنبر، فمرض خمسة أيام، وتوفى ليلة

الجمعة بين العشائين في داره. قال: وحكت لي والدتي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟ يرددها. قد جئتم لي هذه الطواويس. ورأه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربى على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر، والملائكة جلوس بين يديه.

قلت: وأنبأني أبو الربيع على بن عبد الصمد بن أحمد عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبى: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول: لعمرك قد أوذى وعُطِّل منبر

وأعصى على المستفهمين جواب

قال: فانتبهت من نومي، فقلت: ترى أى شيء قد جرى؟ فجاءنا الخبر وقت العصر بموت ابن الجوزى، فقلت: ولم يبق من يرجى لإيضاح مشكل

وأصبح ربع العلم وهو خراب^(١)

وقال الذهبي في «السير»:

أوصى أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن

كثُر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الـ

صفح عن جرم يديه

أنا ضيفٌ وجزاء الـ

ضيف إحسان إليه^(٢)

* * *

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/٣٩٩ - ٤٣٠).

(٢) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/٣٦٥ - ٣٨٤).

جعفر بن الحسن (رحمه الله)

* جعفر بن الحسن الدرزي جاني الأمار المعروف، ذو المقامات المشهورة في ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين، صاحب القاضي أبا يعلى وتفقه عليه «توفى في الصلاة ساجداً»^(١).

شيخ الحنابلة أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (رحمه الله)

قال ابن الجوزي: انتهى إليه مذهب أحمد، وكان متعبداً حسن السمعة، فلما احتضر غزل أكفان نفسه، وأوصى أن لا يُكفَّنَ بغيرها، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء^(٢).

أبو بكر بن حبيب (رحمه الله)

ابن الخباز محمد بن عبد الله بن حبيب العامر.
كان يأمر بالإخلاص، وحسن القصد.
قال عنه ابن الجوزي تلميذه.

«سمع الحديث وتفقه، وكان يدرس ويعظ، وكان نعم المؤدب.
فلما احتضر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى

(١) «المقصد الأرشد» (١/٢٩٧)، و«شذرات الذهب» (٤/١٥).

(٢) «الثبات عند المات» ص (١٧٦).

وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر: هل ترى جيبني يعرق؟ فقال: نعم، فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول الله ﷺ: «المؤمن يموت بعرق الجبين»، ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدي إليك فردها

بالفضل لا بشماتة الأعداء (١)

الإمام أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى (رحمه الله)

شيخ أهل الورع والتأله فى عصره، المشبه بابن حنبل فى زمانه.
* قال الضياء: سمعت أبا موسى يقول: مرض أبى فى ربيع الأول مرضاً شديداً منعه من الكلام والقيام، واشتد ستة عشر يوماً، وكنت أسأله كثيراً: ما يشتهى؟ فيقول: أشتهى الجنة، أشتهى رحمة الله، لا يزيد على ذلك، فجتته بماء حار فمد يده فوضأته وقت الفجر، فقال: يا عبد الله قم صل بنا وخفف، فصليت بالجماعة، وصلى جالساً، ثم جلست عند رأسه، فقال: اقرأ ﴿يس﴾، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أؤمن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بنى ما بقى إلا الموت، فقلت: ما تشتهى شيئاً؟ قال: أشتهى النظر إلى وجه الله سبحانه، فقلت: ما أنت عنى براص؟ قال: بلى والله، فقلت: ما توصى بشيء؟ قال: ما لى على أحد شيء، ولا لأحد على شيء، قلت: توصينى؟ قال: أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا

(١) «الثبات عند المات» ص (١٧٩ ، ١٨٠).

الله، قولوا: لا إله إلا الله، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه، ويشير بعينه، فقامت لأناول رجلاً كتاباً من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه - رحمه الله - وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست مائة، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد واجتمع الخلق من الغد فدفناه بالقرافة^(١).

شيخ الإسلام الحَجَرِي (رحمه الله)

المقرئ المحدث الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الرعيني الحجري، الأندلسي.
قال الأَبَار: كان غاية في الورع والصلاح والعدالة.
كان زمناً يخبر أنه يموت في المحرم لرؤيا رآها، فكان كل سنة يتهيأ ومات عبيد الله في المحرم سنة إحدى وتسعين وخمس مائة.
قال ابن فرتون: ظهرت لأبي محمد بن عبيد الله كرامات، حدثنا شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غاز، عن بنت عمه - وكانت سالحة، وكانت استحيزت مدة - قالت: حدثت بموت ابن عبيد الله، فشق عليَّ أن لا أشهده، فقلت: اللهم إن كان ولياً من أوليائك، فأمسك عني الدم حتى أصلى عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أره بعد^(٢).

* * *

(١) السير (٢١ / ٤٦٩).

(٢) السير (٢١ / ٢٥١ - ٢٥٤).

الفقيه الزاهد سعد بن عثمان بن مرزوق القرشي (رحمه الله)

قال ابن رجب الحنبلي:

«رأى رجل في بغداد النبي ﷺ، وهو يقول: لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء،... أو كما قال.

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا، فرموه مرات، وكأن منادياً ينادى في قلوب الناس، وهو يقول: أعوذ بالله من الفتنة، أيش بى؟ أيش بالناس؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم.

وقال القادسي: هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد، ومن تُشد إليه الرحال، ومن كان لله عليه إقبال الصائم في النهار، القائم في الظلام. وقال ابن النجار: كان عبداً صالحاً، مشهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع، والتقشف، والقناعة، والتعفف، وكان خشن العيش، مخشوشناً، كثير الانقطاع عن الناس.

وذكر القادسي أنه توفي يوم الثلاثاء ساجداً.

وذكر ابن النجار: أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ (١)(٢).

* * *

(١) سورة الواقعة: الآيتان: (٨٨ ، ٨٩).

(٢) الذيل (١ / ٣٨٤ - ٣٨٦).

شاعر عصره يحيى بن يوسف الصرصرى الأنصارى (رحمه الله)

«كان صالحاً قدوة، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة، شديداً فى السنة، منحرفاً على المخالفين لها».

«لما دخل هو لأكو وجنده الكفار إلى بغداد كان الشيخ يحيى بها. فلما دخلوا عليه قاتلهم. ويقال إنه قتل منهم بعكازه. ثم قتلوه شهيداً رضي الله عنه وكان - رحمه الله - قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وبشره بالموت على السنة ونظم فى ذلك قصيدة طويلة معروفة. وقد حدث^(١).

الإمام الجبل إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المروزى ابن راهويه شيخ الإسلام، شيخ البخارى (رحمه الله)

* قال أحمد بن حنبل وذكر إسحاق: لا أعرف له بالعراق نظيراً.
وقال محمد بن أسلم الطوسى: لو كان الثورى فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق.
وقال ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق فى التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وقال محمد بن أسلم الطوسى حين مات إسحاق: ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق، يقول الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢). وكان أعلم الناس.

* توفى إسحاق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

(١) «الذيل» (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

وفى ليلة موته يقول الشاعر:
يا هدة ما هُددنا ليلة الأحد

فى نصف شعبان لا تُنسى مدى الأبد

قال أبو عمرو المستملى النيسابورى: أخبرنى على بن سلمة الكرايسى، وهو من الصالحين، قال: رأيت ليلة مات إسحاق كأن قمرًا ارتفع من الأرض إلى السماء، من سكة إسحاق، ثم نزل فسقط فى الموضع الذى دُفِن فيه إسحاق. قال: ولم أشعر بموته فلما غدوت إذا بحفار يحفر قبر إسحاق، فى الموضع الذى رأيت القمر وقع فيه^(١).

الإمام الحافظ العماد المقدسى (رحمه الله)

الشيخ العالم القدوة الزاهد بركة الوقت أخو الحافظ عبد الغنى.
* قال الحافظ الضياء: سمعت التقي أحمد بن محمد بن الحافظ يقول:
رأيت الشيخ العماد فى النوم على حصان، فقلت: يا سيدى الشيخ، إلى أين؟ قال: أزور الجبار عز وجل.
* قال الضياء: توفى العماد -رحمه الله- سنة أربع عشرة وست مائة، وكان صلى المغرب بالجامع وكان صائماً، فذهب إلى البيت وأفطر على شىء يسير، ولما أخرجت جنازته اجتمع خلق فما رأيت الجامع إلا كأنه يوم الجمعة من كثرة الخلق، وكان الوالى يطرد الخلق عنه وازدحموا حتى كاد بعض الناس أن يهلك، وما رأيت جنازة قط أكثر خلقاً منها.
* وحكى عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهّد^(٢).

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٨٨).

(٢) السير (٢٢/ ٥٤).

شيخ الإسلام محيي الدين النَوَوِي (رحمه الله)

المجتهد الرباني، الإمام القدوة، حسنة الأنام كما قال الذهبي .
 محرر المذهب ومهذب، كان على جانب كبير في العلم والعمل والزهد
 والتقشف، والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والتورع الذي لم
 يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل كما قال ابن كثير .
 * قال ابن العطار تلميذه:

«كنت جالساً بين يديه قبل انتقاله بشهرين ونحوها، وإذا بفقر قد دخل
 عليه، وقال للشيخ: فلان من بلاد (صرخد)^(١) يسلم عليك، وأرسل معي
 هذا الإبريق لك .

فقبله الشيخ، وأمرني بوضعه في بيت حوائجه، فتعجبت منه لقبوله،
 فشعر بتعجبي، فقال:

«أرسل إليَّ بعض الفقراء زربولاً^(٢)، وهذا إبريق، فهذه آلة السفر .
 ثم بعد أيام يسيرة كنت عنده، فقال لي: «قد أذن لي في السفر» .
 فقلت: كيف أذن لك؟

قال: بينا أنا جالس هنا - يعني: بيته في المدرسة الرواحية - وقدامه طاقة
 مشرفة عليها، مستقبل القبلة؛ إذ مر علىَّ شخص في الهواء من هنا، ومر
 هكذا - يشير من غرب المدرسة إلى شرقها -، وقال: قم سافر لبيت
 المقدس»، وكنت حملت كلام الشيخ على سفر العادة، فإذا هو السفر
 الحقيقي، ثم قال لي: «قم حتى نودع أصحابنا وأحبابنا» فخرجت معه إلى
 القبور التي دُفن فيها بعض مشايخه، فزارهم، وقرأ شيئاً، ودعا، وبكى، ثم

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق .

(٢) الزربول: النعل .

زار أصحابه الأحياء، كالشيخ يوسف الفقاعى، والشيخ محمد الإخميمى،
وشيخنا شمس الدين ابن أبى عمر شيخ الحنابلة.

ثم سافر صبيحة ذلك اليوم، وجرى معه وقائع، ورأيت منه أموراً تحتل
مجلدات، فسافر إلى (نوى)، وزار القدس، والخليل - عليه السلام -، ثم عاد
إلى (نوى)، ومرض عقب زيارته بها فى بيت والده، فبلغنى مرضه، فذهبت من
دمشق لعيادته، ففرح - رحمه الله - بذلك، ثم قال لى: «ارجع إلى أهلك».

وودعته وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست
وسبعين وستمائة، ثم توفى ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب فبينما أنا
نائم تلك الليلة؛ إذ منادٍ ينادى على سدة جامع دمشق فى يوم الجمعة:
الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع، فصاح الناس لذلك النداء،
فاستيقظت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلم يكن إلا ليلة الجمعة عشية الخميس؛ إذ جاء الخبر بموته - رحمه
الله - فنودى يوم الجمعة عقب الصلاة بموته، وصلى عليه بجامع دمشق،
فتأسف المسلمون عليه تأسفاً بليغاً، الخاص والعام، والمادح والذام، ورثاه
الناس بمراثى كثيرة^(١).

قال التاج السبكى: لما مات النووى بنوى ارتجت دمشق وما حولها
بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً.

وقال ابن شاكر الكتبى فى «عيون التواريخ» (١٦٤/٢١):

«وكان محبى الدين يسأل الله تعالى أن يموت بأرض فلسطين،
فاستجاب الله تعالى منه».

وانظر إلى الجبل الربانى النووى: «لما توفى - رحمه الله تعالى - ودُفن،
أراد أهله وأقاربه وجيرانه أن يبنوا على ضريحه قبة، وأجمعوا على ذلك؛ إذ

(١) «تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام محبى الدين» لعلاء الدين بن العطار ص (٩٧ - ١٠٠) - تحقيق
مشهور حسن - دار الصميعى.

جاء -رحمه الله- فى النوم إلى أكبر امرأة من قرائبه -أظنها عمته- وقال لها: «قولى لأخى والجماعة لا يفعلوا هذا الذى قد عزموا عليه من البنيان؛ فإنه كلما بنوا شيئاً؛ يُهدم عليهم».

فانتبهت منزعة فقصت عليهم الرؤيا فامتنعوا من البنيان وحوطوا على قبره بحجارة تمنع الدواب وغيرها^(١).

فرحم الله النووى الذى قال فيه التاج السبكى:

كان قطب زمانه، وسيد وقته، وسر الله بين خلقه.

وقال الذهبى فى «العبر»: «كان مع تبحره فى العلوم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة - وغير ذلك بما قد سارت به الركبان - رأساً فى الزهد، وقدوة فى الورع، عديم المثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قانعاً باليسير، راضياً عن الله، والله عنه راضٍ، مقتصد إلى الغاية فى ملبسه ومطعمه وإنائه، تعلوه سكينه وهيبه، فالله يرحمه ويسكنه الجنة بمنه»^(٢).

شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى الأنصارى (رحمه الله)

رحم الله الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن على أبو إسماعيل الهروى. * قال ابن تيمية فى «الأجوبة المصرية» شيخ الإسلام مشهور، مُعَظَّم عند الناس. هو إمام فى الحديث، والتصوف والتفسير. وهو فى الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعى، وأحمد. ويقرن بينهما فى أجوبته فى الفقه ما يوافق قول الشافعى تارة وقول أحمد أخرى، والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه.

(١) «تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام محبى الدين» ص (١٩٧).

(٢) «العبر» (٣١٢/٥).

وقال ابن رجب الحنبلي: كان سيِّداً عظيماً، وإماماً عارفاً، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها. وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة.

قال - رحمه الله -:

نهواك نحن ونحن منك نهابٌ
أهوى وخوفاً إن ذاك عجابٌ!
شخص العقول إليك ثم استحسرتُ
وتحسرتُ في كُنْهكَ الأبوابُ

توفى - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت بكازيا رِكَّاه - مقبرة بقرب هراة - وكان يوماً كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: إن استأثر الله بى فى الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر، فصدق الله ظنه فى ذلك»^(١).

صيف ومطر إن ذلك عجاب.

* * *

(١) «الذيل» (١/٥١ - ٦٧).

الشيخ المحدث الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة (رحمه الله)

انتهى إليه علو الإسناد، وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد. سمع منه وروى عنه الأئمة الكبار كالشيخ محيي الدين النووي، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العبد، والشيخ تقي الدين ابن تيمية. توفي يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وستين وستمائة. ورأى رجل ليلة موته في المنام كأن الناس في الجامع، وإذا ضجة. فسأل عنها؟ فقليل له: مات هذه الليلة مالك بن أنس، قال: فلما أصبحت جئت إلى الجامع، وأنا مفكر، وإذا إنسان ينادي: رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم - رحمه الله -^(١).

جمال الإسلام أبو الحسن السلمي على بن المسلم (رحمه الله)

أحد مشايخ الشافعية بالشام. روى عنه الحافظ ابن عساكر والسلفي. ولزم الغزالي مدة مقامه بدمشق. قال الغزالي بعد خروجه من الشام: خلفت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن - يعني: جمال الإسلام -، فكان كما قد تفرس فيه. وكان على فتاويه عمدة أهل الشام، وكان يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنازات... وكان يعقد مجلس التذكير، ويظهر السنة ويرد على المخالفين، ولم يخلف بعده مثله. توفي ساجداً في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة^(٢).

(١) الذيل (٢/ ٢٨٠).

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٣٥ ، ٢٣٦).

القسيم بن القسيم، الملك العادل، تقى الملوك، ليث الإسلام محمود بن زكى (رحمه الله)

نور الدين حامل رايتى العدل والجهاد، قلَّ أن ترى العيون مثله .
كسر الفرنج مرات، ودوَّخهم وأذلهم .
قال الذهبى أيضاً: كان بطلاً شجاعاً، ذا تعبُّد وخوف وورع، وكان
يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون
السباع وحواصل الطير .
قال له القطب النيسابورى: بالله لا تخاطر بنفسك، فإن أُصبت فى
معركة لا يبقى للمسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال: ومن محمود حتى
يقال هذا!! حفظ الله البلاد قبلى، لا إله إلا هو .
قال ابن واصل: كان يقول: طالما تعرضت للشهادة، فلم أدركها .
قال الذهبى: قلت: قد أدركها على فراشه، وعلى السنة الناس: نور الشهيد^(١) .

شيخ الإسلام عبد القادر الجيلانى (رحمه الله)

عبد القادر بن أبى صالح الجيلانى سلطان المشايخ .
قال ابن السمعانى: «إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره، فقيه صالح، دين
خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة» .
قال الشيخ موفق الدين صاحب «المغنى»: «لم أسمع عن أحد يُحكى عنه
من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحداً يُعظَّم
من أجل الدين أكثر منه» .

(١) انظر: الترجمة فى «السير» (٢/ ٥٣١ - ٥٣٩) .

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: «أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نُقلت بالتواتر»^(١).

وقال الذهبي بعد أن نعت الجيلاني بأنه: «الشيخ الإمام الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين»، قال في نهاية الترجمة في «السير» (٤٥١/٢٠):

«وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودواعيه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

قال ابن الجوزي: «توفي الشيخ عبد القادر... وبلغ تسعين سنة». وسمعت أنه كان يقول عند موته: «رفقاً رفقاً». ثم يقول: وعليكم السلام، وعليكم السلام. أجيء إليكم، أجيء إليكم. وسمعت من يحكى أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير، ما وعدنا بهذا».

شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة (رحمه الله)

قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، على قانون السلف، عليه النور، والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

قال الضياء: كان -رحمه الله- إماماً في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه، بل أوجد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوجد في الفرائض، إماماً في أصول الفقه.

وقال أبو شامة: كان إماماً في العلم والعمل^(٢).

قال الإمام ابن قدامة: «لا يكاد يسمع دعاءً إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاها، ولا يسمع حديثاً إلا عمل به، وكان لا يترك قيام

(١) «الذيل» (٢٩٢/١).

(٢) انظر: الترجمة في «السير» (١٦٥/٢٢ - ١٧٣).

الليل من وقت شيبوبته، وقلل الأكل في مرضه قبل موته حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح»^(١).

قال ابن رجب الحنبلي في «الذيل» (٢/ ١٤٢ - ١٤٤):

«توفى - رحمه الله - يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق. وصلى عليه من الغد، وحُمل إلى سفح قاسيون. فدفن به». قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادي.

قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رُفع من جامع دمشق إلى السماء، فلحقني غم شديد. فتوفى الموفق يوم العيد. قال: ورأى أحمد بن سعد - أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسي، وكان أحمد هذا من الصالحين - قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قالوا: ينقلون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب.

قال: وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: رأيت كأن النبي ﷺ مات، وقُبر بقاسيون يوم عيد الفطر. قال: وكنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيماً، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد.

والعلم قد أمسى كأن بواكياً

تبكى عليه وحبله ينقطع

وتعطلت تلك المجالس وانقضت

تلك المحافل، لينها لو ترجع

* * *

(١) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (٢٨/٥).

الشریف أبو جعفر الهاشمی عبد الخالق بن عیسی بن أحمد العباسی (رحمه الله)

قال ابن الجوزی: كان عالماً فقیهاً، ورعاً عابداً، زاهداً، قوَّالاً بالحق، لا یحابی، ولا تأخذه فی الله لومة لائم.

قال عنه ابن السمعانی: إمام الخنابلة فی عصره بلا مدافعة.

وقال ابن خیرون: مقدم أهل زمانه شرقاً، وعلماً وزهداً.

وقال ابن عقیل: كان یفوق الجماعة من أهل مذهبه و غیرهم فی علم الفرائض. وكان عند الإمام - یعنی: الخلیفة - مُعظماً حتی إنه وصَّى عند موته بأن یغسله، تبرکاً به. وكان حول الخلیفة ما لو كان غیره لأخذه. وكان ذلك كفاية عمره فوالله ما التفت إلى شیء منه، بل خرج ونسى مئزره حتی حُمِلَ إلیه. قال: ولم یشهد منه أنه شرب ماء فی حلقة علی شدة الحر، ولا غمس یده فی طعام أحد من أبناء الدنیا.

وقال ابن رجب: كان معظماً عند الخاصة والعامة، زاهداً فی الدنیا إلی الغایة، قائماً فی إنكار المنكرات بیده ولسانه، مجتهداً فی ذلك.

قال ابن الجوزی: لما احتضر القاضي أبو یعلی أوصی أن یغسله الشریف أبو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر الله قال: یغسلنی عبد الخالق، ففعل ولم يأخذ مما هناك شیئاً. فقیل له: قد وصی لك أمیر المؤمنین بأشیاء كثيرة، فأبى أن يأخذ مما هناك شیئاً.

وفی فتنة ابن القشیری، قام فیها الشریف قیاماً کلیاً، ومات فی عقبها. قال القاضي أبو الحسین: أخذ الشریف أبو جعفر فی فتنة أبی نصر بن القشیری، وحُبس أياماً فسرد الصوم وما أكل لأحد شیئاً.

قال: ودخلت عليه تلك الأيام ورأيته يقرأ فى المصحف، فقال لى: قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١) تدرى ما الصبر؟ قلت: لا، قال: هو الصوم. ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضج الناس من حبسه، وأخرج إلى الحريم الطاهوى بالجانب الغربى فمات هناك.

وذكر ابن الجوزى أنه لما اشتد مرضه، تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، وما أحب أن أموت إلا فى بيتى بين أهلى فأذن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم.

قال: وقرأت بخط أبى على بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبى جعفر، ووصيته إلى أبى عبد الله بن جرادة فكتبها. وهذه نسختها:

«ما لى - يشهد الله - سوى الحبل والدلو، وشئ يخفى على لا قدر له. والشيخ أبو عبد الله، إن راعاكم بعدى، وإلا فالله لكم. قال الله عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢)، ومذهبى: الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك، والشافعى، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم، ولا يُعقد لى عزاء، ولا يشق على جيب، ولا يُلطم خد. فمن فعل ذلك فالله حسيبه».

وتوفى - رحمه الله تعالى - ليلة الخميس سحرًا. ورآه بعضهم فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لما وُضعت فى قبرى رأيت قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، ادخل من أى أبوابها شئت. ورآه آخر فى المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: التقيت بأحمد بن حنبل فقال لى: يا أبا جعفر، لقد جاهدت فى الله حق جهاده، ولقد أعطاك الله الرضا رضي الله عنه^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٩).

(٣) «الذيل» (١/١٥ - ٢٤).

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلی (رحمه الله)

قال عنه ابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢٠):
«كان فقيهاً محدثاً، كثير الاشتغال بالعلم، وكان مواظباً على قراءة جزءين من القرآن في الصلاة في كل ليلة. توفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وأخبرني بعض أقاربه. وكان يخدمه في مرضه الذي توفي فيه - قال: آخر ما سمعت عند موته، أن قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر قوله لا إله إلا الله»، ثم مات.

الأمير الفقيه ضياء الدين الهكاري أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى (رحمه الله)

أكبر أمراء الدولة الصلاحية، تفقه بالجزيرة على الإمام أبي القاسم بن البزري، ثم انتقل لحلب، وسمع الحديث من أبي طاهر السلفي، وأبي القاسم بن عساكر. اتصل بخدمة الملك أسد الدين شيركوه، وصار إمامه في الصلوات وتوجه معه إلى مصر، وكان أحد الأسباب المعينة على سلطنة صلاح الدين بعد عمه، وكان ذا شجاعة وشهامة فأمره أسد الدين ثم رفع صلاح الدين منزلته ونقله من إمرة إلى إمرة، حتى صار أكبر أمراء الدولة وأسر مرة فافتداه السلطان صلاح الدين بستين ألف دينار.

توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة. مات بمخيمه على حصار عكا وهو مجاهد للفرنج^(١).

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٥ - ٢٥٦، ٣٦٥).

بطل الإسلام وقاهر الصليبيين السلطان صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله)

قال القاضي ابن شداد في ذكر وفاة صلاح الدين:

«لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهى الليلة الثانية عشرة من مرضه - رحمه الله - اشتد مرضه وضعفت قوته، ووقع فى أوائل الأمر من أول الليل، وحال بيننا وبينه النساء، واستحضرت أنا والقاضى الفاضل فى تلك الليلة وابن الزكى، ولم يكن عادته الحضور فى ذلك الوقت، وعرض علينا الملك الأفضل أن نبيت عنده، فلم ير القاضى الفاضل ذلك رأياً، فإن الناس كانوا فى كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة، فخاف أن لا نزل فيقع الصوت فى البلد، وربما نهب الناس بعضهم بعضاً، فرأى المصلحة فى نزولنا، واستحضر الشيخ أبى جعفر إمام الكلاسة، وهو رجل صالح يبيت فى القلعة، حتى إن احتضر - رحمه الله عليه - حضر عنده، وحال بينه وبين النساء، وذكره بالشهادة وذكر الله تعالى، ففعل، ونزلنا وكل من يود فداءه بنفسه، وبات فى تلك الليلة - رحمه الله عليه - على حال المتقلين إلى الله تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ويذكره بالله تعالى، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع، لا يكاد يفيق إلا فى الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١)، سمعه وقول يقول - رحمه الله عليه - : «صحيح»؛ وهذه يقظة فى وقت الحاجة، وعناية من الله تعالى به، فله الحمد على ذلك. وكانت وفاته - رحمه الله عليه - بعد صلاة

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٢).

الصباح من يوم الأربعاء سابع عشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الشمس فحضر وفاته -رحمة الله عليه- ووصلت وقد مات، وانتقل إلى رضوان الله ومحل كرامته. ولقد حكى لى أنه لما بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾^(١)، تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه... ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مكنّا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يُلْتُ به الطين وغسله الدولعي الفقيه، وندبت إلى الوقوف على غسله، فلم يكن لى قوة تحمل ذلك المنظر»^(٢).

وهكذا مضى مجدد الجهاد في عصره إلى ربه، متبسماً متهللاً الوجه متوكلاً عليه.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنها وكأنهم أحلام

الفقيه الزاهد أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني (رحمه الله)

* قال ابن الجوزي: وكان زاهداً عابداً، كثير الصوم، يُضرب به المثل في الحلم والتواضع وقال: كان من العلماء العاملين بالعلم، كثير الصيام والتعب، شديد التواضع، مؤثراً الخمول، وكان المثل يُضرب بحلمه وتواضعه، وما رأينا له نظيراً في ذلك، وقال: كان الشيخ أبو حكيم تالياً للقرآن. يقوم الليل ويصوم، وله الورع العظيم وكان يكتب بيده، فإذا خاط

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٩).

(٢) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، أو «سيرة صلاح الدين» للقاضي ابن شداد ص (٢٤٦)-

ثوبًا فأعطى الأجرة مثلاً قيراطًا، أخذ منه حبة ونصفًا وردَّ الباقي، وقال: خياطتي لا تساوى أكثر من هذا. ولا يقبل من أحد شيئًا.

* قال ابن الجوزى: رأيت بخطه - يعنى: أبا حكيم - على ظهر جزء له: رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين - فيما يرى النائم - كأن شخصًا فى وسط دارى قائمًا، قلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر. قال: تأهب للذى لا بد منه من الموت الموكل بالعباد، ثم كأنه علم أنى أريد أن أقول له: هل ذلك عن قرب؟ فقال: قد بقى من عمرك اثنتا عشرة سنة تمام سننى أصحابك. وعمرى يومئذ خمس وستون سنة. قال ابن الجوزى: فكنت دائمًا أترقب صحة هذا، ولا أفأوضه فى ذكره لئلا أنعى له نفسه، فمرض -رحمة الله عليه- اثنين وعشرين يومًا. فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة، فتأولت ذلك، وقلت: لعله دخول سنة لا تمامها ^(١).

المقرئ أبو البركات ابن الحنبلى محمد بن سعد العسال (رحمه الله)

* «كان - رحمه الله - من القراء المجودين، الموصوفين بحسن الأداء وطيب النعمة. يُقصد فى رمضان، لسماع قراءته فى صلاة التراويح، من الأماكن البعيدة. وكان دينًا صالحًا.

سمع منه ابن ناصر، والسلفى. قال: وكان من أحسن الناس تلاوة للقرآن، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا. وهو حنبلى المذهب. عقل الفقه عن ابن عقيل. توفى يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائة. وصلى عليه بجامع القصر وكان الجمع متوفرًا» ^(٢). سبحان الله! من كان يقصده

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/٢٣٩-٢٤١).

(٢) «الذيل» (١/١١٣).

الناس في رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح من الأماكن البعيدة يموت في رمضان . . . فهو شهره .

جُنَيْد عَصْرَه، الزاهد القدوة العارف عماد الدين ابن شيخ الحزاميين (رحمه الله)

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الحزامي .
كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يعظمه ويُجله، ويقول عنه: هو جنيد
وقته، . . . وكتب إليه كتاباً من مصر أوله: «إلى شيخنا الإمام العارف القدوة
السالك» .

قال عنه البرزالي: رجل صالح عارف، صاحب نُسك وعبادة، وانقطاع
وعزوف عن الدنيا .

وقال الذهبي: كان سيداً عارفاً كبير الشأن، منقطعاً إلى الله تعالى . . . وكان
داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح في الصفات . يمرها كما
جاءت . وقد انتفع به جماعة صحبوه، ولا أعلم خَلَفَ بدمشق في طريقته مثله .
قال ابن رجب الحنبلي: كان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات،
والتصنيف، والمطالعة، والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة،
والأنس بالله، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادي الفناء
بالله والبقاء به، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزوياً عن
الناس، لا يجتمع إلا بمن يحبه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي آخر نهار السبت سادس عشر ربيع
الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة ^(١) .

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦٠) .

أمير المؤمنين المسترشد بالله (رحمه الله)

قال ابن السمعاني: «كان ذا رأى وهيبة ومضاء وشجاعة، أحيا رمائم الخلافة، وشد أركان الشريعة، وضبط أمور الخلافة وردها ورتبها أحسن الترتيب.

والمسترشد أبلغ مما يُوصف به، وقد آل أمره إلى أن خرج في سنة تسع وعشرين وخمسمائة إلى همذان، للإصلاح بين السلاطين السلجوقية، وكان معه كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بالسلطان مسعود، ثم التقى الجمعان، فلم يلبثوا إلا قليلاً وانهمزوا عن المسترشد، وذلك في شهر رمضان، وقُبض على المسترشد بالله وعلى خواص دولته، وحُمِلوا إلى قلعة هناك بقرب همذان، فحُبِسوا فيها، وبقي المسترشد مع السلطان مسعود إلى النصف من ذى القعدة من السنة، وحُمِل معهم إلى مراغة من أذربيجان، ثم إن الباطنية ألقوا عليه جماعة من الملاحدة، وكان قد أنزل ناحية من العسكر فدخلوا عليه يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة، وفتكوا به وجماعة معه كانوا على باب خَرَكَاه^(١)، وقُتِلوا جميعاً ضرباً بالسكاكين وحُمِل هو إلى مراغة ودُفِن هناك.

ويحكى أن المسترشد كان إذ ذاك صائماً، وقد صلى الظهر وهو يقرأ في المصحف، فدخلوا عليه فقتلوه، ثم أُضِرمت عليهم النار... فرضى الله عنه، لقد عاش حميداً ومات شهيداً فقيداً^(٢).

* * *

(١) شيء يشبه الخيمة.

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/٢٥٧-٢٦٠).

الإمام عبد الرحيم البيساني (رحمه الله)

* الإمام العلامة سيد الفصحاء في عصره القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني: «دعا بالموت فأصبح ميتاً»:

* قال عنه العمداد المقدسي: قضى سعيداً، ولم يُبق عملاً صالحاً إلا قدمه، ولا عهداً في الجنة إلا أحكمه، ولا عقد بر إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتاب، كان للحقوق قاضياً، وفي الحقائق ماضياً، والسلطان له مطيع، ما افتتح البلاد إلا بأقاليد آرائه.

* وقال الذهبي: له الدين، والعفاف، والتقوى، مواظب على أوراد الليل والصيام والتلاوة. كان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وله معروف معروف في السر والعلانية.

حكى القاضي ضياء الدين ابن الشهرزوري أن القاضي الفاضل لما سمع أن العادل أخذ مصر، دعا بالموت خشية أن يستدعيه وزيره ابن شكر أو يهينه فأصبح ميتاً، وكان ذا تهجد ومعاملة.

قال الذهبي: توفي مسكوتاً^(١)، أحوج ما كان إلى الموت، عند تولى الإقبال وإقبال الإدبار، وهذا يدل على أن لله به عناية^(٢).

* * *

(١) يعنى: فجاءة.

(٢) انظر: «السير» (٢١/٣٣٨-٣٤٤).

الفقيه الزاهد أبو الحسن علي بن عمر الحراني (رحمه الله)

إمام الجامع بحرّان، من أهل الخير والصلاح والدين .
 توفي -رحمه الله- في آخر نهار يوم عرفة -وقيل : ليلة عيد النحر .
 ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية فقال :
 وروحه قبضت في ليلة شرفت
 يحظى بها كل محبوب وكل ولي
 بكت عليه عيون الناس كلهم
 وأوحش الكل من سهل ومن جبل
 بكت عليه الزوايا الخاليات كما
 قد كان يؤنسها من غير ما ملل
 بكت دفاتره حزنًا له وأسى
 لأنه كان عنها غير مشغول
 عليه طيب سلام غير منفصل
 على ممر ليالي الدهر متصل^(١)

* * *

(١) «الذيل» (١/٢٤١-٢٤٤).

أبو الحسن عقيل ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل (رحمه الله)

كان - رحمه الله - فقيهاً فاضلاً. مات وهو شاب، وله من العمر سبع وعشرون سنة.

قال والده الإمام ابن عقيل: «مات ولدى عقيل. وكان قد تفقه وناظر، وجمع أدباً حسناً، فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود الذى قتله على رضي الله عنه، فقالت أمه تراثه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

ما زلت أبكى عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يُقَاد منه

من كان يُدعى أبوه بيضة البلد

فأسلاها، وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرت إلى قاتل ولدى الحكيم المالك، فهان على القتل والمقتول لجلالة القاتل. وذكر عن الإمام أبى الوفاء أنه أكب عليه وقبله، وهو فى أكفانه. وقال: يا بنى، استودعتك الله الذى لا تضيع ودائعه. الرب خير لك منى. ثم مضى وصلى عليه بجنان ثابت^(١).

* * *

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/١٦٣ ، ١٦٤).

**محمد بن أحمد بن أبي نصر بن الدباهي
الزاهد أبو عبد الله بن أبي العباس (رحمه الله)**

* قال الشيخ كمال الدين ابن الزملي عنه: شيخ صالح، عارف زاهد، كثير الرغبة في العلم وأهله، والحرص على الخير، والاجتهاد في العبادة، تخلى عن الدنيا وخرج عنها، ولازم العبادة، والعمل الدائم والجد واستغرق أوقاته في الخير، متشف ورع، صلب في الدين، محب للصالحين وأهل الخير، منقطع عن الناس، يقوم الليل ويكثر الصوم، ويطول الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق، وإذا رآه إنسان عرف الجد في وجهه، يقوم فيما يظهر له من الحق، ويأمر بما يمكنه من المعروف وينهى عما يقدر عنه من المنكر ولم يزل كذلك حتى توفي^(١).

* قال عنه البرزالي: أحد المشايخ العارفين الصالحين، وافر الإخلاص، متبع للسنة، سيد من السادات.

وقال الذهبي: كان إماماً فقيه النفس، عارفاً بمعاملات القلوب... ترك أباه ونعمته وتجرد. ابتلى بضيق النفس سبعة أشهر، ثم بالاستسقاء - رحمه الله تعالى -^(٢).

* * *

(١) «الذيل» (٢/٣٦١).

(٢) «الذيل» (٢/٣٦١-٣٦٢).

الشيخ الجليل أبو الحسين العمراني اليماني يحيى بن أبي الخير بن سالم (رحمه الله)

شيخ الشافعية بإقليم اليمن، صاحب «البيان» وغيره من المصنفات الشهيرة. كان إماماً زاهداً ورعاً عالماً خيراً مشهور الاسم، بعيد الصيت، أعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي، يحفظ «المهذب» عن ظهر قلب.

قال ابن سمرة: وكان ورده في الليلة أكثر من مائة ركعة، بسُع من القرآن العظيم... مات - رحمه الله - مبطوناً شهيداً في ربيع الآخر قبل الفجر من ليلة الأحد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ولم يترك صلاة في مرض موته، وكان نزعه ليلتين ويوماً بينهما، يسأل عن كل وقت صلاة، ويصلي بالإيماء^(١).

الإمام ثقة الدين أبو القاسم ابن عساكر (رحمه الله)

هو الحافظ، صاحب تاريخ دمشق، لا يلحق شأوه، ولا يشق غباره، ولا كان له نظير في زمانه كما قال الذهبي في «السير».

* قال أبو شامة: أخبرني من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ، ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقنتي الله حجتي وأقالني عثرتي ورحم غربتي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتاً.

(١) «طبقات الشافعية» (٧/٣٣٨).

الفقيه الزاهد أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنى (رحمه الله)

قال الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي عن شيخه ابن المنى:

«رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقراء معموراً، وكل فقيه عنده من فضله وإفضاله معموراً، فأنخت راحلتى بربعه، وحططت زاملة بغيتى على شرعه، فوجدت الفضل الغزير، والدين القويم المنير، والفخر المستطيل المستطير، والعالم الخبير، فتلقاني بصدرٍ بالأنوار قد شُرحَ، ومنطق بالأذكار قد ذُكر ومُدح، وبياب إلى كل باب من الخيرات قد شُرع وفُتح.

وسُئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى؟ فقال: شيخنا أبو الفتح كان رجلاً صالحاً، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة في التعليم. قلَّ من قرأ عليه إلا انتفع.. وكان يقنع بالقليل، وربما يكتفى ببعض قرصة، ولم يتزوج، وقرأت عليه القرآن، وكان يحبنا ويجبر قلوبنا. قرأ عليه الفقه خلق كثير من أعيانهم الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغنى وأخوه الشيخ العماد. وكان كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل. ليس فيه تيه الفقهاء ولا عجب العلماء.

قال جامع سيرته: ابتدأ به المرض بعد نصف شعبان، وكان مرضه الإسهال وذلك من تمام السعادة؛ لأن مرض البطن شهادة. ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء، والتلامذة والأصحاب.

فحدثني صاحبه أبو محمد إسماعيل بن على الفقيه، وهو الذى تولى تمريضه قال: قال لى الشيخ يوم الخميس ثانى رمضان: أى فخر، آخر تعبك معى يوم الأحد؟ قال: وهكذا كان. فإنه توفى يوم السبت رابع شهر رمضان.

**قاضى المارستان محمد بن عبد الباقي بن محمد
الأنصارى الكعبى البغدادى (رحمه الله)**

قال -رحمه الله-: ما ضيعت ساعة من عمرى فى لهو أو لعب.
تفرد -رحمه الله- بعلو الإسناد، ورحل إليه المحدثون من البلاد. ولم
يُخلف بعده من يقوم مقامه فى علمه.
مرض وبقي ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القرآن، وأوصى أن
يُكتب على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ (٢).

**الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين على بن
محمد بن أحمد اليونينى البعلى (رحمه الله)**

* قال عنه الذهبى: «كان إماماً محدثاً، متقناً مفيداً، فقيهاً مفتياً، خبيراً
باللغة والغريب، غزير الفوائد، مكرماً بين الملوك والأئمة، مهيباً كثير
التواضع... عظيم الهية.
وقال فى آخر طبقات الحفاظ: انتفعت به، وتخرجت به. وكان عارفاً
بقوانين الرواية، حسن الدراية».

تُوفى يوم الخميس حادى عشر رمضان سنة إحدى وسبعمئة ببعلبك.
وكان موته بشهادة -رحمه الله-، فإنه دخل إليه - يوم الجمعة خامس
رمضان، وهو فى خزانة الكتب بمسجد الحنابلة- شخص، فضربه بعصا على
رأسه مرات وجرحه فى رأسه بسكين، فاتقى بيده، فجرحه فيها، وأمسك

(١) سورة ص: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

(٢) «الذيل» (١/١٩٢-١٩٥).

الضارب، وضُرب ضرباً عظيماً، وحُبس، وأظهر الاختلال.
وحُمِلَ الشيخ إلى داره، وأقبل على أصحابه يحدثهم، وينشدهم على
عادته، وأتم صيام يومه، ثم حصل له بعد ذلك حُمى، واشتد مرضه حتى
توفى يوم الخميس المذكور في الساعة الثامنة منه، وغبطه الناس بموته شهيداً
في رمضان ليلة الجمعة عقب رجوعه من دمشق، وإفادته الناس، وإسماعه
الحديث رواه (١).

شيخ الإسلام أبو طاهر السلفي (رحمه الله)

* قال الإمام أبو شامة: سمعت شيخنا علم الدين السخاوي يقول:
سمعت أبا طاهر السلفي ينشد لنفسه ما قاله قديماً:
أنا من أهل الحـديـد

ث وهم خير فئـة
جُزت تـسـعـين وأر
جو أن أجوزن المئـة

قال: فقيل له: قد حقق الله رجاءك، فعلمت أنه قد جاوز المئة.
قال الذهبي: وبلغني أن مدة مقامه بالإسكندرية ما خرج منها إلى بستان
ولا فرجة سوى مرة واحدة، بل كان ملازماً مدرسته.
تُوفى الحافظ في يوم الجمعة سنة ست وسبعين وخمس مئة. ولم يزل
يُقرأ عليه الحديث يوم الخميس إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو
يرد على القارئ للحن الخفي، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر
وتُوفى بعدها فجأة (٢). ونال الحافظ فضل الموت يوم الجمعة.

(١) «الذيل» (٣٤٦/٢) ..

(٢) انظر: الترجمة في «السير» (٣٩-٥/٢١).

الشيخ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي (رحمه الله)

كان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر؛ إذا أشكل عليهما شيء سألاه .
قال ولده ناصح الدين عبد الرحمن: «لما مرض مرض الموت، رأيته وقد
بكيت، فقال: إيش بك؟ فقلت: خير، فقال: لا تحزن عليّ؛ أنا ما توليت
قضاء، ولا شحنيّة^(١)، ولا حبست ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس،
ولا ظلمت أحداً، فإن كان لي ذنوب، فينبى وبين الله عز وجل . ولي ستون
سنة أفتي الناس، والله ما حايت في دين الله تعالى .
وكان يقول قبل موته بسنين: ستنى سنة ست وثمانين، إلى أن دخلت
سنة ست وثمانين، فقال: هذه ستنى، فقلنا: كيف تقول هذا؟ قال: هذى
سنة أبى وجدى؛ لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وجده مات
سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان الأمر كما قال .
وقال ولده: قال لي قبل أن يموت بسنة: رأيته الحق عز وجل في
منامى، فقال لي: يا نجم! أما علمتك وكنت جاهلاً؟ قلت: بلى يا رب،
قال: أما أغيتك وكنت فقيراً؟ قلت: بلى يا رب، قال: أما أمتٌ سواك
وأحييتك؟ وجعل يعدد النعم . ثم قال: قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن
عمران^(٢) .

* * *

(١) من الشحنة: وهم أعوان الأمير الذين يتولون ضبط أمور البلد، وحفظ الرعية .

(٢) «الذيل» (١/٣٦٨، ٣٦٩) .

الشيخ الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسى (رحمه الله)

أخو الشيخ الموفق ابن قدامة .

قال أخوه الموفق عنه: هو شيخنا، ربّانا وأحسن إلينا، وعلمنا وحرص علينا . . . وكان يؤثّرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته . وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه الله^(١).

* قال ولده عبد الله: إنه فى آخر عمره سرد الصوم، فلامه أهله، فقال: إنما أصوم أغتئم أيامى؛ لأننى إن ضعفت عجزت عن الصوم، وإن مت انقطع عملى . قال الحافظ الضياء تلميذه: كان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وسافر هو وجماعة، فقام فى الليل يصلى ويحرس الجماعة، وقلل الأكل فى مرضه قبل موته، حتى عاد كالعود . ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح^(٢).
* وقال الضياء وأبو المظفر سبط ابن الجوزى: كان حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام^(٣).

وكان - رحمه الله - يجاهد فى سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين . وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: «أقام مريضاً أياماً، ولم يترك شيئاً من أوراده فلما كان عشية الاثنين ثامن عشر ربيع الأول - يعنى: سنة سبع وستمئة - جمع أهله واستقبل القبلة، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته، وأمرهم بقراءة يس وكان آخر كلامه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤)»^(٥).

(١) «الذيل» ص (٥٧).

(٢) «الذيل» (٢/ ٥٢، ٥٣).

(٣) «الذيل» (٢/ ٥٦).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٣٢).

(٥) «الذيل» (٢/ ٥٦-٥٩).

الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم (رحمه الله)

قال الحافظ ابن ناصر الدمشقي: «مات بخليص مُحرمًا في ثالث ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة».

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث، ومر به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته، وهو محرم فمات... الحديث، وفيه: «فإنه يُعث يوم القيامة ملياً» فكان إذا قرأه يبكي، ويرق قلبه، فمات محرمًا بخليص^(١).

روح دعاها للوصال حبيبها

فسعت إليه تطيعه وتجيبه

يا مُدعى صدق المحبة هكذا

فعل الحبيب إذا دعاه حبيبته

شيخ المحدثين أبو موسى المديني الأصبهاني الشافعي (رحمه الله)

«قال الذهبي: كان حافظ المشرق في زمانه. سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن عبد الحلیم - يعني: ابن تيمية - يثنى على حفظ أبي موسى ويقدمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها.

* كان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفي.

* وقال الحسين بن يوحن الباورى: كنت في مدينة الخان^(٢)، فسألني سائل عن

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص (٢١٧) - المكتب الإسلامي.

(٢) مكان بأصبهان.

رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول الله ﷺ تُوفى فقال: إن صدقت رؤياك يموت إمام لا نظير له في زمانه، فإن مثل هذا المنام رُئي حال وفاة الشافعي والثوري وأحمد بن حنبل، قال: فما أُمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى المديني.

* وعن عبد الله بن محمد الحُجَنْدِي، قال: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاء مطر عظيم في الحر الشديد، وكان الماء قليلاً بأصبهان، فما انفصل أحد عن المكان مع كثرة الخلق إلا قليلاً، وكان قد ذكر في آخر إملاء أملاه: أنه متى مات من له منزلة عند الله، فإن الله يبعث سبحانه يوم موته علامة للمغفرة له، ولمن صلى عليه^(١).

رحمك الله أبا موسى فهذا موت الربانيين، مطر وسحاب في يوم صائف... وما يمليه عن موت المقربين في آخر درس له يكون وصف جنازته.

مصلح الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحمامي (رحمه الله)

* قال أبو عبد الله الخليلي بأصبهان: كان جدي لأمي محمد بن أحمد الحنبلي المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عمره يختم القرآن في يومين، فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن. وكانت قراءته بالليل قراءة تذكُّر وتفكُّر.

قال أبو عبد الله: وسمعت محمد بن محمد الحُبَازِي المديني جارنا - وكان من أهل الخير والصلاح تلاءً للقرآن؛ ملازمًا للمسجد في أكثر أوقاته، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادراً - يقول: لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال: أسأل الله أن يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كل يوم ختمة، فاستجيب دعوته، فكان يختم كل يوم ختمة^(٢).

(١) انظر: الترجمة في «السير» (١٥٢/٢١) - (١٥٩).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

الفقيه المفسر محمد بن الخضر ابن تيمية فخر الدين شيخ حران (رحمه الله)

كان الشيخ فخر الدين رجلاً صالحاً، يُذكر له كرامات وخوارق. قال الناصح ابن الحنبلي: انتهت إليه رئاسة حران، وله خطبة الجمعة، وإمامة الجامع، وتدريس المدرسة النورية، وله القبول من عوام البلد، والوجاهة عند ملوكها، وكان في ملازمته التفسير والوعظ مع الطريقة الظاهرة الصلاح.

وقال ابن حمدان الفقيه: كان شيخ حران، ومدرسها، وخطيبها ومفسرها، مغرماً بالوعظ والتفسير، مواظباً عليهما.

قال ولده عبد الغنى: لما مات الوالد كان في الصلاة؛ لأننى ذكرته بصلاة العصر، وأخذته إلى صدرى، فكبر وجعل يحرك حاجبه وشفتيه بالصلاة حتى شخّص بصره - رحمه الله تعالى -^(١).

وقد ذكر ولده له منامات صالحة رُئيت له بعد وفاته وهى كثيرة جداً جمعتها فى جزء.

قال: حدثنى ابنة عم والدى - وكانت صالحة - قالت: رأيت بعد موت الشيخ فى منامى، كأننى أسمع صوت ضجة من السماء. فقلت: لمن عندى: ما هذا الصوت والضجة؟ قال: هذا ضجيج الملائكة لأجل انقطاع التفسير وتعطله بالجامع بعد وفاة الشيخ.

قال: وحدثنى أبو الحسن ابن إبراهيم بن البقش النجار - وكان يلازم الشيخ لسماع الحديث - قال: رأيت الشيخ بعد موته فى المنام على كرسى

(١) «الذيل» (٢/١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨).

يعظ، وتحتة رجال ونساء كثير فسمعتة ينشد:

تجلى الحبيب لأحبابه

فطوبى لمن كان يعنى به

فلما تجلى لهم كبروا

وخرّوا سجوداً على بابه (١)

شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

شهرة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تغنى عن الإطناب فى ذكره فهو أشهر فى الدنيا من الدنيا قال عنه الحافظ المزى: لم ير مثله منذ أربعمئة سنة. وقال الشيخ القدوة أبو عبد الله محمد بن قوام: ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية.

قال له ابن دقيق العيد لما اجتمع به: ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك.

مات شيخ الإسلام فى سجنه بقلعة دمشق... دخل القلعة ورأى بابها فقال: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (٢)، وقال: ما يصنع أعدائى بى أنا جتنى وبستانى فى صدرى أينما رحت فهى معى. إن معى كتاب الله وسنة نبيه، إن قتلونى فقتلى شهادة، وإن نفونى عن بلدى فنفى سياحة، وإن سجنونى فأنا فى خلوة مع ربى. إن المحبوس من حبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، وتفرغ شيخ الإسلام فى سجنه للقرآن وقراءته وجعل يقول: «لو يعلمون ما أسدوا إلى من الجميل بسجنهم إياى فى القلعة ما كافأتهم عليها بملئها ذهباً».

(١) «الذيل» (٢/١٥٨-١٦١).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٣).

قال ابن رجب الحنبلي: «مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته. وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذى القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (١).

الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري محمد بن عمر التيمي البكري (رحمه الله)

شيخ الشافعية وإمام المتكلمين.

* قال الكمال محمود بن عمر الرازي: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني:

«يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواصل بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسٍ، ويتوجه إلى مولاه كل أبٍ: أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهادتهم، وأحمد الله بالمحامد التي يستحقها، عرفت أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب.

وصلواته على ملائكته المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

(١) سورة القمر: الآيتان (٥٤، ٥٥).

اعلموا أخلائي في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وتعلقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين: الأول أنه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له عند الله تعالى أثر، والثاني: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات.

* أما الأول: فاعلموا أنني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً، إلا أن الذي نطق به في الكتب المعتمدة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلة التحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحدته، وبرأته عن الشركاء، كما في القدم والأزلية، والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، والمتعين للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إنني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلبي، أو خطر ببالي، فأستشهد، وأقول: إن علمت مني أنني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنت أهله، وإن علمت مني أنني ما سعت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثنى، وارحمني، واستر زلتى، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان

العارفين، ولا ينقص ملكه بخطا المجرمين

وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنت قلت: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١)، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تُخَيِّب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمناً من عذابك، قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهلاً على سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين.

* وأما الكتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد الأسئلة، فليذكرني من نظر فيها بصلاح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإنني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله.

* الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على الله.

ثم إنه سرد وصيته في ذلك، إلى أن قال: وأمرت تلامذتي، ومن لى عليه حق، إذا أنا مت، يبالغون في إخفاء موتي، ويدفنونني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرءوا على ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: «يا كريم، جاء الفقير المحتاج فأحسن إليه»، هذا آخر الوصية^(٢).

ومن شعره في آخر حياته:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في غفلة من جُسومنا

وحاصل دنيانا أذى ووبال

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٢) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٠-٩٢).

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من جبالٍ قد علّت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبالٌ
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعاً مُزعجين وزالوا^(١)

علي بن الفتح الحلبي (رحمه الله)

«قال أبو زرعة الدمشقي: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر، فرأى الناس يتقربون إلى الله تعالى، فقال: يا رب أرى الناس يتقربون بألوان الذبائح، وإنني تقربت إليك بحزني، ثم غشى عليه، فأفاق، ثم قال: إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزوناً؟ فاقبضني إليك، فوقع من ساعته ميتاً»^(٢).

الإمام الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسي (رحمه الله)

أخذ الفقه على البلقيني وابن الملقن، واللغة على مجد الدين صاحب القاموس، والحديث على الزين العراقي والبلقيني وابن الملقن.
«قال السخاوي عنه: كان إماماً علامة حافظاً خيراً ديناً ورعاً متواضعاً، وافر العقل حسن الأخلاق متخلقاً بجميل الصفات، محباً

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٦).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٠).

للحديث وأهله، متعففًا عن التردد إلى بنى الدنيا قانعًا باليسير، طارحًا للتكلف رأسًا في العبادة والزهد والورع، مديم الصيام والقيام، مواظبًا على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظًا لكتاب الله كثير التلاوة له، صبورًا على الإسماع ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر، عُرِضَ عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصر على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحد من قاضيه الشافعي والحنفي من تلامذته.

لما دخل التقى الحصنى حلب أتى إليه الحافظ إبراهيم وقال له: لعلك التقى الحصنى، ثم سأله عن شيوخه فسماهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحط أنت عليه. فما وسع التقى إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر أن يرد عليه. ولم يزل على جلالته وعلو مكانه حتى مات مطعونًا سنة ٨٤١ وهو يتلو^(١).

حافظ الدنيا وشيخ المحدثين الإمام الذهبي (رحمه الله)

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الإمام الجبل، من يُضرب المثل باسمه في العلم.

قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٩/١٠٥، ١٠٦):

«رآه الوالد - رحمه الله - قبل المغرب، وهو في السياق، وقال له: كيف تجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصلِّ العصر؟ فقال: بلى، ولكن لم أُصلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد - رحمه الله - عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك

(١) «البدر الطالع بحاسن من بعد القرن التاسع» للشوكاني (١/٢٨-٣٠) دار المعرفة.

ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل». .
 من للحديث وللसारين في الطلب
 من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي
 من للرواية للأخبار ينشرها
 بين البرية من عجم ومن عرب
 من في القراءات بين الناس نافعهم
 وعاصم ركنها في الجحفل اللجب
 وإن تغب ذات شمس الدين لا عجب
 فأى شمس رأيناها ولم تغب
 هو الإمام الذي روت روايته
 وطبق الأرض من طلابه النجب
 ثبت صدوق خبير حافظ يقظ
 في النقل أصدق أنباء من الكتب
 كالزهر في حسب والزهر في نسب
 والنهر في حذب والدر في رتب

**قتيل القرآن الإمام شيخ الإسلام:
يحيى بن سعيد القطان (رحمه الله)**

* قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينى مثل يحيى بن سعيد.

توفى - رحمه الله - سنة مائة وثمان وتسعين من الهجرة.

* «عن على بن عبد الله قال: كنا عند يحيى بن سعيد فقال

لرجل: اقرأ. فقرأ ﴿حَمَّ﴾ الدخان، فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى

ابن سعيد يتغير، فلما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) صعق يحيى

ابن سعيد وغشى عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوص وانقلب فأصاب

الباب فقار ظهره، وسال الدم، وصرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب، حتى

أفاق بعد كذا أو كذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال على: فما زالت به تلك القرحة حتى

مات - رحمه الله -^(٢).

**السلطان محمد بن أبى عامر المعافى الحاجب المنصور
(رحمه الله)**

نسيج فريد بين الرجال تولى الحكم فى أصعب الفترات فى حياة

الأندلس فتصدى لرفع راية الجهاد فى سبيل الله، وقاد الحرب طوال حياته،

فأحرز من الانتصارات ما لم يحصل عليه رجل فى الأندلس ووصل فى

غزوه إلى «شنت ياقب» أعظم مدن النصارى.

(١) سورة الدخان: الآية: (٤٠).

(٢) صفة الصفوة (٣/٣٦٦).

يقول صاحب «البيان المغرب»: «كان من قوة رجاء المنصور، أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازلهم، حتى اجتمع له صرة ضخمة عهد بتصويره في حنوطه، وكان يحملها حيث سار مع أكفانه، توقعاً لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب كسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان كذلك».

آثاره تنبئك عن أخباره

حتى كأنك بالعيون تراه

تالله لا يأتى الزمان بمثله

أبدًا ولا يحمى الثغور سواه

هكذا كُتب على قبره لما دفن بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته^(١).

قاضى القضاة مجد الدين

أبو إبراهيم التميمي الشيرازي البالي (رحمه الله)

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تيكروز.

كان مشهوراً بالدين والخير والمكارم، وحفظ القرآن وكثرة التلاوة.

«أمر بعضهم بإظهار الرفض في أيامه، فقام في نصر الدين قياماً بليغاً، وأوذى بهذا السبب، وقيل: إنه رُبط وأُلقي به إلى الكلاب والأسود، فشتمته ولم تتعرض له، فعظم قدره، وعُلم أنه من أولياء الله، وكان ذلك سبباً في خذلان الرافضة».

(١) «البيان المغرب» (٢/ ٤٣٠).

* ولما مات أحد أولاده الثلاثة، أفضل الدين أحمد، سأل به بعض الحاضرين عن سنه، فقال: رأيت أني أعطيت أربعة وتسعين ديناراً، وأعطى ولدي أحمد اثنين وعشرين، فسألت المعطى: ما هذا؟ فقال: هذه سنو عمركما، فاستوفى أحمد اثنين وعشرين، وأما أنا فبقي لى تسع سنين، فكان الأمر كما ذكر.

توفى سنة ست وخمسين وسبعمائة، عن أربع وتسعين سنة بشيراز^(١).

الإمام الحافظ أبو عمر الطلمنكى أحمد بن محمد المعافى (رحمه الله)

* «قال ابن بشكوال فى كتابه الصلة:

كان - رحمه الله - أحد الأئمة فى علم القرآن العظيم لعظيم قراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه. وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله، وروايته وضبطه... حافظاً للسنن، وإماماً فيها، عارفاً بأصول الديانات، مظهرًا للكرامات على هدى وسنة. وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قاصعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شديداً فى ذات الله».

وأخبرنا أبو القاسم بن بقى الحجارى، قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكى يوماً ونحن نقرأ عليه، فقال: اقرءوا وأكثرُوا؛ فإنى لا أتجاوز هذا العام، فقلت له: ولم؟ قال: رأيت البارحة منشداً ينشدنى ويقول:

اغتنموا البر بشيخ ثوى

يفقده السوقه والصَّيدُ^(٢)

(١) «طبقات الشافعية» (٩/٤٠١، ٤٠٢).

(٢) الصيد: أعلى الناس.

قد ختم العمر بعيد مضي
ليس له من بعده عيد
قال: فتوفى في ذلك العام^(١) أى سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

السلطان مراد فاتح البغار والبوسنة والهرسك (رحمه الله)

هذا البطل العظيم الذى فتح الله على يديه جميع البلاد البلغارية، ووقع فى أسره ملك البغار شيمان. هذا الملك العظيم الذى أدب لازار ملك الصرب وأمراء البوسنة والهرسك، وفتح بلاد البوسنة فى معركة «قوص أوه» اسمع خبر موته وهو والله أطيب من الشهد:

كانت الليلة التى سبقت وقوع معركة «قوص أوه» الحاسمة، ليلة بلغت فيها القلوب الحناجر، وأقبل السلطان مراد نحو ربه عز وجل يلح عليه فى الدعاء ويستنزله النصر للإسلام والمسلمين، وأن يرزقه الشهادة فى سبيله.

وينقل المؤرخ التركى عبد القادر دادة أوغلو فى كتابه: «التاريخ العثمانى المصور» نص دعاء السلطان مراد، فى تلك الليلة على النحو التالى: «إلهى ومولاي، تقبل دعائى وتضرعى، وأنزل علينا برحمتك غيثاً يطفئ من حولنا غبار العواصف، واغمرنا بضياء يبدد من حولنا ظلمات الليل البهيم، حتى تتمكن من إبصار مواقع عدونا، فنقاتله فى الغد فى سبيل دينك العزيز.

إلهى ومولاي، إن الملك والقوة لك، تمنحهما لمن تشاء من عبادك، وأنا عبدك العاجز الفقير إلى رحمتك، تعلم سرى وجهرى، وأقسم بعزتك وجلالك أننى لا أبتغى من جهادى حطام الدنيا الفانية، ولكننى أبتغى رضاك

(١) «الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون المالكي ص (١٨٧-١٨٠) تحقيق د. الأحمدى أبو النور - مكتبة دار التراث.

ولا شئ غير رضاك .

يا ربّ اجعلنى فداءً للمسلمين جميعاً، ولا تجعلنى سبباً فى هلاك أحد من المسلمين فى سبيل غير سبيلك القويم، ونجّهمْ يا ربّ من الوقوع فى أسر الكافرين، وانصرهم على عدوهم .

إلهى ومولاي، إن كان فى استشهادى نجاة لجند المسلمين، فلا تحرمنى الشهادة فى سبيلك لأنعم بجوارك، ونعم الجوار جوارك .
إلهى ومولاي، لقد شرفتنى بأن هديتنى إلى طريق الجهاد فى سبيلك فزدنى تشريعاً بالموت فى سبيلك» .

ويروى المؤرخ التركى «خوجا سعد الدين» فى كتابه «تاريخ التواريخ» أن السلطان المؤمن أمضى الليل كله وهو يدعو بمثل هذا الدعاء، حتى إذا بزغ الفجر، وأذن المؤذنون لصلاة الفجر، هرع جند الإسلام يؤدونها، ويرددون وراء قائدهم الدعاء فى هديرٍ شق سكون الليل، ووصلت أصداؤه إلى جموع الكافرين، تُزلزل أقدامهم، وتوقع الخوف فى أفئدتهم .

وصدق السلطان المؤمن ربه، فصدق ربه وعده؛ فنصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وقتل لازار ملك الصرب، واختار الله السلطان مراد شهيداً فى سبيله عز وجل، بضربة خنجر من جندى صربى، أصابت من السلطان مقتلاً وهو يتفقد جرحى المسلمين فى المعركة .

لله درك من سلطان، وبوركت روحك فى رحاب الله إن شاء الله مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد... بن عائذ (رحمه الله)

* قال عنه الذهبي: إنه إمام المسلمين حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، وأهل عصره كلهم مدعون لعلو شأنه في الدين والسيادة، وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف.

* وعظ المسلمين في مجالس التذكير ستين سنة.

* بينا هو يعظ الناس إذ دفع إليه كتاب ورد من بخارى، مشتملاً على ذكر وباء عظيم، وقع بها، واستدعى فيه أغنياء المسلمين بالدعاء على رؤوس الأملاء، في كشف ذلك البلاء عنهم ووصف فيه أن واحداً تقدم إلى خباز، يشتري الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحب الخانوت، فكان يزنها، والخباز يخبز والمشتري واقف، فمات الثلاثة في الحال، فاشتد الأمر على عامة الناس.

فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾^(١) ونظائرها، وبالحق في التخويف والتحذير، وأثر فيه ذلك، وتغير في الحال، وغلبه وجع البطن من ساعته، وأنزل من المنبر، فكان يصيح من الوجع، وحُمِلَ إلى الحمام، إلى قريب من غروب الشمس، فكان يتقلب ظهراً لبطن، ويصيح ويئن، فلم يسكن ما به، فحُمِلَ إلى بيته، وبقي فيه ستة أيام لم ينفعه علاج.

فلما كان يوم الخميس، سابع مرضه، ظهرت آثار سكرة الموت عليه، وودع أولاده، وأوصاهم بالخير، ونهاهم عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والنياحة، ورفع الصوت بالبكاء. ثم دعا بالمقرئ أبي عبد الله خاصته، حتى

(١) سورة النحل: الآية: (٤٥).

قرأ سورة يس، وتغير حاله، وطاب وقته، وكان يعالج سكرات الموت، إلى أن قرأ إسناداً فيه ما روى أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، ثم توفي من ساعته، عصر الخميس، وحُملت جنازته من الغد، عصر الجمعة سنة تسع وأربعين وأربعمائة^(١).

أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى (رحمه الله)

«كان من أكابر الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، عالماً بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه، وكان بارعاً في علم العربية. أقام مدرسة للطائفة المالكية، وتصدّر للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، وناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة. وكان كهفًا لأهل السنة. وكان كثير التلاوة ليلاً ونهاراً. وكان يُحیی غالباً الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حداثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت -رحمه الله-، وكان مواظباً على الصلوات في الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة، وما يُفتح باب الحرم في السَّحَر إلا وهو على الباب. وحج نحو خمس وخمسين حجة. * ولما حج آخر حجاته قال: هذه حجة الوداع فلما أحس بالمرض أمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة وأوصى أن يُعق عند قبره عبيد، وأن يتصدق على الفقراء بصدقة واسعة. وأخرج من ماله وصايا وتبرعات وصدقات وأوقافاً نحو ثلاثين ألفاً،

(١) «طبقات الشافعية» (٢٧٧/٤-٢٧٩).

ووقف على الفقراء فرناً تُصرف غلته عليهم فى كل يوم، وأعتق فى حياته عدة عبيد وإماء.

وكان له خادم فى الحرم تقرب به لخدمة الضريح النبوى، وكان مطمئن النفس بقاء الله عز وجل مستحضراً لما ينبغى استحضاره.
ولما دخل فى السياق ذكرته: فقال: ما أنا بغافل... توفى -رحمه الله- يوم الجمعة سنة تسع وستين وسبعمائة^(١).

أستاذ الأستاذين وشيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلانى (رحمه الله)

✽ قال الحافظ السخاوى:

«فكان ابتداء مرضه فى ذى القعدة من سنة اثنين وخمسين وثمانى مئة بعد أن بلغنى أنه قصَّ على جماعة مجلس الإملاء فى ربيع الأول من السنة التى توفى فيها، أنه رأى فى المنام بعض الرواة، وأظنه أبا مصعب، وأنه قدَّم إليه مائدة فيها عشرة أرغفة، العاشر منها مكسور منه شىء يسير، فأوله له بعض الحاضرين بعشر سنين تفاؤلاً، فما كان إلا دون عشرة أشهر ومات»^(٢).
وتزايد الألم بالمعدة، وصار يحس بشىء ثَقِيل على معدته، بحيث كان يقول: هذه بقايا الغبن من سنة تسع وأربعين وتوابعها، وينشد قول الفرزدق.
قوارض تأتبنى ويحتقرونها

وقد يملأ القطر الإناء فيفعمُ

وقال سبطه أنه أنشده فى مرضه هذا:

(١) «الديباج» (١/٤٥٤-٤٥٩).

(٢) «الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوى (٣/١١٨٥).

عمارة الجسم نفس

وهدمه إذا احتبس

ولم يترك - رحمه الله - جمعة، بل ولا جماعة. نعم، لم يستطع صلاة عيد الأضحى، وكان يوم الثلاثاء بعد أن سمعنا عليه «فضل عشر ذى الحجة» لابن أبي الدنيا يوم عرفة، وهو آخر شيء سمعناه، بل سمع عليه مطلقاً. وكان - رحمه الله - قد استشعر بالوفاة بحيث كان إذا أخبر بالمنامات وشبهها مما يدل على رجاء صحته وحصول برئه، يقول: أما أنا، فلا أراني إلا في تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرب، ثم ينشد:

تاء الثلاثين قد أوهت قوى بدني

فكيف حالي في تاء الثمانينا

ويقول: اللهم حرمتني عافيتك، فلا تحرمني عفوك.

وتردد الأطباء للحافظ، ولم يكن يرى استخدام أهل الذمة في ذلك، بل سمعته مراراً يقول - وأظنه لغيره - أيا تمّن المسلمون على أموالهم وأبدانهم أعداءهم.

ثم عظم الكرب واشتد الخطب، وهرع الناس كبارهم وصغارهم، من الأمراء والقضاة العلماء والمباشرين والطلبة والصلحاء أفواجاً أفواجاً لعيادته، واستغاثوا مبتهلين إلى الله تعالى في طلب عافيته.

ومن جاء لعيادته الشيخ مدين، وأحضر له كتاباً كان في عاريته، وعدّ هذا من مكاشفاته.

وفي يوم الثلاثاء أطل قاضي المالكية وجماعة الجلوس معه، واستأنس به، وبعد أن ظهروا استدعى بالوضوء، وأخذ يتوضأ، فما تمكن، ومن يومئذ اشتد مرضه جداً، بحيث صار يصلي الفرض جالساً، وترك قيام الليل، وصُرع يوم الأربعاء، ثم تكرر ذلك منه، وسمع منه يوم الجمعة عند الأذان لها إجابة المؤذن.

وكانت وفاته ليلة السبت ثامن عشر ذى الحجة، بعد العشاء بنحو ساعة رمل، بعد أن جلس حوله سبطه ومن جماعته الفخر بن جوشن، والشيخ شمس الدين السنباطى، والشهاب الدوادار، وقرأوا عنده سورة ﴿يس﴾ مرة ثم أعيدت إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾^(١)، ثم مات.

وتولى السنباطى المذكور تغميضه، وأخذ ولده يوم السبت فى تجهيزه، فغُسل بحضرة الشيخ زين الدين البوتيجى، ويقال: إنه لم يخرج منه كثير شئ^(٢) نعم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ ومن أولى بهذا من الحافظ ابن حجر الذى اختلط حب القرآن والسنة بدمه.

قال الحافظ السخاوى: «بلغنى عن الشمس الدميرى - أحد الموقعين - أنه رأى ليلة وفاة الحافظ ابن حجر أن البحر قد نشف، ولم يبق منه إلا مقدار مجرة فيها ماء يسير، بحيث أنه توضعاً منه، فصار يصعد معه الرمل لقلته. قال: فلما أصبحت سمعت بموته.

* وبلغنى عن البرهان الترقى - أحد الموقعين بالدست - أن زوجته استيقظت صبيحة الليلة التى توفى فيها الحافظ ابن حجر، ولم تكن علمت بموته وهى مرعوبة، وقالت: سمعت قائلاً يقول: الصلاة على شيخ من آل بيت النبوة.

* وبلغنى عن بعض الأعيان المعتبرين ممن أخذت عنه أنه رأى عقب وفاته كلاً من الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى والليث بن سعد الفهمى أعاد الله علينا من بركاتهما، وهما فى همة، وأنه سألهما أو أحدهما أو واحداً ممن حضر عن سبب ذلك، فأجيب بالاهتمام بضيافة ابن حجر - رحمة الله عليهم أجمعين -.

* وأخبرنى الشيخ برهان الدين بن سابق نزيل المنكوثرية وإمامها أنه

(١) سورة يس: الآية: (٥٨).

(٢) «الجواهر والدرر» (٣/ ١١٨٧-١١٩٣).

رأى وهو ببيت المقدس الحافظ ابن حجر فى المنام وعليه حلة بيضاء حرير، بطائنها من ذهب يلمع، وعلى رأسه عمامة بيضاء فى هيئة لم ير أبهج منه فيها، وأنه ناوله شيئاً، وأمره بالسلاط على أهل بيته»^(١).

يهودى يسلم لرؤيا رآها لوالد شيخ الإسلام الصابونى

كان أبو نصر عبد الرحمن بن أحمد الصابونى من كبار الواعظين بنيسابور - وهو والد شيخ الإسلام إسماعيل الصابونى - قد فتك به واغتيل نهاراً.

قال يهودى: اغتممت لوفاة أبى نصر الصابونى، وقتله، فاستغفرت له، ونمت، فرأيت فى المنام، وعليه ثياب خضر، ما رأيت مثلها قط، وهو جالس على كرسى، بين يديه جماعة كثيرة من الملائكة، وعليهم ثياب خضر، فقلت: يا أستاذ، أليس قد قتلوك؟ قال: فعلوا بى ما رأيت. فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: لمثلنى يقال هذا؟ غفر لى، وغفر لمن صلى على، كبيرهم وصغيرهم، ومن يكون على طريقى.

قلت: أما أنا فلم أصل عليك.

قال: لأنك لم تكن على طريقى.

فقلت: أيش أفعل لأكون على طريقك؟

فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقلت ذلك؛ ثم قلت: أنا مولاك.

قال: لا، أنت مولى الله.

قال اليهودى: فانتبهت، فجاء من عنده إلى قبره، وذكر ما رأى من المنام، وقال: أنا مولا، وأسلم عند قبره، ولم يأخذ شيئاً من أحد، وقال:

(١) «الجواهر والدرر» (٣/ ١٢٠٠-١٢٠٢).

إني غنى، أسلمت لوجه الله، لا لوجه المال.
قال أبو سهل بن هارون، قال أبو بكر الصيدلاني، وكان من الصالحين:
كنت حاضراً قبره؛ حين جاء اليهودي فأسلم^(١).

الشيخ أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم الأزدي (رحمه الله)

تلميذ أبي بكر الطرطوشي وأبي الطاهر السلفي. قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: كان فاضلاً، كان من زهاد العلماء، وكبار الصالحين، فقيهاً فاضلاً، وجلس لإلقاء الدرس بعد الطرطوشي وألف كتاباً حسناً في شرح المدونة في نحو ثلاثين سفرًا سماه «الطراز».

* قال تميم بن معين البادسي - وكان من الفقهاء -: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله! اكتب لي براءة من النار، فقال لي: «امض إلى الفقيه سند يكتب لك براءة، فقلت له: «ما يفعل؟»، فقال: قل له: «بأمانة كذا وكذا» فانتبهت فمضيت إلى الفقيه سند، فقلت له: «اكتب لي براءة من النار»، فبكي وقال: «من يكتب لي براءة من النار؟!»، فقلت له الأمانة، قال: فكتب لي رقعة.

ولما أدركت تيمماً الوفاة أوصى أن تجعل الرقعة في حلقة، وتُدفن معه.
* قال الفقيه أبو القاسم بن مخلوف بن عبد الله بن جارة: أخبرني من أثق به: أنه رأى الفقيه أبا علي سند بن عنان بعد موته، قال: فقلت له: «ما فعل الله بك؟»، فقال: «عُرِضت على ربي، فقال لي: أهلاً بالنفس الطاهرة الزكية العاملة»^(٢).

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٨١).

(٢) «الديباج» (١/ ٣٩٩، ٤٠٠).

الشيخ المنفلوطى محمد بن إبراهيم ولى الدين الديباجى (رحمه الله)

✽ قال عنه الحافظ ابن حجر:

«كان يُعرف بابن خطيب ملوى. تفقّه بأبيه وغيره ونشأ على قدم صدق فى العبادة والأخذ عن أدب الشيوخ، وله اليد الطولى فى المنطق والأصليين والفقه والتصوف، كثير التواضع والانطراح، كثير الإنصاف خبيراً بدينه ودنياه.

✽ ونقل العثماني الصفدى قاضى صفد فى «طبقات الشافعية» أنه حصل له عند موته ما يدل على نجاته، وأنه قال: «انزعوا عنى ثيابى فقد أُحضرت لى ثياب من الجنة»، أو نحو من هذا الكلام^(١).

الرئيس أبو على المنيعى الحاجى حسان بن سعيد المخزومى (رحمه الله)

هو واقف الجامع المنيعى بنيسابور، الذى كان إمام الحرمين خطيبه، وقبله أبو إسماعيل الصابونى شيخ الإسلام.

كان -رحمه الله- على قدم عظيم من الاجتهاد فى العبادة، والتواضع، والبر، وكثرة الصدقات والصلاة، يقوم الليل ويصوم النهار، ويلبس خشن الثياب، وفى الشتاء يكسو قريباً من ألف فقير.

ولما وقع القحط سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة أنفق أموالاً

(١) «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٩٥).

عظيمة، وكان ينصب القدر، ويفرق أكثر من ألف من خبزاً كل يوم للفقراء، ويفرق طعاماً كثيراً، كل ذلك غير ما يتصدق به سراً.

روى عنه محيي السنة البغوي، وأبو المظفر عبد المنعم القشيري.

عمد - رحمه الله - إلى خالص ماله لبناء الجامع المنيعي بنيسابور، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة، وكان لا يفتر آونة من ليل، ولا ساعة من نهار، إلى أن تم وأقيمت الجمعة فيه.

قال ابن السمعاني: بلغني أن عجوزاً جاءت وهو يبني جامع نيسابور، ومعها ثوب يساوي نصف دينار، وقالت: سمعت أنك تبني الجامع فأردت أن يكون لي في النفقة المباركة أثر، فدعا خازنه، واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلم المبلغ إليها، ثم قبض منها الخازن الثوب، ثم قال له: أنفق هذه الألف منها في بناء المسجد وقال: احفظ هذا الثوب لكفني ألقى الله فيه (١).

القاضي أبو العباس

عبد الله بن طالب بن سفيان التميمي (رحمه الله)

تفقه بسحنون وكان من كبار أصحابه، ولم يكن شيء أحب إليه من المذاكرة في العلم.

قال ابن اللبّاد: ما رأيت بعيني أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر.

قال أبو العرب: كان عادلاً في قضائه، ورعاً في حكمه، قليل الهيبة في الحق للسلطان، وما سمعت العلم قط أحلى ولا أطيب منه من ابن أبي طالب. * وكان يقول في قضائه: اللهم لا تمتني وأنا قاضي، فمات بعد عزله بنحو شهر.

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٣٠٠، ٣٠١).

وامتُحن -رحمه الله- وسُجن وسُقى سماً. وقيل: إن السودان ركضوا بطنه حتى مات.

قال بعضهم: سمعته عند محنته وسجنه يقول: -وهو مسجون- فى سجوده ومناجاته ربه عز وجل: «اللهم إنك تعلم أنى ما حكمت بجور، ولا آثرت عليك أحداً من خلقك فى حكم من أحكامى ولا خفت فيك لومة لائم»^(١).

الشيخ جمال الدين التبريزى (رحمه الله)

أسلم على يديه أهل جبال كامر وهى جبال متصلة بالصين وتتصل ببلاد التبت.

كان نحواً من أربعين سنة يسرد الصوم، وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله.

قال ابن بطوطة: «أخبرنى بعض أصحابه أنه استدعاهم -استدعى أهل الجبال- قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله، وقال لهم: إنى أسافر عنكم غداً إن شاء الله وخليفتى عليكم الله الذى لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله فى آخر سجدة منها، ووجدوا فى جانب الغار الذى كان يسكنه قبراً محفوراً عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به».

* كتب -رحمه الله- إلى الشيخ بهاء الدين الملتانى كتاباً قال فيه: «يا أخى!

من شرب من بحر مودته يحيا حياة لا موت بعدها، ومن لم يذق من صافى المحبة يخرج من الدنيا كالبهائم صفر اليدين، وإذا مات صار جيفة ومات موتاً لا حياة بعده، كما قال أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^{(٢)(٣)}.

(١) «الدياج» (١/٤٢٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٧٢).

(٣) «الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام» للشيخ عبد الحى الندوى (٢/٢١-٢٣).

الوزير الجواد ابن بقية (رحمه الله)

«أطعم ابن بقية الوزير المساكين والفقراء، وأكرم العلماء، فغار منه السلطان واحتال عليه حتى قتله وصلبه، فلما ارتفع على الخشبة مصلوباً، وقفت الأمة كلها بوقوفه، فطافت به قلوب المحبين، ونامت بغداد على أصوات البكاء، فترجّل أبو الحسن الأنباري عن فرسه إلى خشبة الصلب، وسلم على الجثمان ودشّنه بتلك القصيدة التي من لم يحفظها ففي تذوقه للشعر نظر:

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ
 بِحَقِّ أَنْتِ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ
 كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا
 وَهُمْ وَقَفُوا قِيَامًا لِلصَّلَاةِ
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَاءً
 كَمَدَّهُمْو إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
 وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ
 يُوَارَى فِيهِ تِلْكَ الْمَكْرَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا
 عَلَى مِثْوَاكِ صَوْتِ النَّائِحَاتِ
 لِعَظَمَتِكَ فِي النَفُوسِ تُبَاتُ تَرْعَى
 بِحِرَاسٍ وَحُفَاطِ ثَقَاتِ
 وَتُوقَدُ حَوْلَكَ النِّيرَانُ لِيَا
 كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ

وما لك تربةً فأقول تُسقى

لأنك نصب هطل الهاطلات

أصبحت خشبة ابن بقية مسرحاً، تُلقَى عليه قصائد المادحين، وخطب المشين، وأصبح من قتله في صغار، كأنه طُلِيَ بالقار^(١).

أبو محمد الأصيلي عبد الله بن إبراهيم
(رحمه الله)

قال الدارقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله! ولى قضاء سرقسطة، وقام بالشورى بقرطبة، حتى كان نظير ابن أبي زيد القيروان وعلى هديه... توفي -رحمه الله- يوم الخميس سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

* كان آخر ما سُمع منه حين احتضر: «اللهم إنك قد وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيبة على أعظم من نفسي، فأحسن جزائي فيها يا أرحم الراحمين».

وكان كثيراً ما يذكر الأربعمائة، وما يكون فيها من الفتن ويدعو الله عز وجل أن يقبضه قبلها، فأجاب الله دعاءه^(٢).

* * *

(١) «مصارع العشاق» للشيخ عائض القرني ص (٦٧-٦٨) - دار الوطن.

(٢) «الديباج» (١/٤٣٣-٤٤٤).

الفقيه اليمنى العلامة الزاهد، الورع القانت حاتم بن منصور الحملانى (رحمه الله)

كان - رحمه الله - عالماً عاملاً ورعاً تقياً فاضلاً رأساً فى العبادة وإماماً يُقتدى به فى الزهادة. أستاذ أهل زمانه فى الفقه والأصولين، وعنه أخذ الزاهد الشهير إبراهيم الكينعى وكان لا يدخر شيئاً لغده.

قال تلميذه الكينعى فى نعتة: صلى حاتم زهاء أربعين سنة إماماً، ما ترك صلاة واحدة فى جماعة ولا سجد للسهو فى جميع هذه المدة إلا ست مرات. وكان لا يدع البكاء فى الصلاة مطلقاً. اهـ.

وقال فى «الطبقات»: روى الثقة أنه قبضت روحه وهو يصلى صلاة التسبيح مستلقياً من المرض^(١).

مات سنة ٧٦٥ - رحمه الله -.

الإمام الطيبى الحسين بن محمد (رحمه الله)

✽ قال ابن حجر: كان آية فى استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مُقبلاً على نشر العلم، متواضعاً حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء.

كان يشتغل فى التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثم إلى العصر فى الحديث إلى يوم مات؛ فإنه فرغ من وظيفة التفسير توجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة ففضى نحوه متوجهاً إلى القبلة^(٢).

(١) «ملحق البدر الطالع» (٦٧/١).

(٢) «بغية الوعاة» (٥٢٣/١)، و«الدرر الكامنة» (١٣٢/٢).

الشيخ أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم (رحمه الله)

شارك أباه في رحلته، وشيوخه، وعُنِيَ هو وأبوه بجمع الحديث واللغة، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين في الأندلس، وكان قاسم عالماً بالفقه والحديث، مُقَدِّماً في المعرفة بالغريب^(١)، والنحو، والشعر، ورعاً ناسكاً، مجاب الدعوة.

✽ سألَه الأمير أن يلي القضاء، فامتنع، فأراد أبوه أن يُكرهه عليه، فسألَه أن يمهلَه ثلاثة أيام يستخير الله تعالى، فمات في الثلاثة أيام! فكانوا يرون أنه دعا على نفسه بالموت^(٢).

ابن العطار يحيى بن أحمد التنوخي القاهري الشافعي (رحمه الله)

كان يحيى أديباً فاضلاً متفناً ذكياً، ذا عقلٍ وافر، وهيئة لطيفة نورانية ظاهرة وحشمة وسكون وهمة عظيمة مع من يقصده.

قال البقاعي: مات على حالة حسنة، أُخبرت أنه ما زال يذكر الله جهراً فلما عجز صار سرّاً، حتى طلعت روحه مع التبسم والإخبار برؤية الخصرة والياسمين... مات -رحمه الله- ولم يُخَلَّف بعده مثله في كل خصلة من خصاله مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة^(٣).

(١) له كتاب «غريب الحديث» رواه عنه ابنه، وهو كتاب حسن مشهور، قال الحميدي: ذكره أبو محمد على بن أحمد، وأثنى عليه، وقال: ما شأه أبو عبيد إلا بتقدم العصر. و«شأه» أي: سبقه.

(٢) «الدياج» (١٤٧/٢).

(٣) «الضوء اللامع» (١٠/٢١٧-٢١٨).

ابن عنان الشافعي (رحمه الله)

قال نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»: «كان سيدي محمد بن عنان ممن اشتهر بالجد في العبادة والاجتهاد في الطاعة وقيام الليل وحفظ الأوقات من التضييع.

* وكان لا يترك قيام الليل صيفاً ولا شتاء من حين كان صغيراً، وكان يتهياً لقيام الليل من صلاة العصر فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يصلي الوتر بعد العشاء؛ فإذا قام للتهجد من الليل لا يتجرأ أحد أن يكلمه حتى يصلي الضحى.

وكان على وضوء دائماً وكان يقول: من ادعى مجالسة الله عز وجل وهو يمكث على حدث لحظة واحدة فهو قليل الأدب.

* قال الشيخ عبد الوهاب: لما حضرته الوفاة فوق سطوح جامع باب البحر بخط المقسم مات نصفه الأسفل، فصلى وهو جالس بالإيماء، فلما فرغ من الصلاة أشار إلى أضجعوني فأضجعناه فما زال بشفتيه والسبحة في يده حتى كانت آخر حركة يده وشفته طلوع روحه^(١).

* * *

(١) «الكواكب السائرة» (١/٣٩-٤٠).

مات غضباً لله (جل وعلا)

✽ قال أبو الفضل الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا في بعض سككها، إذ طلع أعرابي جلف جاف، على قعود^(١) له، متقلد سيفه، ويده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصم، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل علي شيئاً منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢) قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: أي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعنني على تفريقها، ففرقتها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلها تحت الرّحل، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفراً، فسلم عليّ وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. ثم قال:

(١) الناقة.

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(١)، فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان الله! من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى أُلجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثاً، وخرجت فيها روحه^(٢).

أبو العباس أحمد بن محمد الديبلى (رحمه الله)

* ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي فى «الطبقات الوسطى» أن أبا العباس النسوى قال: لما اعتلَّ أبو العباس أحمد بن محمد الديبلى علته التى توفى فيها، وتوليت خدمته، شهدت منه فى علته أحوالاً سنية، وقال لى: إنه يموت ليلة الأحد.

وقال لى: تنحَّ فلانى أريد أن أجمع بين صلاتين (يعنى: صلاة المغرب وصلاة العشاء).

وركع وأوتر، ثم أخذ فى السياق، وهو حاضِر معنا إلى نصف الليل، فقمت وطرحت نفسى ساعة، ثم رجعت إليه، فلما رأتى قال: أى وقت هذا؟

قلت: قرب الصبح.

فقال: حولونى إلى القبلة.

فأخذ يقرأ مقدار خمسين آية، ثم خرجت روحه، مات -رحمه الله- سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة^(٣).

* * *

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٣٨٢/٤)، و«كتاب التواوين» لابن قدامة ص (٢٧٩).

(٣) من «هامش الطبقات الكبرى» (٥٥/٣).

الشيخ أبو بكر الشيعبي (رحمه الله)

كان أبو بكر الشيعبي الولي الزاهد من قرية الشيعبية من قرى ميفارقين .
قال سعد الدين الجويني: كان الشيعبي صاحب علم وعمل، ورياضات
ومجاهدات .

وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر، وكان كثيراً ما يقول عقب كلامه:
اللهم ارحمنا .

فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد فزفر زفرة ثم أنشد:
وما كل أسرار النفوس مُذاعةٌ

ولا كل ما حل الفؤاد يُقالُ

خرج إلى قريته الشيعبية، وقال لأولاده:

احفروا لي قبراً، فأنا أموت بعد يومين .

فحفروا له، ثم مات في اليوم الذي عينه سنة إحدى وأربعين وستمائة -
رحمه الله-^(١) .

إبراهيم.. أحد موالى الروم (رحمه الله)

العالم العامل المولى الأجل كان والده من سادات العجم ومن أكابر
أولياء الله .

* كان إبراهيم منقطعاً عن الناس في العلم والعبادة زاهداً ورعاً يستوى
عنده الذهب والمدر . وكان متواضعاً خاشعاً .

(١) «الوافى بالوفيات» (١٠/٢٦٩) .

لما كان في مرض موته وهو قريب من الاحتضار فتح عينيه، فقال: «إن الله تعالى كريم لطيف، شاهدت من كرمه ولطفه ما أعجز عن شكره». ومات في تلك الليلة^(١).

أبو عبد الله الحرابي (رحمه الله)

* عن إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال: كنا نتجالس في الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحقاً به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فمازلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحبيناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل «الحرابية»، فسألناه عن كنيته، فقال: أبو عبد الله. فرغبنا في مجالسته ورأيناه مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زمناً، ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله، وقد صار موحشاً، فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا أن نأتى الحرابية فنسأل عنه، فأتينا الحرابية وكنا غدداء، فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتاب، فقلنا: أبو عبد الله؟ فقالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته، الآن يجيء.

فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقه وعلى كتفه خرقه، وعلى كتفه أطيار مذبحة وأطيار أحياء، فلما رأنا تبسم، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسك، فما غيَّبك عنا؟ قال: إذا أصدقكم:

كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذى كنت آتيكم فيه، وكان غريباً فخرج إلى وطنه، فلم يكن لى ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٣، ٨٤).

تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزقكم الله عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البوارى^(١) فبسطها لنا، فقعدنا، فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيّار المذبحة وأخذ الأطيّار الأحياء، ثم قال: أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزاً.

فجاء وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته، فقدم إلينا خبزاً ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتيننا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا؟ ألا تُغيرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة؟ فقال أحدهم: على خمسمائة، وقال الآخر: على ثلاثمائة.

وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذى جمعوا فى الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ونسأله أن يغير بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبائنا، فمررنا بالمربد، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد فى منظره له، فقال: يا غلام! اتنى بإبراهيم بن شبيب بن شيبه من بين القوم فجئت فدخلت عليه، فسألنى عن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث. فقال: أنا أسبقكم إلى بره؛ يا غلام اتنى ببدره دراهم، فجاء بها، فقال: احمل هذه البدره مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من قد أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعاً، فلما أتيت الباب سلمت، فأجابنى أبو عبد الله، ثم خرج إلىّ، فلما رأى الفراش والبدره على عنقه كأنى سفيت فى وجهه الرماد، وأقبل علىّ بغير الوجه الأول، فقال: ما لى ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتننى؟ فقلت: يا عبد الله! اقعد حتى أخبرك، إنه من القصة كذا وكذا،

وهو الذى تعلم أحد الجبارين -يعنى محمد بن سليمان-، ولو كان أمرنى أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أنى قد وضعتها، فإله الله فى نفسك، فازداد على غيظاً، وقام فدخل منزله وأصفق^(١) الباب فى وجهى، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدرى ما أقول للأمير، ثم لم أجد بُدّاً من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر، فقال: حرورى والله، يا غلام على بالسيف، فجاء بالسيف، فقال له: خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجك إليك فاضرب عنقه وائتنى برأسه.

قال إبراهيم: أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكن أذهب فأتيك به، ما أريد بذلك إلا افتدائه منه، قال: فضمننيه، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحن وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت، فأذنت لى فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن أبى عبد الله؟ فقلت: وما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الركى^(٢) فتنزع منها ماءً فتوضأ، ثم سمعته يقول: اللهم اقبضنى إليك ولا تفتنى. ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه! إن لنا قصة عظيمة، فلا تحدثوا فيه شيئاً، فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب فأصلى على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة، فشاهده الأمير وعامة أهل البصرة -رحمه الله تعالى-^(٣).

* * *

(١) «أصفق الباب وصفق الباب» بمعنى: أغلقه ورده.

(٢) الركى: البئر.

(٣) «صفة الصفوة» (٩/١٢-١٢).

الفقيه الشافعي محمد بن الحسين الآجري (رحمه الله)

* دخل محمد بن الحسين الآجري الفقيه الشافعي مكة المكرمة، فأعجبه الإقامة بها فقال: اللهم ارزقني بها سنة. فسمع هاتفاً يقول: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ومات - رحمه الله - بمكة سنة ستين وثلاثمائة^(١).

فاضت روحه وهو يلبي

* «قال عبد الله بن الجلاء»:

كنت بذى الحليفة وأنا أريد الحج، والناس يُحرمون، فرأيت شاباً قد صُبَّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه، فقال:
يا رب! أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك.

وبقي يردد هذا القول مراراً كثيرة، وأنا أسمع عليه، فلما أكثر قلت له:
ليس لك بُدٌّ من الإحرام.
فقال: يا شيخ! أخشى إن قلت: لبيك اللهم لبيك، أجابني: «لا لبيك ولا سعديك».

فقلت له: أحسن ظنك وقل معي: لبيك اللهم لبيك.
فقال: لبيك اللهم وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللهم فسقط ميتاً^(٢).

(١) «الوافي بالوفيات» (٢/٣٧٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/٤٠٨).

**الشيخ الإمام شيخ الفقهاء وأستاذ الأولياء الشيخ على
ابن عطية بن علوان الهيتي الشافعي (رحمه الله)**

الشيخ علوان ممن أجمع الناس على جلالته وتقدمه وجمعه بين العلم والعمل، وانتفع به الناس وبتأليفه في الفقه والأصول.

وقال عنه محدث حلب زين الدين بن الشماع الحلبي: أقمت عند شيخ الوقت سيدي علوان الشافعي، فأكرمني وأنزلني في خلوته، وسمعت منه أشياء، وقد أذكرني حاله قول علي بن الفضيل بن عياض لأبيه: يا أبة! ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ!، قال: يا بني! وتدرى لم حلي؟ قال: لا، قال: لأنهم أرادوا به الله تعالى، وكذلك أقول في سيدي علوان.

كانت وفاة الشيخ علوان بحماة سنة ست وثلاثين وتسعمائة.

* قال ولده سيدي محمد في «تحفة الحبيب»: وقد أخبرني بموته قبل حلول مرضه.

قال: وفي يوم موته طلب أن يتمم، ثم دخل في الصلاة فبينما هو عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) إذ خرجت روحه، أو وصلت إلى الغرغرة. مات وقد قارب الثمانين، وصلى عليه غائبة بعد صلاة الجمعة بالجامع الأموي، وعرض خطيبه الجلال البصروي لذكره في الخطبة فانتحب الناس بالبكاء عليه^(٢).

* * *

(١) سورة الفاتحة: الآية: (٥).

(٢) الكواكب السائرة (٢/ ٢٠٦-٢١٣).

عابد يموت عند سماع آية

* عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فترلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لى، أعانى عليها شقائى، وغرنى سترك المرخى على، وقد عصيتك بجهدى، وخالفتك بجهلى، ولك الحجة على، فالآن من عذابك من يستنقذنى؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك منى؟ وا شباباه! وا شباباه!

قال: فلما فرغ من قوله، تلوت آية من كتاب الله ﴿... نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾^(١) الآية، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حساً، فمضيت. فلما كان الغد رجعت من مدرجتي^(٢)، فإذا بجنازة قد وُضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه، مرَّ بابنى البارحة وهو قائم يصلى، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابنى تفطرت مرارته، فوقع ميتاً^(٣).

* * *

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) أى: طريقى.

(٣) التوابين (ص: ٢٩٠).

أبو علي الحسن بن نصر السويسي (رحمه الله)

* نقل المالكى فى «الرياض» عن محمد ولد أبى على الحسن بن نصر السويسى أن أباه قال له :

يا بنى ! اربط لى حبلأ فى السقف ، لعلى أقدر أصلى قائماً ، وكان ذلك فى علة التى مات فيها .

قال : فربطت له الحبل ، وحملناه حتى وقف على نفسه وأمسك الحبل فغلب ولم يستطع القيام كما كان ، فبكى وقال :

وا غوثاه ، يالله حيل بينى وبين طاعة ربى ، فقلت له :
يا أبى ! صلّ جالساً ، وأنت تعلم أن الفرض يُصلّى من جلوس مع
الضرورة ، فكيف النفل ؟

فقال لى : يا بنى ! العمر قصير ، والعمل قليل ، وإنما أردت أن أعمل أكثر مما عملت ، فالحمد لله على ما قضى وقدر .

قال ابنه محمد : ولما طالت بأبى العلة قال لوالدتى :

يا عائشة ! طالت علتى ، وتوليت منى خيراً ، وتعبت معى تعباً كثيراً ،
وأنت فى ذلك مثوبة مأجورة ، لا تملى ولا تزهدى فى خدمتى ، واصبرى
فإنى ما أشك فى أن أجلى قد قُرب ، فيذهب أجرك بقلة الصبر ، سمعت
هاتفاً يقول لى من هذا الطاق :

يا حسن ! غداً صلاة الظهر يُفرج عنك ، فما أشك فى أنى بالغداة
أموت .

فكان كذلك - رحمه الله تعالى - (١) .

(١) «رياض النفوس» (٢/٣٩٣) .

عبد الله بن دارس (رحمه الله)

* قال عبد الله بن نصر: اعتل ابن دارس، وجئنا إليه نعوذه، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمديس القطان، وجبله، وأكابر أصحاب سحنون، هؤلاء قعوداً عند رأسه، وهو مُسَجَّى إلى القبلة، ودموعه تَنْصَبُ، فقال له يحيى بن عمر:

أصلحك الله ما الذي أبكاك؟

فقال: والله ما بكيت خوفاً من الموت؛ لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومي على الله عز وجل لأنني أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدى بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار، والتهجد، والتبتل، وانقطاع عملي، ثم قال لهم: إن لى إليكم حاجة.

هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهاراً، كفنوني فيهما. وهذه الحُصْر كنت أسجد عليها فى سواد الليل، اجعلوها معى فى لحدى، وقليل من الشعير تصدقوا به. وهذه السطحية (المزادة) حبسوها، والله ما خلفت شيئاً يسألنى الله عنه غير هذا.

ثم أسأل الله الاجتماع معكم على الحوض مع النبی ﷺ وأصحابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم قضى - رحمه الله - (١).

(١) «رياض النفوس» للمالكى (١/ ٤٨٠).

السلطان العادل المجاهد محمود بن محمد الكجراتى (رحمه الله)

السلطان محمود كان من خيار السلاطين، وقام بالملك سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

فتح قلعة بيت ودوازكا وفيها صنم من أشهر أصنام المشركين فى الهند يحجون إليه.

* ومن مآثره الجميلة قيامه بالعدل والإحسان وإنفاذ أمر الشرع فى السياسة ومن مكارمه قيامه بتربية العلماء والصالحين وقيامه بتعمير البلاد، وتأسيس المساجد والمدارس، وتكثير الزراعة وغرس الأشجار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك.

* وفى مرض الموت فتح القبر وجلس عنده، وقال: «اللهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهله واجعله من رياض الجنة، ثم ملأه فضة وتصدق بها»^(١).

مات خوفاً من وقوفه بين يدي الله (جل وعلا)

* قال يزيد الرقاشى: دخلت على عابد بالبصرة وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهدته الاجتهاد. قال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ! ما الذى يبكيك؟ قال: يا بنى! أبكى فَقْدُك وما أرى من جهدك. قال: فبكت أمه. فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة: ما الذى يبكيك؟ قالت: يا بنى! أبكى فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك.

(١) «الإعلام» للندوى (٤/ ٣٠٤-٣١٠).

قال: فبكى أهله وصبياناه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذى يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا! نبكى فراقك وما نتعجل من اليتيم بعدك. قال: فقال: أقعدوني أقعدوني ألا أرى كلكم يبكى لدنياى، أما فيكم من يبكى لآخرتى؟ أما فيكم من يبكى لما يلقاه فى التراب وجهى؟ أما فيكم من يبكى لمساءلة منكر ونكير إياى؟ أما فيكم من يبكى لوقوفى بين يدى الله ربى؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات^(١).

الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثماني (رحمه الله)

* «كان الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثماني من ذرية سيدنا عثمان ابن عفان رضى الله عنه.

ولما دخل شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة قال لتلاميذه: إنى لا أصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل، وهو -يومئذ- صحيح ليس به ألم، فعجبوا من مقاله، ولم يبق إلا ثلاثة أيام من شعبان، فمات فى آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه.

ولما كان اليوم الذى توفى فيه تطهر وتوضأ وتطيب، وقال لخدمته: لم يبق لكم من خدمتى إلا اليوم، ثم دخل إلى بيته فصلى ركعتين ونام على فراشه، فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتاً -رحمه الله ورضى عنه-»^(٢).

* * *

(١) صفة الصفوة (٤/١٨).

(٢) «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف ص (٥٦).

قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان

كنا فى مجلس صالح المرى وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى. فقرأ الفتى قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ (١).

فقطع صالح عليه القراءة وقال:

كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يُساقون فى السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ما نزل بنا؟ ماذا حلَّ بنا؟ أين يذهب بنا؟ ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجرون على وجوههم ويُسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باكٍ دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفضاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منقلباه وبكى، وبكى الناس.

فقام فتى من الأزد فقال:

أكل هذا فى القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم والله يا ابن أخى، وما هو أكثر، لقد بلغنى أنهم يصرخون فى النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منها إلا كهيئة الأئين من المدنف، فصاح الفتى:

(١) سورة غافر: الآية: (١٨).

إنا لله، وا غفلتاه عن نفسى أيام الحياة، وا أسفاه على تفريطى فى طاعتك، يا سيده، وا أسفاه على تضييعى عمرى فى دار الدنيا.
ثم بكى، واستقبل القبلة وقال:

اللهم إنى أستقبلك فى يومى هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فأقبلنى على ما كان فى، واعف عما تقدم من فعلى، وأقل عثرتى، وارحمنى ومن حضرنى، وتفضل علينا بنجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك ألقىت معاقد الآثام من عنقى، وإليك أنبت بجميع جوارحى، صادقاً لذلك قلبى، فالويل لى إن لم تقبلنى.

ثم غلب فسقط مغشياً عليه، فحُمِل بين القوم صريعاً فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً، ثم مات والحمد لله فحضره خلق كثير ييكون عليه ويدعون له.
فكان صالح كثيراً ما يذكره فى مجلسه فيقول: وبأبى قتيل القرآن وبأبى قتيل المواعظ والأحزان^(١).

السلطان الفاضل العادل مظفر الحليم الكجراتى (رحمه الله)

السلطان المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد الكجراتى صاحب الرياستين قام بالملك سنة ٩١٧هـ.

قال الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه «المسلمون فى الهند»:

«ومنهم السلطان الفاضل العادل، المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتى، الذى روى عنه التاريخ من نواذر الإخلاص والإيمان، والاحتساب والتقوى، والعمل بالعزيمة، والعدل والإيثار، والحمية فى الدين، والتبحر فى العلم، ما

(١) «مشاهد الناس عند الموت» ص (٩٩).

يندر وجوده فى سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلاً عن الملوك والسلطين.

* كان يقتفى آثار السنة السنينة فى كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكثيراً ما يذكر الموت ويبكى.

* وفى آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى المحل واضطجع إلى أن زالت الشمس، فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتى الوضوء وقام من مصلاه إلى بيت الحرم، واجتمعت النسوة عليه آيات باقيات يندبن أنفسهن حزناً على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر، وفرق عليهن مالاً، ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه، وخرج وجلس ساعة، ثم استدنى منه راجه حسين المخاطب بأشجع الملك وقال له: قد رفع الله قدرك بالعلم، أريدك تحضر وفاتى وتقرأ على سورة ﴿يس﴾ وتغسلنى بيدك وتسامحنى، ثم سمع أذاناً فقال: أهو الوقت؟ فأجاب أسد الملك: هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون فى العادة قبل الوقت، فقال: أما صلاة الظهر فأصلحها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربى فى الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين فى صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١) وقام من مصلاه وهو يقول: استودعك الله واضطجع على سريريه وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفى ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد^(٢).

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

(٢) «الإعلام» ٣١٦/٤ - ٣٢٥.

❖ قال الشيخ أبو الحسن الندوى: «قال السلطان حليم -فى مرض وفاته- تحديثاً بنعمة الله-: ما من حديث رويته عن أستاذى المسند العالى «مجد الدين» بروايته عن مشايخه، إلا وأحفظه، وأسنده، وأعرف لراويه نسبته، وثقته، وأوائل حاله إلى وفاته. وما من آية، إلا وقد منَّ الله علىَّ بحفظها، وفهم تأويلها، وأسباب نزولها، وعلم قراءتها. وأما الفقه، فإنى أستحضر منه ما أرجو به مفهوم «من يُرد الله به خيراً؛ يفقهه فى الدين»^(١). ولى مدة أشهر أصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية^(٢) وأشتغل بما سنَّه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل: «من تشبه بقوم فهو منهم». وها أنا أطمع فى شمول بركاتهم متعللاً بعسى ولعل وكنت شرعت بقراءة «معالم التنزيل»، وقد قاربت إتمامه، إلا أنى أرجو أن أختمه فى الجنة إن شاء الله تعالى.

وفاضت روحه، وهو يدعو بدعاء يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام»^(٣).

فتح الموصلى (رحمه الله)

فتح بن سعيد الموصلى يُكنى أبا نصر.

❖ قال أبو إسماعيل صاحبه وخادمه عنه: كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك، ليست له فى الدنيا راحة.

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى، ثم قال: قد قربَّ الناس قربانهم، فليت شعرى ما فعلت فى قربانى عندك أيها المحبوب؟ ثم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٢) يعنى: الزهاد والفقراء لا المبتدعة المشعوذين.

(٣) «المسلمون فى الهند» لأبى الحسن الندوى ص (٥١-٥٣).

سقط مغشياً عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق، ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: قد علمت طول غمى وحزنى وتردادى فى أزقة الدنيا، فحتى متى تحبس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات - رحمه الله -.

* وعن إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحاً الموصلى فى يوم عيد أضحى، وقد شم ريح القطار^(١)، فدخل إلى زقاق فسمعته يقول: تقرب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرب إليك بطول حزنى يا محبوب، كم تتركنى فى أزقة الدنيا محبوساً؟ ثم غشى عليه وحُمل فدفناه بعد ثلاث^(٢).

معاوية بن قرة (رحمه الله)

* «قال قريش بن أنس: قدم معاوية بن قرة من سفر، فدخل على ابنه إياس بن معاوية فقال: إن هذا اليوم ما ينبغى أن أكون فيه حياً، إنى رأيت فى النوم كأنى وأبى نستبق إلى غاية، فأدركناها معاً، وقد بلغت اليوم سن أبى. قال: فما أخرج إلا ميتاً»^(٣).

* * *

(١) القطار: رائحة الشواء.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٨٨، ١٨٩).

(٣) الحلية (٢/ ٣٣٠).

الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي العمري (رحمه الله)

* «كان من خير خلق الله، مُهاب الشَّكل، عليه نور الولاية والصلاح، وله وقائع وكرامات كثيرة جداً، وكان يُستسقى به الغيث.

* وكان تمرَّض مدة طويلة، وأخبرني بعض الإخوان أنه قبل أن يموت بيومين أُسكت فلم يتكلم بشيء إلا صبيحة وفاته فسمعه ابنه الشيخ محمد يقول: ديننا حق ودينكم شك، قال: فقال له: يا سيدى! أأست عن ربك براضى؟ فقال: بلى، وكان هذا آخر كلام قاله»^(١).

من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن (جل وعلا)

* قال عبد الواحد بن زيد: ركبنا فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنماً. فقلنا له: من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا فى المركب من يسوى مثل هذا. ليس هذا بإله يُعبد؟ قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: الله عز وجل. قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجه هذا الملك إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملك. قال: أرونى كتاب الملك، فينبغى أن تكون كتب الملوك حسناً. فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من

(١) «خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر» لفضل الله المحبى (٣/٣٩٣، ٣٩٤).

القرآن فلم نزل نقرأ، ويبكى حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى، ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، فلما جن علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم! هذا الإله الذى دلتمونى عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بنس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها. قال: لا إله إلا الله دلتمونى على طريق ما سلكتموها، أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيعنى، فهل يضيعنى وأنا أعرفه؟! فلما كان بعد أيام قيل لى: إنه فى الموت، فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: «قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى».

قال عبد الواحد: فحملتنى عيني فنمت عنده، فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة، وفى القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها، فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به فقد اشتد شوقى إليه، فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت فرأيت فى القبة مع الجارية وهو يقرأ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١)(٢).

* * *

(١) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣)، (٢٤).

(٢) صفة الصفوة (٤/٣٦٩، ٣٧٠).

الشيخ سنان زاده القسطنطيني (رحمه الله)

* كان المولى أبو السعود العمادى صاحب التفسير قد وقع خلاف بينه وبين الشيخ حسن بن أحمد الرومى الخلوتى المشهور بسنان زاده القسطنطيني فحنق المولى أبو السعود، وحلف أنه إن مات الشيخ سنان قبله لا يحضر للصلاة عليه، فقال له :

خَفَضَ عليك لا يصلى علىَّ إماماً إلا أنت، وليس لك محيد عن ذلك .
فاتفق أن يوم موت الشيخ سنان توفيت ابنة السلطان سليمان، وأحضرت الجنازة فى الجامع، ودُعِيَ أبو السعود للصلاة عليهما، وكان لم يبلغه نبأ وفاة الشيخ، فقدم للصلاة على الجنازتين .

ولما أتم الصلاة سأل، فقيل له : هذا الشيخ سنان . . . فكفَّر عن يمينه، وكان بعد ذلك إذا طرأ ذكره يعظمه ويذكر أحواله^(١).

شيخ الإسلام نجم الدين الغزى (رحمه الله)

الشيخ محمد بن محمد محدث الشام ومسندها .
جلس تحت قبة النسر بالجامع الأموى سبعة وعشرين عاماً لإقراء الناس الحديث .

* وقع له قبل موته بيومين أنه طلع إلى بساتينه أوقاف جده واستبرأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة، وفى اليوم الثانى دار على أهله ابنته وابنتها وغيرهم وزارهم، وأتى إلى منزله وصلى المغرب، ثم جلس لقراءة الأوراد وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ فى ذكر لا إله إلا الله

(١) «خلاصة الاثر» (٢/ ٢٠) .

وهو مُستقبل القبلة، ثم سُمع منه، وهو يقول: بالذى أرسلك ارفق بى فدخلوا عليه فرأوه قد قضى نحبهُ ولقى ربه -رحمه الله تعالى- (١).

يُحْشَرُ مَنْ حَوَاصِلُ الطَّيْرِ

✽ قال أبو قدامة الشامي: كنت أميراً على الجيش فى بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم فى الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسى وسرت إلى منزلى، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادى: يا أبا قدامة. فقلت: هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أُجب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون. فوقفت، فجاءت ودفعت إلى رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية. فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا فى الثواب، ولا قدرة لى على ذلك، فقطعت أحسن ما فى، وهما ضفيريّتاى وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك (٢)، لعل الله يرى شعرى قيد فرسك فى سبيله فيغفر لى، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى! أنت غلام غرّ راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا، فقال: أأأمرنى بالرجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

فحملته على هجين كان معى فقال: يا أبا قدامة! أقرضنى ثلاثة أسهم.

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٨٩، ٢٠٠).

(٢) قال ابن الجوزى: هذه المرأة حسن قصدها وغلطت فى فعلها؛ لأنها جهلت أن ما فعلت منهى عنه، فليُنظر إلى قصدها.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (١٥، ١٦).

فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يُلح عليَّ حتى قلت: بشرط إن منَّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك. قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًا، ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوق من بين عينيه فوضع رأسه على قربوس^(١) سرجه. فتقدمت إليه، وقلت: لا تنسها. فقال: نعم، ولكن لى إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت المدينة فأت والدتي وسلم خُرْجى إليها وأخبرها فهى التى أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلم عليها فإنها فى العام الأول أصيبت بوالدى، وفى هذا العام بى... ثم مات.

فحفرت له ودفنته: فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها. فقال أصحابى: إنه غلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمّت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة! اترك ولى الله، فما برحت حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إليّ، فلما رأتنى عادت، وقالت: يا أماه! هذا أبوقدامة ليس معه أخى، فقد أصبنا فى العام الأول بأبى وفى هذا العام بأخى. فخرجت أمه إلى فقالت: أمعزياً أم مهتاً؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزّنى، وإن كان استشهد فهنّنى.

فقلت: لا بل مات شهيداً. فقالت: له علامة فهل رأيتهما؟ قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها، فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاً من

(١) القربوس: حنو الفرس.

حديد، وقالت: إنه كان إذا جثه الليل لبس هذا المسح وغلَّ نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقال فى مناجاته: احشرنى من حواصل الطيور. فقد استجاب الله دعاءه^(١).

القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخى (رحمه الله)

* لما تقدمت السنُّ بأبى جعفر صُرف عن القضاء ثم أريد للعمل فأبى، وأحب أن يتأهب للموت فقال:
أحب أن يكون بين الصرف عن القضاء والقبر فرجة، ولا أنزل عن القلنسوة إلى الحفرة وقال:

تركت القضاء لأهل القضاء
ء، وأقبلت أسمو إلى الآخرة
فإن يك فخراً جليل الثنا
ء، فقد نلت منه يداً فاخرة
وإن كان وزراً فأبعد به
فلا خير فى إمرة وازره^(٢)

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٩٨-٢٠١).

(٢) «الوفى بالوفيات» (٦/٢٣٦).

الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي (رحمه الله)

قال -رحمه الله- عند حالة نزعه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتم الرسل الكرام الذي هدانا ودلنا على سبيل الله، أشهد الله على ملائكته بأني أشهد أن لا إله إلا الله، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم^(١).

أبو محمد عبد الله التاهرتي (رحمه الله)

ذكر أبو إسحاق السبائي أن أبا محمد عبد الله التاهرتي اعتل علة شديدة حتى يشسوا منه، فقال للذي يخدمه:

«إني لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها إن شاء الله تعالى، فإذا كان المرضة الثانية بعدها توقعوا موتي.

قال أبو إسحاق السبائي: ما أراه إلا دعا الله عز وجل فأخبر بذلك في منامه. . . . وقال أبو مالك سعد بن مالك الدباغ:

شهدته وقد احتضر وحوله جماعة، فتذاكروا الموت وسكراته، وشدته وغمراته، ثم قال: ادخل يا ملك الموت، وأقبل يبتسم وينظر عن يمينه، وشممننا رائحة طيبة»^(٢).

(١) «خلاصة الأثر» (٤/٤٠٩-٤٢٣).

(٢) «رياض النفوس» (٢/٨٢).

الشيخ محمد بن عمر المعلم (رحمه الله)

كان السيد محمد بن عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب، وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله، وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة الإخلاص، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها - رحمه الله - وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة (١).

أبو عقال بن غليون (رحمه الله)

قال المالكي في «رياض النفوس»:

كان أبو عقال بن غليون قد جرد أذياه في الصبا، وأطال من عنانه في الهوى، منهما في البطالة، صاحب لهو وصبوة، مع مروءة وفتوة، إلى أن تناهت حدود القضاء فشمّر وارعوى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح على ما سلف من أيامه، وعلى ما قارف من آثامه، صائماً نهاره قائماً ليله، حتى كان يضرب به المثل في العبادة...

ثم رحل من القيروان إلى مكة.

وقيل: إن أخت عقال كتبت إليه من القيروان كتباً كثيرة ترغب إليه في الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتُسَرُّ برؤيته قبل أن يفرق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه.

فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت: بحق الثدى الذى

رضعته معك إلا أريتني وجهك قبل الموت وفراق الدنيا. ما لك في حين صباك وجناياتك، وكثرة ما يطرأ علينا بسبك حين كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟

فقال لرسولها: قل لها: ما كنت لأدع بلداً عرفت الله عز وجل فيه، وأمضى إلى بلد عصيت الله فيه، أخشى أن تقتضيني العوائد.

ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك، وأقامت معه بمكة حتى ماتت.

كانت وفاة أبي عقال -رحمه الله- في شهر رمضان، وذلك أنه لما صلى ترويقة أو اثنتين فسجد الناس، وسجد، ثم قام الناس وبقي أبو عقال ساجداً بحاله، فظن من وراءه أنه نام في سجوده. فلما انقضت الترويقة التي كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو قد مات.

فصعد رجل على الحجر فقال:

أيها الناس: إن الله تبارك وتعالى، أراد أن ينشر لأبي عقال في أرضه اليوم علماً^(١).

القاضي الأندلسي أبو الربيع سليمان الحميري (رحمه الله)

كان القاضي أبو الربيع سليمان الحميري خطيباً مفوهاً، وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل، ولى الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية.

من مؤلفاته كتاب (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء) في أربعة مجلدات.

(١) رياض النفوس (١/٤٢٧).

خرج مجاهدًا فى واقعة (أنيسة) على ثلاثة فراسخ منها.

ولما انهزم بعض من كانوا معه جعل يناديهم والراية بيده قائلاً:

أعن الجنة تفرون؟ وثبت -رحمه الله- إلى أن توفى مقبلاً غير مدبر،
وذلك ضحى يوم الخميس الموفى عشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين
وستمائة وهو ابن سبعين سنة إلا شهراً.

ورثاه أبو عبد الله بن الأبار فى قصيدة تزيد على مائة بيت ذكر منها
أبو الحسن النباهى أربعة وستين بيتاً منها:

سقى الله أشلاء بسفح (أنيسة)

سوافح يزجها ثقال الغمائم

وصلى عليها أنفساً طاب ذكرها

بطيب أنفاس الرياح النواسم

لقد صبروا فيها كراماً وصابروا

فلا غرو إن فازوا بصفو المكارم

وما بذلوا إلا نفوساً نفيسة

تحنّ إلى الأخرى حنين الرّوائم

-رحمهم الله ورضى عنهم- (١).

أبو العباس أحمد بن سريج (رحمه الله)

كان أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعى رأى فى مرضه الذى

مات فيه كأن القيامة قد قامت. وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟

فجاءوا، فقال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ فقالوا: يا ربنا قصرنا وأسانا، فأعاد

السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جواباً آخر.

(١) المرقبة العليا ص (٩١).

فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه .
فقال: اذهبوا فقد غفرت لكم .
ثم مات ابن سريج -رحمه الله- بعد ثلاثة أيام^(١) .

أبو عبد الله غزيرة (رحمه الله)

قال الشيخ محمد الكناني: كان أبو عبد الله غزيرة لا يفتر لسانه عن ذكر الله، وكان يؤذن احتساباً، وله صوت جهورى حسن، قلَّ من يؤذن مثله .
قال الكناني: وأخبرني الشيخ أبو الفلاح صالح الجودى قاضى القيروان أنه عاده حين حضرته الوفاة، فسأل عن العصر، فقيل له: المؤذن أذن الآن، فقام وصلى الركعة الأولى تامة، وفي آخر الثانية سقط على الأرض ميتاً -رحمه الله-^(٢) .

أبو عبد الله محمد الدكالى (رحمه الله)

روى أبو عبد الله الأنصارى المعروف بالرصاع عن أبى الحسن الحياتى أنه قال: دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدى أبا عبد الله محمد الدكالى مريضاً، فوقفت على موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلتُ عليه فسألته عن حاله .

فقال لى: يا فقيه حالى حال من اشتاق إلى لقاء الله فى هذه الحالة .
قال أبو الحسن: ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتني وقالت: يا شيخ سيدى الشيخ -رحمه الله- قضى نجه^(٣) .

(١) وفيات الأعيان (١/٦٧) .

(٢) تكميل معالم الإيمان ص (٢٣٢) .

(٣) فهرست أبى عبد الله الرصاع ص (٧٣) .

ابن السماك (رحمه الله)

قال أبو جعفر الربعي: لما حضرت الوفاة محمد بن صبيح بن السماك قال: اللهم إني وإن كنت أعصيك، لقد أحبيت فيك من يطيعك. ومن كلامه ما رواه أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه، وهو أنه قال: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه، وأعطى حاجته، فهو متأهب لمبادر فافعل، فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئاً، ومن نفسه لنفسه. توفي -رحمه الله- بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة^(١).

الشيخ صدقة الضرير (رحمه الله)

كان الشيخ صدقة الضرير المتعبد إذا حبس الله عن الناس الغيث أتوا إلى صدقة يسألونه الدعاء، فأتوا إليه يوماً وقد أصاب البلد قحط شديد فسألوه الدعاء، فرفع يديه إلى السماء، ودعا بدعاء عظيم ثم قال: يا رب... الساعة، الساعة. فما خرج الناس عنه حتى أغاثهم الله عز وجل بالمطر، وكانت آخر كلمة سمعت منه وهو يجود بنفسه: ارفق بحبيبك يا حبيبي. ثم فاضت نفسه -رحمه الله-^(٢).

* * *

(١) صفة الصفوة (٣/١٧٦).

(٢) رياض النفوس (٢/١٢٩).

مُطَرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ (رَحِمَهُ اللَّهُ)

روى ابن سعد عن ثابت البناني أنه رجلاً آخر دخلاً على مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ يعودانه، فوجداه مُغْمًى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجله، فها لنا ذلك، فلما أفاق قلنا له: لقد رأينا شيئاً هالناً، قال: وما هو؟ فأخبرناه، قال: ورأيتم ذلك؟ قالوا: نعم، قال: تلك ألف لام ميم السجدة وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطى، وآخرها من رجلى، وقد صعدت تشفع لى، وهذه تبارك تحرسنى، قال ثابت: فمات -رحمه الله-.

(يعنى: أن السورتين كان يقرؤهما كل ليلة)^(١).

أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الدِّينَوْرِى (رَحِمَهُ اللَّهُ)

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي أن أبا القاسم عبد الصمد بن عمر الدينورى تفقه على أبى سعيد الإصطخرى، وكان يُضرب به المثل فى مجاهدة النفس، واستعمال الصدق والتقشف، والأمر بالمعروف.

وكان يدق السَّعْدَ للعطارين بالأجرة، ويقتات من ذلك (والسَّعْدُ نوع من الطيب).

ولما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدى لهذه الساعة خبأتك (يعنى: أعددت لهذه الساعة عفوك ومغفرتك).

توفى -رحمه الله- ببغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة^(٢).

(١) شرح الصدور ص (٣).

(٢) طبقات الشافعية (١٢٩/٣).

القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي (رحمه الله)

قال الكاتب: ابن أزر:

ارتفع المطر، فخرج القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي قاضي بغداد إلى المصلى، فصلى ركعتين بسبح اسم ربك، وهل أذاك حديث الغاشية، ثم صعد المنبر، وخطب خطبتين، وحول رداءه، وحدّث بحديث طويل خشع له الناس، وبكى وانصرف خاشعاً.

فقبض ليلة استسقائه وقت صلاة العشاء، لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة^(١).

الشيخ أحمد أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين (رحمه الله)

* نقل ابن خلّكان عن أبي صالح المؤذن أن أبا محمد الجويني مرض سبعة عشر يوماً، وأوصاني أن أتولى غسله وتجهيزه.

فلما توفي غسلته، فلما لففته في الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهي تتلألأ، تلألؤ القمر، فتحيرت وقلت في نفسي: هذه بركات فتاواه.

توفي أبو محمد الجويني بنيسابور في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة - رحمه الله -^(٢).

* * *

(١) المرقبة العليا لأبي الحسن النباهي ص (٣٥) - طبع دار الكتاب المصري.

(٢) وفيات الأعيان (٤٧/٣).

أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفى (رحمه الله)

قال يونس: ما رأيت أحداً سرَّ بالموت من أبى الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفى... كان يقول:
والله لو أعلم أن أحداً تُجاب دعوته لسألته أن يسأل الله تعالى لى الموت.

فقلت له: أصلحك الله أو تحب أن تموت؟
فقال: وكيف لا أحب الخروج من دار فيها الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد ﷺ؟
* وتحدث أبو على الحسن بن فتحون فقال:
كنت يوماً جالساً عند أبى محمد البرقى حتى دخل عليه أبو الفضل فقال له:

إن شئت تدعو ونؤمن، أو ندعو وتؤمن.
فقال أبو الفضل: أى ذلك شئت.
وأخذ أبو الفضل فى الدعاء وأخذ الآخر يؤمن على دعائه يسألان الله تعالى الموت، فما أتى بعد ذلك شهر حتى مات أبو الفضل، ثم شهر آخر بعده حتى مات محمد البرقى -رحمهما الله تعالى-^(١).

* * *

(١) رياض النفوس (٢/٢٣٦).

محمد النيسابورى (رحمه الله)

نقل تاج الدين السبكي عن أبي عبد الله الحاكم صاحب «المستدرک» أن محمد النيسابورى وُلدت له بنت وهو ابن تسعين سنة، وتوفى وزوجته حبلى.

قال: بلغنى أن زوجته قالت له عند وفاته: قد قربت ولادتى.
فقال: سلميه إلى الله، فقد جاءوا ببرأتى من السماء، وتشهد ومات فى الوقت.

توفى -رحمه الله- فى الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة^(١).

أبو إسحاق السبائى القيروانى (رحمه الله)

* قال أبو الحسن القابسى: لما احتضر أبو إسحاق رأى من حضره نوراً دخل من باب البيت، فدار فى البيت حتى أتى وجهه، ثم زال عن وجهه، ومر على صدره، ثم إلى رجله، ثم خرج من البيت.
فقبض الشيخ -رحمه الله- وكانت وفاته لثمان بقين من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة سبعين ومائتين^(٢).

* * *

(١) طبقات الشافعية (٣/ ٧٠).

(٢) ترتيب المدارك (٦/ ٧٥).

الشهيد المخلص

كم فى الإسلام من مغاوير وأُسْدٍ لا نعرفهم . . وما ضرهم أن لا نعرفهم . . ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرفهم .

* عن عبد الله بن قيس ، أبى أمية الغفارى قال : كنا فى غزاة لنا .

فحضر العدو فصيح فى الناس ، فهم يثوبون إلى مصافهم ، إذا رجل أمامى ، رأس فرسى عند عجز فرسه ، وهو يخاطب نفسه يقول : أى نفس ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت لى : أهلك وعيالك ، فأطعتك ورجعت؟! ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت : أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟! والله لأعرضنك اليوم على الله ، أخذك أو تركك . فقلت : لأرمقنه اليوم . فرمقته ، فحمل الناس على عدوهم ، فكان فى أوائلهم . ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى حماتهم ، ثم إن الناس حملوا فكان فى أوائلهم ، ثم حمل العدو فانكشف الناس فكان فى حماتهم . قال : فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيتَه صريعاً . فعددت به وبدابته ستين ، أو أكثر من ستين طعنة^(١) .

* * *

أبو إسحاق ابن قرقول (رحمه الله)

وقال الشيخ أبو العباس الناصري:

كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقول صاحب كتاب «مطالع الأنوار» قد صلى الجمعة بجامع فاس سادس أيام شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولما حان أول وقت صلاة العصر أخذ يتلو سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجداً فوق ميتاً - رحمه الله -^(١).

أبو بكر بن مسلم الحضرمي (رحمه الله)

لما احتضر أبو بكر ابتدأ القرآن فأنتهى في سورة طه إلى قول الله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٢). ففاضت نفسه - رحمه الله - وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة^(٣).

* * *

(١) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (١٨٦/٢).

(٢) سورة طه : الآية : (٨٤).

(٣) ترتيب المدارك (٢٧١/٦).

حسن أولوبادلى «أول مسلم وطئ أرض القسطنطينية» (رحمه الله)

فى حصار القسطنطينية، فى محاولة فتحها، تكلم الجنود عن أسوار القسطنطينية التى أحكم تحصينها، والزيت المغلى الذى يصبونه على المسلمين فيهلكهم، وإذا بصوت شاب فى مقتبل العمر من «أولوباد» يسمى «حسن أولوبادلى» يرتفع ويقول: «وهل جئنا إلى هنا إلا لنهلك فى سبيل الله عز وجل؟! يا إخوتى، كيف نخاف من زيت الكافرين المغلى إذا كنا مجاهدين حقاً؟! وهل تركنا قريتنا، وأهلنا، وأحبابنا إلا من أجل لقاء ربنا عز وجل شهداء فى سبيله؟!

وأقبل الجند يبايعون حسناً على أن يكونوا أول من يجيب نداء قائدهم المجاهد فى الغد، وتواعدوا أن يكون هدفهم الثغرة التى أحدثتها مدافع الإسلام قريباً من باب فى الجهة الشمالية للقسطنطينية. ولما اشتد القتال، واستمر الكرُّ والفرُّ، وقوافل الشهداء تزداد لحظة بعد لحظة، فى تلك الأثناء، كان حسن، وثلاثون من أبناء قريته «أولوباد» يتقدمون بخفة وحذر نحو الثغرة التى حددوها هدفاً لهم فى ليلتهم السابقة، وتمكّن حسن وعدد من إخوانه المجاهدين من النجاة من السهام المنهمرة من السماء، حتى إذا بلغوا الثغرة اندفعوا إلى داخل المدينة مكبرين مهللين، فتلقفتهم مئات السيوف والرماح وانهمرت على أجسادهم مئات الأسهم، واندلقت فوق رؤوسهم قدور الزيت المغلى، ولكن حسن وإخوانه لم يأبهوا لكل هذا العناء، فقاتلوا قتالاً لا يقدر عليه إلا رجال صنعهم الإسلام، وتمكنوا بعون الله من الوصول إلى أحد أبواب القسطنطينية ففتحوه وبينما كان جند الإسلام يندفعون إلى

داخل القسطنطينية ويتواثبون إلى أعالي سورها يزيلون رايات الكفر من فوقها، ويضعون مكانها الرايات الإسلامية، كان حسن أولوبادلى وإخوانه يُستشهدون واحداً إثر واحد عن بكرة أبيهم، وصدى تكبيراتهم لا يفتأ يزلزل الأرض من تحت أقدام أعداء الإسلام.

وسجل التاريخ بمداد من نور أن حسن أولوبادلى، كان أول مسلم وطئت قدماه أرض القسطنطينية^(١).

الأمير محمد بن أبى القاسم (رحمه الله)

كان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الهكّارى سمحاً، لطيفاً، ديناً، ورعاً، باراً بأهله، وبالفقراء والمساكين، كثير الصدقات.

بنى بالقدس مدرسته للشافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائماً ويقول:

ما أحسن وقع سيوف الكفار على أنفى ووجهى.

استشهد على الطور، وأبلى يوم استشهاده بلاءً حسناً، وكانت له المواقف المشهورة فى قتال الإفرنج...

ولما مات شهيداً حُمِلَ إلى بيت المقدس فدفن هناك، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة أربع عشرة وستمائة^(٢).

* * *

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام لزياد أبو غنيمه ص(١٢-٢٥).

(٢) الوافى بالوفيات (٤/ ٣٥٠).

أبو حفص عمر بن عبد الله المعروف بابن الإمام الصدفي (رحمه الله)

لما احتضر أبو حفص دعا بشراب فأتى به .

ثم أوماً بيده إلى السلام .

فقلنا: رأيت الملائكة؟

قال: رأيت . . .

وجعل يومئ بيده حتى فاضت نفسه .

وقال بعضهم: لما حضرت أبا حفص الوفاة قال: بُشِّرْتُ .

قلت: بماذا؟

قال: أما تقرأ: ﴿يُسِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ

مُقِيمٌ﴾ (١)(٢) .

الشيخ سعيد ملا الكردي (رحمه الله)

الشيخ المجاهد سعيد ملا الكردي شيخ أكبر القبائل الكردية الذي تصدى
لمؤامرات الردة التي قادها العلماني أتاتورك .

* حين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة في ١٩٢٤م ثار ضده الشيخ سعيد
ملا سنة ١٩٢٥م، واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التي
كتب عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكون الشيخ جيشاً من
الأكراد، وتمكّن من السيطرة على مناطق شاسعة، حتى وصل إلى «ديار

(١) سورة التوبة: الآية: (٢١).

(٢) ترتيب المدارك (٦/٥١).

بكر- فحاصرها، وكاد يسيطر عليها، لولا أن أتاتورك سارع فقفذ بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز، استعملت في تقدمها أبشع أساليب البطش والتنكيل، واضطر الشيخ سعيد ملا -أمام هذه القوة الغاشمة- إلى التراجع إلى الجبال الوعرة؛ ليبدأ من هناك شن حرب عصابات ضد قوات أتاتورك، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ، ومنع وصول أية إمدادات إليه.

وفي ميدان ديار بكر الرئيسى، انعقدت محكمة الطغاة، لمحاكمة الشيخ سنعيد ملا وإخوانه، فحكمت بإعدامه مع عدد كبير من إخوانه، وأمر أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير.

وكان الشيخ سعيد ملا قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة جأش لا يقدر عليها إلا الأبطال، ولقد ظل -رحمه الله- محتفظاً برباطة جأشه حتى آخر لحظة من حياته، وتوجه إلى رئيس المحكمة العسكرية التى حكمت بإعدامه قائلاً: «سوف نصفى حسابنا يوم الحساب الأخير»، ثم توجه إلى قائد الحملة العسكرية التى هزمته قائلاً: يا أمير اللواء، تعال ودع غريمك، ثم تقدم من منصة الإعدام، وأمسك جبل المشنقة بيديه، وساعد الجلاد فى وضعه حول عنقه، وأجمعت المراجع التركية التى وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملا، أن صوته شق عنان السماء مردداً بشموخ «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وتدلّى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر، شاهد صدق على أن جماهير الشعب التركى المسلم قدمت القوافل المتتالية من الشهداء؛ دفاعاً عن دينها وفاءً لعهددها مع الله»^(١).

* * *

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام ص(٤٤-٤٨).

شيخ الزهاد إبراهيم بن أدهم (رحمه الله)

غزا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم في البحر مع أصحابه (فأصابه إسهال). فكان يختلف في الخلاء في الليلة التي مات فيها خمساً وعشرين مرة... كل مرة يجدد الوضوء.

فلما أحس بالموت قال:

أوتروا لى قوسى .

ثم قبض عليها، وتوفى وهى فى كفه، فدفن فى جزيرة فى البحر فى بلاد الروم.

توفى -رحمه الله- سنة إحدى وستين ومائة^(١).

عبد الله بن إدريس الأودى (رحمه الله)

قال الإمام أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده.

وقال الحسن ابن الربيع البوراني: أتى كتاب الرشيد إلى إدريس وأنا شاهد، فقرأ: من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن إدريس. قال: فشهو وغشى عليه، فلما أفاق قال: إنا لله، وصار يعرفنى حتى يكتب إلى، أى ذنب بلغ بى هذا؟

ولما حضرته الوفاة بكى ابنته، فقال: لا تبكى، فقد ختمت القرآن فى هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

توفى -رحمه الله- آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة^(٢).

(١) الوافى بالوفيات (٣١٨/٥).

(٢) غاية النهاية (٣٢٧/١).

أبو على الروذباري (رحمه الله)

قال أبو حامد الغزالي: «يُحكى عن فاطمة -أخت أبي على الروذباري- قالت: لما قرب أجل أبي على الروذباري -وكان رأسه في حجري، فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت وهذه الجنان قد زُينت، وهذا قائل يقول: يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وَحَقِّكَ لَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ

بَعِينٌ مَوْدَةٌ حَتَّى أَرَاكَ (١)

النور يخرج من قبره

وحكى الشيخ القحطاني: أنه أنزل رجلاً في قبره في ليلة ظلماء شديدة الظلمة، وكان الجو غائماً، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمعة بعملية جراحية وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله)، فقد كان له محاضرة في الجامع الكبير الذي أحضر إليه الميت، وبعد المحاضرة ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج، أو كشف لكي ننور القبر، ولكنه أبطأ، فأخذت أعسُّ اللحد بيدي فقلت للإخوة أعطونا الميت، فلما سللته من جهة الرجلين ووضعت في قبره فككت تلك الأربطة وكشفت عن وجه الميت، وإذا بالمصابيح والأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنار القبر، ورآه كل من كان معي، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر، ثم ذكر الشيخ بعض من حضروا وشاهدوا ذلك الأمر.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٥١٣).

أهلاً بصديقى وحبيبى

قال فى تذكرة الإخوان: حدثنى صاحب لنا أنه مات رجل فى قريتهم، وكان مؤذنًا للقرية ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة لا يمنع أحدًا من الأكل منها لا من إنسان ولا من حيوان، وكان كثير الصدقة، فمرض قبل موته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمعنا، وكان لا يكلمنا ويردد: استغفر الله لا إله إلا الله، وفجأة رفع يده فى الهواء كأنه يصافح أحدًا وهو يقول: أهلاً بصديقى وحبيبى... ثم مات (رحمه الله).

كل من عليها فان

يقول أحد الشباب: نحن مجموعة من الشباب ندرس فى إحدى الجامعات وكان من بيننا صديق عزيز يقال له محمد. كان محمد يُحِبُّ لنا السهرات، ويجيد العزف على الناي حتى تطرب عظامنا.

وكان المتفق عليه عندنا أن سهرة بدون محمد سهرة ميتة لا أنس فيها. ومضت الأيام على هذا الحال... وفى يوم من الأيام جاء محمد إلى الجامعة وقد تغيرت ملامحه وظهر عليه آثار السكينة والخشوع... فجئت إليه أحدثه وقلت له: يا محمد ماذا بك؟ كأن الوجه غير الوجه الذى أعرفه ويعرفه أصدقائك.

فرد على محمد بلهجة عزيزة وقال:

يا صديقى: لقد طلقت الضياع والخراب وإنى تائب إلى الله تعالى.

فقلت له: على العموم عندنا الليلة سهرة لا تفوت وسيكون عندنا ضيف تحبه إنه المطرب الفلانى .

فرد محمد على وقال: أرجو أن تعذرني يا صديقى لقد قررت أن أقاطع هذه الجلسات الضائعة . . هل فهمتني . . فجن جنون صديقه الشاب وبدأ يردد ويزيد .

فقال له محمد: اسمع يا فلان . كم بقى من عمرك؟ ها أنت تعيش فى قوة بدنية وعقلية . وتعيش حيوية الشباب فإلى متى ستبقى مذنباً غارقاً فى المعاصى؟ لم لا تغتنم هذا العمر فى أعمال الخير والطاعات؟

وواصل صديقى محمد الوعظ وتناثرت باقة من النصائح الجميلة من قلبه الصادق . . وألح علىَّ يدعونى إلى التوبة النصوح قائلاً لى: يا فلان إلى متى تُسوِّف؟ لا صلاة لربك ولا عبادة . .

أما تدرى أنك قد تموت اليوم أو غداً . . كم من مغتر بشبابه وملك الموت عند بابه . . كم من مغتر فى أمره منتظراً فراغ شهره وقد آن انصرام عمره . . كم من غارق فى لهوه وأنسه وما شعر أنه قد دنا غروب شمس . . يقول الشاب: وتفرقنا على ذلك وكان من الغد دخول شهر رمضان . . وفى اليوم الثانى تحديداً من أيام رمضان ذهبت إلى الجامعة لحضور محاضرات السبت فوجدت الشباب قد تغيرت وجوههم وقد بدا عليهم الحزن الشديد .

قلت: ما بالكم؟

فقال أحدهم: محمد بالأمس خرج من صلاة الجمعة فصدمته سيارة مسرعة . . لا إله إلا الله توفاه الله تعالى وهو صائم . . الله أكبر ما أجملها من خاتمة .

وتابع قائلاً: لقد صلبنا على محمد فى عصر ذلك اليوم وأهلنا عليه التراب . . وكان منظرًا مؤثراً .

إنما الأعمال بالخواتيم

حدثت هذه القصة فى أسواق العويس بالرياض .. يقول أحد الصالحين:
كنت أمشى فى سيارتى بجانب السوق .. فإذا بشاب يعاكس فتاة، يقول
فترددت هل أنصح أم لا؟ ثم عزمت على أن أنصح، فلما نزلت من
السيارة، هربت الفتاة وخاف الشاب وظن أنى من الهيئة التى تأمر بالمعروف ..
ولما وصلت إليه رأيته مرتبكاً .. فسلمت عليه وقلت له: أنا لست من
الهيئة ولا من الشرطة، وإنما أخ أحببت لك الخير فأحببت أن أنصحك .. ثم
جلسنا وبدأت أذكره بالله تعالى حتى ذرفت عيناه ثم تفرقنا وأخذت رقم
هاتفه وأخذ هو رقم تليفونى .. وبعد أسبوعين كنت أفتش فى جيبى
فوجدت رقم الشاب فقلت فى نفسى: أتصل به .. وأرى ماذا صنع .. وكان
الوقت صباحاً فاتصلت به قلت: السلام عليكم .. فلان هل عرفتنى ..؟
فقال لى: وكيف لا أعرف الصوت الذى سمعت به كلمات الهداية
وأبصرت به النور وطريق الحق .. ثم ضربنا موعداً للقاء فى اليوم نفسه بعد
العصر، وقدر الله تعالى أن يأتينى ضيوف لم أستطع أن أعتذر منهم،
فتأخرت على صاحبى حوالى الساعة ثم ترددت هل أذهب إليه أو لا ..
فقلت: أفى بوعدى ولو متأخراً، وعندما طرقت الباب فتح لى والده ..
فقلت له السلام عليكم .. فقال: وعليكم السلام ..
قلت: فلان موجود ..

فأخذ الأب ينظر إلىَّ بدهشة عجيبة .. فقلت: فلان موجود .. وهو مازال
ينظر إلىَّ باستغراب شديد .. ثم قال لى: يا ولدى إن الذى تسأل عنه قد
مات .. وهذا تراب قبره قد دفناه قبل قليل ..

قلت: يا عم لقد كلمنى فى هذا الصباح اليوم..

فقال أبوه: نعم لقد صلى الظهر ثم جلس فى المسجد يقرأ القرآن..

وعاد إلى البيت ثم نام القيلولة فلما أردنا إيقاظه للغداء؛ فإذا روحه قد فاضت إلى الله تعالى.

ويتابع الأب قائلاً: ولقد كان ابنى من الذين يجاهرون بالمعصية.. لكنه

قبل أسبوعين تغيرت حاله وأصبح هو الذى يوقظنا لصلاة الفجر بعد أن كان يرفض القيام للصلاة.. بل كان يجاهرنا بالمعصية فى عقر دارنا، ثم من الله عليه بالهداية منذ وقت غير بعيد.

ثم قال الرجل: متى عرفت ولدى يا بنى؟

قلت: منذ أسبوعين.

فقال: أنت إذا الذى نصحته؟

قلت: نعم.

قال: دعنى أقبل رأساً أنقذ ابنى من النار..

صدق رسول الله ﷺ يوم قال: «إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً، عسله»

قيل: وما عسله؟ قال: «يفتح الله عز وجل له عملاً صالحاً قبل موته، ثم يقبضه عليه» (١).

* * *

(١) رواه أحمد (١٧٣٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١١٤).

يقرأ القرآن عند موته

كان هناك شخص يسير بسيارته سيراً عادياً، وفجأة تعطلت سيارته في أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة... ترجّل هذا الشاب من سيارته لإصلاح العطل في أحد العجلات وعندما وقف خلف السيارة لكي يُنزل العجلة السليمة، جاءت سيارة مسرعة وارتطمت به من الخلف.. سقط مصاباً إصاباتٍ بالغة..

يقول أحد العاملين في مراقبة الطرق: حضرت أنا وزميلي وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله؛ شاب في مقتبل العمر.. متدين يبدو ذلك من مظهره.. وعندما حملناه سمعناه يهمهم.. ولعجلتنا لم نميز ما يقوله، ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا به.. سمعنا صوتاً مميزاً إنه يقرأ القرآن وبصوت ندى.. سبحان الله لا تقول هذا مصاب.. الدم قد غطى ثيابه.. وتكسرت عظامه.. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت..

استمر يقرأ القرآن بصوت ندى جميل.. يرتل القرآن.. لم أسمع في حياتي مثل تلك القراءة.. أحسست أن رعشةً سرت في جسدي وبين أضلعي.. وفجأة سكت ذلك الصوت.. التفتُّ إلى الخلف فإذا به رافعاً إصبع السبابة يتشهد ثم انحنى رأسه.. قفزت إلى الخلف.. لمست يده.. تحسست قلبه.. أنفاسه.. لا شيء لقد فارق الحياة..

نظرت إليه طويلاً.. سقطت دمعة من عيني.. أخفيتُها عن زميلي.. التفتُّ إليه وأخبرته أن الشاب قد مات.. انطلق زميلي في بكاء أما أنا فقد شهقت شهقةً وأصبحت دموعي لا تتوقف من كثرة البكاء.. أصبح منظرنا

داخل السيارة مؤثراً جداً.. وصلنا إلى المستشفى.. أخبرنا كل من قابلنا عن قصة هذا الشاب.. الكثيرون تأثروا من حادثة موته.. وذرفت أعينهم الدموع.. أحدهم بعدما سمع قصة هذا الشاب ذهب إليه وقبّل جبينه.. الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلّى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه..

وفعلاً اتصل أحد الموظفين في المستشفى بمنزل المتوفى.. كان المتحدث أخوه.. قال عنه.. إنه يذهب كل إثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية.. كان يتفقد الأرامل والأيتام والمساكين.. كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية.. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال كان لا ينساها ليفرحهم بها..

وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق.. قائلاً له: إننى أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته.. وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية.. وإننى أحتسب عند الله كل خطوة أخطوها.. وفى الغد غصّ المسجد بالمصلين.. صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة.. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة.. أدخلناه فى تلك الحفرة الضيقة..

استقبل أول أيام الآخرة.. وكأئننى استقبلت أنا أول أيام الدنيا..

الشيخ إبراهيم عزت (رحمه الله)

لله در شيخ العباد إبراهيم عزت . . الذى يصدق فيه قول رسولنا ﷺ .
الشيخ الذى أبكى الآلاف بصدقه وإخلاصه ووعظه الجميل ، وتأثر به
الشباب وكان أمة - رحمه الله - .

فى شهر رمضان سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م عقد الشيخ النية على السفر
لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام فى العشر الأواخر من الشهر
الكريم .

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة ، وفى إحدى ليالى الوتر من الثلث
الأخير ، وبعد انقضاء يوم من الصيام ، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى
المغرب مع مرافقيه ، ثم استأذنهم للراحة ، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا
وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها ، وله من العمر ثلاث وأربعون عاماً ،
وتم دفنه فى مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين فى الحرم الشريف
مكفئاً فى إحرامه ، وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق الله لعبده إحدى
أمنيته^(١) . إذ كان يكثر من الدعاء بالموت فى بلد حبيبته ﷺ .

وعند ذاك سيدى وعند ذاك .

سيتنهى السؤال .

ستهتدأ الودائع التى فى داخل الصدور .

سنستقر فى مرافئ الأمان^(٢) .

* * *

(١) الشيخ إبراهيم عزت للدكتور حسن عبد السلام ص (٣١) .

(٢) فصيحة لحظة الوصال للشيخ إبراهيم عزت من كتاب الشيخ إبراهيم عزت للدكتور حسن عبد السلام
ص (١٠٩) .

الشيخ عبد الحميد كشك (رحمه الله)

لله در إمام الوعاظ وشيخهم... من كان مدرسة في الوعظ لا تدانيها مدرسة.. من كان رجل عامة يصل صوته إلى الألف المؤلفة في جميع أرجاء البسيطة.. ذلكم الجبل الراسخ..
كان يدعو الله أن يموت في سجوده، ومات العابد البكاء في سجوده ليعلم الناس أن الشيخ صدق الله فصدقه، مات الشيخ كشك في السجود أقرب ما يكون الإنسان من ربه.. ويا لمسك الختام للعابد الواعظ الإمام!!

الشيخ عامر شيخ القراء (رحمه الله)

أحسن الناس هجيري عند الموت، من كان سلوكه حميداً، ونيته سليمة، ومعتقدة محققاً، فإنه يلهج بما كان عليه من الضياء والنور.
من كان على الخير في حياته لقي الخير عند مماته.
قال رسول الله ﷺ: «من مات على شيء؛ بعثه الله عليه»^(١).
قال المناوي: أي يموت على ما عاش عليه.

يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله «تباريح» بالمجلة العربية: «حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي، مدير عام العلاقات

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم (٣١٣/٤) عن جابر، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤١٩).

بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف، عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان - رحمه الله تعالى - أنه فقد أحباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يُدرّس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء، ثم مرض مرض الوفاة، وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الأحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله، بصوت جهورى جذاب، مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القراءة، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها^(١).

الشيخ المجاهد أحمد ياسين (رحمه الله)

هو الشيخ أحمد إسماعيل ياسين، مؤسس حركة «حماس» بفلسطين. وُلد عام ١٩٣٨م في قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبى قطاع غزة، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام ١٩٤٨.

تعرض لحادث في شبابه أثناء ممارسته للرياضة، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللاً تاماً.

عمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم عمل خطيباً ومدرساً في مساجد غزة، أصبح في ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجته وجسارته في الحق. ثم عمل رئيساً للمجمع الإسلامى في غزة.

اعتقل من قبل اليهود عدة مرات، وحُكم عليه حكماً بالسجن مدى الحياة مضاف إليه خمسة عشر عاماً، بعد أن وُجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن (٩ بنود) منها: التحريض على اختطاف وقتل جنود صهيانية وتأسيس حركة «حماس» وجهازها العسكرى والأمنى.

(١) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص (٧٠، ٧١).

وهكذا عاش هذا الشيخ قعيد الجسد قوى الهمة حياة خافلةً بالجهاد والرباط . إلى أن اغتالته يد المكر والغدر بعد اعتكافه ليلاً في مسجدٍ مجاورٍ لبيته في غزة صباح يوم الإثنين (٢٢ / ٣ / ٢٠٠٤) بعد أدائه لصلاة الفجر وخروجه من المسجد .

كانت وقتها أعين الخونة تلاحقه، ولما توسط الطريق عائداً إلى منزله وجهت إليه طائرة صهيونية أربعة صواريخ، لتنقله من سجن الدنيا إلى جنات الخلود .

وكان قد وجه قبلها بقليل رسالةً إلى زعماء العرب يناشد فيهم الضمير . وعندما سُئل عن أمنيته قال : «أتمنى أن يرضى الله عني» . . رضى الله عنك أيها الشيخ . . ورحمك الله .

* * *

موت القانتات العابدات الراكعات الساجدات

آسية بنت مزاحم زوج فرعون اختارت القتل على الملك

* قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١).
* قال الحافظ ابن حجر: «من فضل آسية امرأة فرعون: اختارت القتل على الملك، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه» (٢).

* قال ابن كثير: «روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي: كانت امرأة فرعون تُعَذَّبُ في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة».

* قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتى، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتزعت روحها» (٣).

* * *

(١) سورة التحريم: الآية (١١).

(٢) فتح الباري (٥١٦/٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٣/٤، ٣٩٤).

ماشطة ابنة فرعون (رحمها الله)

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما كانت الليلة التي أُسرى بى فيها، أتت على رائحة طيبة. فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقط المدرى من يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبى؟ قالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة! وإن لك رباً غيرى؟ قالت: نعم ربى وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها، قالت له: إن لى إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أمه! اقتحمى؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فافتحمت»^(١).

* * *

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٦٥): رواه أحمد، والبخاري، والطبراني فى الكبير، والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط والحديث ضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإسرائء والمعراج (ص ٨٠).
وقوله: المدرى: أداة لتسريح الشعر.
بقرة من نحاس: إناء كبير من نحاس كانوا يوقدون تحته نارا حتى يحترق ويحمر ثم يلقوا فيه من أرادوا.

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

إنها أول من آمن بالله - من النساء - ... وأول من صلى مع رسول الله ﷺ ... وأول من رزق منها الأولاد ... وأول من بشرها بالجنة من أزواجه .. وأول من أقرأها ربها السلام ... وأول صديقة من المؤمنات ... وأول زوجات النبي ﷺ وفاة ... وأول قبر نزل فيه النبي الكريم ﷺ بمكة ... آمنت به حين كفر به الناس وصدقته حين كذبه الناس وواسته بمالها حين بخل الناس ورزقه الله منها الولد .

إنها العاقلة اللبيرة المصونة الكريمة التي كانت تدعى في الجاهلية «الطاهرة» فكيف بها في ظل الإسلام؟!

إنها سكن النبي ﷺ التي آزرته ووقفت بجواره ليلبلغ دعوة ربه (جل وعلا) وهيأت للحبيب ﷺ كل أسباب السعادة والنعيم . وساندته في أحلك أوقات المحنة حتى استحقت بكل جدارة أن يأتيها السلام من عند السلام (جل وعلا) من فوق سبع سماوات بل وتأتيها البشرية بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

إنها سيدة نساء العالمين وزوجة سيد الأولين والآخرين ﷺ . إنها خديجة رضي الله عنها التي سطع نجمها في عالم الإيمان والطهر والعفاف والنبل والعطاء والوفاء .
* وتأملوا معي تلك البشريات التي ساقها الله إليها قبل موتها .

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: «إن الله يُقرئ خديجة السلام» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته^(١) .

(١) رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٥٤): وإسناده حسن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(١).

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

إنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

إنها الزهرة التي نبتت في شجرة مباركة رسخت جذورها في الأرض وارتفع غصنها في السماء حتى كاد أن يعانق كواكب الجوزاء.
* إنها أحب الناس إلى قلب النبي ﷺ بعد أبيها... إنها التي رضعت لبان الصدق من أبيها وتغذت على مائدة النبوة المحمدية... إنها الطاهرة المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات... إنها التقية النقية الورعة الزاهدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها.

وحان وقت الرحيل

وبعد هذه الرحلة الطويلة من العبادة والعلم والبذل والعطاء والتضحية لدين الله (عز وجل) نامت الصديقة الطاهرة المطهرة على فراش الموت بعدما ملأت الدنيا علماً وفقهاً وزهداً وورعاً... فلقد آن الآوان لأمننا الغالية أن تستريح وأن تبدأ رحلتها مع النعيم المقيم فهي زوجة الحبيب ﷺ في الدنيا وفي الآخرة. فهنئاً لها ثم هنيئاً لها.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

ابن عباس رضي الله عنه يثني عليها عند موتها

* عن ابن أبي مليكة: أن ذكوان أبا عمرو: حدثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنه يستأذن على عائشة، وهى فى الموت. قال: فجئت وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن. قالت: دعنى من ابن عباس، لا حاجة لى به، ولا بتزكيتيه، فقال عبد الله: يا أمه! إن ابن عباس من صالحى بنيك، يودعك ويسلم عليك. قالت: فائذن له إن شئت. قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشرى، فوالله ما بينك وبين أن تفارقى كل نصب، وتلقى محمداً صلوات الله عليه والأحبة، إلا أن تفارق روحك جسدك.

قالت: إيه يا ابن عباس! قال: كنت أحب نساء رسول الله صلوات الله عليه - يعنى إليه - ولم يكن يحب إلا طيباً، سقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رسول الله صلوات الله عليه ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ (١) فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تتلى فى آناء الليل والنهار. قالت: دعنى عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أنى كنت نسياً منسياً (٢).

وفى شهر رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة، ألم المرض بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت وصيتها أن تُدفن بالبقيع مع صواحبها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله صلوات الله عليه.

وفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، توفيت أم المؤمنين عائشة، وصعدت روحها إلى ربها راضية مرضية، ولما سمعت أم المؤمنين أم سلمة

(١) سورة النساء: الآية: (٤٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٧٥/٨، ٧٦).

الصرخة على عائشة قالت: والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباهما.

ودُفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر^(١).

وقدم أبو هريرة رضي الله عنه فصلى عليها، فاجتمع الناس، ونزل أهل العوالي، وحضروا جنازتها، فلم تر ليلة أكثر ناساً منها^(٢).

زينب بنت جحش رضي الله عنها

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً».

قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً.

قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق^(٣).

* وذكر الإمام النووي - رحمه الله - أنها دُفنت بالقيع، وصلى عليها سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ونزل في قبرها أسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها حمنة، فكلهم محارم لها رضي الله عنهم^(٤). وأختم تلك الترجمة بقول أمنا عائشة رضي الله عنها.

حيث قالت: يرحم الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها، ونطق به القرآن. وإن رسول الله قال لنا: «أسرعن بي لحوقاً أطولكن باعاً»^(٥). فبشرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة^(٦).

(١) طبقات ابن سعد (٧٦/٨).

(٢) نساء أهل البيت (ص: ١٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٢).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٥/٢، ٣٤٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٠) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٤٥٢)، كتاب فضائل الصحابة.

(٦) سير أعلام النبلاء/ للذهبي (٢/٢١٥).

فاطمة بنت رسول الله ﷺ

إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

إن سيرتها العطرة خير زاد لنسائنا وبناتنا حيث تجعل القلوب المؤمنة تتدفق بنور اليقين وتتصل بحبل من الإيمان والتقوى . فهي بنت سيد الأولين والآخرين ﷺ وأما سيدة نساء العالمين خديجة رضيها .

وحان وقت الرحيل

مرضت فاطمة مرضاً شديداً ونامت على فراش الموت بعد تلك الرحلة الطويلة من الجراح والأفراح . . . وجلس أولادها ينظرون إليها في حنان وإشفاق .

وفتحت فاطمة الزهراء عينيها واهتنتين، فرأت زوجها علياً والهأ حزينا، والحسن والحسين وفي أعينهما الدموع، بينما كانت ابتها زينب وأم كلثوم تكادان تذوبان من الأسى، فأرادت الزهراء أن تواسيهن جميعاً، إلا أن الكلمات رقدت على شفيتها، ولم تتكلم .

كان الموت يطلبها، وإنها لترك الدنيا غير آسفة على فراقها، فما تنافست في عزها وفخرها، وما بهرتها زينتها ونعيمها وزخرفها، إنها ستصبح ميتة يئس، وستترك من ورائها دنيا لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى، نعم، فإن خير الزاد التقوى، وخير لباس التقوى، وقد كان التقوى لباسها وزادها .

وفي يوم الثلاثاء، لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فاضت الروح المطمئنة، ورجعت إلى ربها راضية مرضية .

توفيت فاطمة الزهراء، فأجهش زوجها بالبكاء، وراح الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم يذرفون الدموع على أعظم أم في الوجود؛ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، وابنة سيدة نساء أهل الجنة.

واجتمع الناس في المسجد النبوي، وقد نزل بقلوبهم حزن ثقیل، فقد جدد موت فاطمة الزهراء أحزانهم على فراق أبيها رسول الله، وقد توفيت بعده ستة أشهر... وصلى عليها زوجها علي، وعمه العباس بن عبد المطلب... وفي سكون الليل، خرجت الجنازة إلى البقيع إلى حيث تثنى زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن (١).

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

أم الفارس الغالب (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه وهو رابع الخلفاء الراشدين... وهي جدة سيد شباب الجنة (الحسن والحسين) رضي الله عنهما وهي أم الشهيد الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يطير بجناحيه في الجنة مع الملائكة (جعفر بن أبي طالب) رضي الله عنه أحد الأمراء الثلاثة في سرية مؤتة... وهي أيضاً حمة سيدة نساء العالمين في زمانها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها.

وحان وقت الرحيل

وظلت فاطمة رضي الله عنها تعيش في ظل الإيمان والتوحيد عابدة صائمة قائمة إلى أن جاء اليوم الذي نامت فيه على فراش الموت لتلقى ربها (عز وجل) فيكافئها عن صنيعها مع الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وماتت رضي الله عنها ودُفنت بالمدينة المنورة وأكرمها الله (عز وجل) بأن نزل

(١) نساء أهل البيت (ص: ٦٠١-٦٠٣) بتصرف.

الحبيب ﷺ في قبرها ليدفنها.

* ذكر السهمودي أن النبي ﷺ، لم ينزل في قبر أحد قط إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بمكة، وأربع بالمدينة، قبر ابن خديجة كان في حجر النبي ﷺ وتربيته، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له ذو البجادين، وقبر (أم رومان) أم عائشة بنت أبي بكر الصديق، وقبر فاطمة بنت أسد^(١) رضي الله عنهم جميعاً.

هذا هو الوفاء.... وتلك هي الكرامة

وها هو الحبيب ﷺ صاحب القلب الوفي لم ينس أبداً هذه المرأة الصالحة التي كانت له أمماً بعد أمه فنزل في قبرها ليدفنها فكان في هذا كرامة لها (رضى الله عنها وأرضاها).

عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم عليّ، رضي الله عنها، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال:

«رحمك الله يا أمي، كنت بعد أمي تجوعين وتُشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة» ثم أمر أن تُغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكب رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال: «اللهم الذي يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي فإنك

(١) وفاء الوفا للسهمودي (٣/٨٩٧).

أرحم الراحمين» وكبر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم (١).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب، خلع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وألبسها إياه، واضطجع في قبرها، فلما سوى عليها التراب قال بعضهم: يا رسول الله! رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد!! «ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خلق الله إلى صنيعاً بعد أبي طالب» (٢).

أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها

جلست أم حرام رضي الله عنها تتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لها حين قال: «أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا - أي وجبت لهم الجنة - قالت أم حرام: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم» (٣).

وركبت أم حرام (البحر) مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه فلما رجعوا قُربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها فماتت رضي الله عنها ودُفنت في جزيرة قبرص.. وقبرها في قبرص يُدعى بقبر المرأة الصالحة.

والعجيب أن قبرها يتبرك به أهل قبرص... قال الإمام الذهبي: وبلغني أن قبرها تزوره الفرنج (٤).

(١) ضعيف: رواه الطبراني (٣٥١/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٧/٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه: روح بن الصلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقيّة رجاله رجال الصحيح، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٢٣).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨٧/٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه: سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٩٢٤) كتاب الجهاد.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣١٧/٢).

* وذكر أبو الحسن ابن الأثير وغيره خبر تلك الغزوة فقالوا: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدُفنت فيها، وكان أمير المؤمنين أمير الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة وذلك سنة سبع وعشرين^(١).

سمية بنت خياط (أم عمار) رضي الله عنها

إنها أول شهيدة فى الإسلام... وها هى قصة استشهادها:
كان أبو جهل الفاسق -الذى يغرى بهم فى رجال من قريش- إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنبه وخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنُسْفَهَنَ حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك.
وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه، وأغرى به - لعنه الله وقبحه^(٢).

* وظلت الصحابية الكريمة سمية رضي الله عنها تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبى جهل صبر الأبطال، فلم تصبأ، ولم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها الذى رفعها إلى مستوى الخالدات من النساء، بل الأوليات فى لائحة الصابرات^(٣).
* وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطوراً من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة فى الإسلام. وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل -عليه من الله ما يستحقه- فطعنها فى موطن عفتها فقتلها^(٤).
* قال مجاهد -رحمه الله-: أول شهيدة كانت فى أول الإسلام أم عمار

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٠٣) - والنجوم الزاهرة (١/ ٨٥).

(٢) البداية والنهاية (٥٩/٥).

(٣) نساء مبشرات بالجنة / (ص: ١٣٤).

(٤) أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم للمصنف (١/ ٥٢٧).

سمية، طعنها أبو جهل بحربة في قُبلها (١).
* وكان استشهاد سمية رضي الله عنها في السنة السابعة قبل الهجرة.

أم ورقة بنت الحارث رضي الله عنها

إنها الصحابية الجليلة التي بشرها النبي ﷺ بالشهادة.
فعن أم ورقة أن النبي ﷺ، لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة. قال: «قرّى في بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة» (٢). قال: فكانت تُسمى الشهيدة.
* وعادت تلکم العابدة الزاهدة التقية إلى بيتها - طاعةً لأمر رسول الله ﷺ . . . عادت تنتظر الشهادة التي بشرها بها رسول الله ﷺ.
وعلم الناس بتلك البشارة التي بشرها بها رسول الله ﷺ حتى كان الحبيب إذا أراد أن يزورها يصطحب معه ثلة من أصحابه الكرام ويقول لهم: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

وحان وقت الرحيل

وتأتى اللحظة المناسبة التي قدر الله أن يرزقها فيها الشهادة. فلقد كانت (أم ورقة) تنتظر تلك اللحظة بكل شوق ولهفة.
* وكانت (أم ورقة) ليس معها أحد في بيتها إلا غلام وجارية يخدمانها ويعيشان معها: جارية مملوكة وعبد مملوك ورثتهما عن أهلها. . . فلما أسلمت وعدتهما بالحرية والعتق بعد موتها فما كان منهما إلا أن تعجلاً موتها. . . ولكن كيف كان ذلك؟

(١) البداية والنهاية (٥٩/٣).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٩١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٥٥٢).

* لقد كان فتاها وفتاتها، اللذان غدتهما بإحسانها وفضلها، وأعدت عليهما من عطفها وحنانها وعظيم رعايتها، غير جديرين بما أسلفت لهما وقدمت إليهما، وانطبقت عليهما الحكمة الماثورة (اتق شر من أحسنت إليه) إذ عزَّ عليهما أن يريا مدة ولائهما لها تطول...، كما غرهما بمالها وغناها الغرور واستيقظ في نفسيهما غدر الشيطان وفجوره..

فدبروا ذات ليلة جريمة قتلها..، فماتت «شهيدة» الظلم والبغى والغدر تمامًا كما تنبأ لها رسول الله ﷺ.

وفرا هارين!!... ولكن إلى أين؟
فقد أمسكت بهما يد العدالة، وأعيدا إلى المدينة، حيث لقيا جزاء ما جنت أيديهما.

فقتلا.. وصلبا.. ليكونا عبرة لمن يعتبر..، وعمَّ المدينة حزن شديد، ولم تبق عين إلا ودمعت على «أم ورقة».. ولم يبق قلب إلا وقد انفطر ألامًا على المؤمنة الفاضلة^(١).

* ففى جزء من الحديث الذى رواه أبو داود عن قصة شهادتها:
قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبى أن تتخذ فى دارها مؤذنًا فأذن لها، قال: وكانت دبرت غلامًا وجارية، فقاما إليها فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عمر فقام فى الناس فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما، فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا، فكان أول مصلوب بالمدينة^(٢).

* وهكذا رحلت العابدة الزاهدة عن دنيا الناس وفازت بالشهادة التى بشرها بها رسول الله ﷺ.

(١) المبشرات بالجنة/ محمد على قطب (ص: ٨٧).

(٢) هو الحديث السابق.

الغامدية رضي الله عنها

عن بريدة قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، فجاءته امرأة من غامد، فقالت: يا نبي الله! إنني قد زنيت، وأنا أريد أن تطهرني.

فقال لها النبي ﷺ: «ارجعي» فلما أن كان من الغد، أتته أيضاً، فاعترفت عنده بالزنى، فقالت: يا رسول الله! إنني قد زنيت، وأنا أريد أن تطهرني، فقال لها النبي ﷺ: «ارجعي» فلما أن كان من الغد، أتته أيضاً، فاعترفت عنده بالزنى، فقالت: يا نبي الله! طهرني، فلعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إنني لحُبلى، فقال لها النبي ﷺ: «ارجعي حتى تلدى».

فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله، فقالت: يا نبي الله! هذا قد ولدت.

فقال ﷺ: «فاذهبي فأرضعيه حتى تفضميه».

فلما فضمته، جاءت بالصبي في يده كسرة خبز، قالت: يا نبي الله! هذا قد فضمته، فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفعه إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فحفر لها حفرة، فجعلت فيها إلى صدرها، ثم أمر الناس أن يرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فنضح الدم على وجنة خالد فسبها، فسمع النبي ﷺ سبه إياها، فقال: «مهلاً يا خالد بن الوليد! لا تسبها، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له». فأمر بها، فصلى عليها، ودُفنت.

* وفي رواية مسلم، قال له عمر: تصلى عليها يا نبي الله وقد زنت؟

فقال ﷺ: «لقد تابت توبة لو قسّمت بين سبعين من أهل المدينة

لو سعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟» ^(١).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٦) كتاب الحدود.

السيدة الريانية الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنية (رحمها الله)

كانت -رحمها الله- من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عز وجل، حتى قيل لها: «ترفقي بنفسك - لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟-، حجت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

تُوفيت - رحمها الله تعالى- وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «واعجابه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ (١)(٢).

معاذة العدوية (رحمها الله)

* كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذة السيدة عائشة إذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه، فما تنام حتى تمسى، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

* وكانت تقول إذا غلبها النوم: يا نفس... الموت أمامك لو قد مت طالبت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلمة القبور.

(١) سورة الانعام: الآية: (١٢).

(٢) مرآة النساء - (ص: ٨٢).

* وعن ثابت البناني أن صلة بن أشيم زوج معاذة كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني! تقدّم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحباً! إن كنتن جئتن لتهنئني، فمرحباً بكن وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

قالت أم الأسود بنت زيد العدوية - وكانت معاذة قد أرضعتها - قالت لى معاذة لما قُتل أبو الصهباء وقُتل ولدها: والله يا بُنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

* قالت عفيرة العابدة: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكّت، ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإنني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإنني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلّتان خضروان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبيهاً فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة^(١).

* * *

رابعة العدوية (رحمها الله)

جمهور أهل العلم على صلاحها وتقواها وعلو مكانها وكلُّ يؤخذ من قوله ويترك.

* قال محمد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة^(١).

* وعن عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة - قالت: كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك وهي فرعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتنى فقالت: يا عبدة! لا تؤذنى بموتى أحداً وكفينى فى جُبتى هذه - جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزع عني وأُبدلت به هذا الذى تريه على، وطُويت أكفانى وخُتم عليها ورُفعت فى عشرين ليلاً ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٨).

كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قالت: وبِمَ وقد كنت عند الناس؟ أى أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أى حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعنى ضيغماً. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بَخٍ بَخٍ أعطى والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فميرنى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل: قالت: عليك بكثرة ذكره، أو شك أن تغتبطى بذلك فى قبرك^(١).

راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوى (رحمها الله)

* «عن عثمان بن سودة الطفاوى، وكانت أمه من العابدات، يقال لها راهبة، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذُخْرِي وذخيرتى، ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى»^(٢).

فرآها ذات ليلة فى منامه فقال لها: يا أماه! كيف أنت؟ قالت: أى بنى! إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، نفترش فيه الريحان وتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/٢٩، ٣٠).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/٤٢).

رقية بنت عبد الله معن الأندلسي
«الولية الكاملة العلية» (رحمها الله)

* شقيقة الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي .

«كانت آية من آيات الله في رفع الهمة والزهد والحزم في الطريق والجِدِّ، في غاية الإخمال والتقشف والإقلال» .

وكان أخوها يقول عنها: إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم في الدين والتمسك بحبله المتين .

وأثنى عليها أخوها بعد وفاتها وقال: كانت تخبرني بأمور لا يجدها المنتصبون للمشيخة، وحكى عنها أنها قالت له: إنى أرى نوراً ينتشر في محل سجودى كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بى . قال: فقلت لها: نعم يُخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين: هكذا شأن الصديقين يخافون وإن كانوا محققين .

* وكانت فى المرض الذى تُوفيت فيه مسرورة بلقاء الله، جميلة الرجاء فيه، ولما قُرِبَتْ وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأخبرت بدخوله فصلت وماتت . وكانت وفاتها سنة سبع وثمانين وألف^(١) .

* * *

(١) «نشر المثاني لأهل القرن الحادى عشر الثانى» للشيخ محمد بن الطيب القادري (٢/ ٢٢٠) .

عابدة تموت من خشية الله (جل وعلا)

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت في نفس رجل مهلبى وكانت جميلة، وكانت تُخطب فتأبى، فبلغ المهلبى أنها تريد الحج فاشتري ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكثر من فلان المهلبى فاكرت منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إما أن تزوجيني نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بحمّال ولا خرجت في هذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها، قالت: ويحك! انظر أبقى في الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا، قالت: عد فانظر فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحد إلا وقد نام. فقالت: ويحك! أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة. وخر المهلبى مغشياً عليه ثم قال: ويحي قتل نفساً ولم أبلغ شهوتي فخرج هارباً^(١).

عابدة تموت شوقاً للقاء الله (جل وعلا)

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أظمار شعر وإذا هي ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحيب^(٢) ثم قالت: يا سيدى! بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان^(٣) في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي (٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) أى: بكى أشد البكاء.

(٣) أى: الحيتان.

اصطفّت الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار
والفلك الدّوّار، والبحر الزخّار، والقمر النّوّار، وكلّ شيء عندك بمقدار.

يا مُؤنّس الأبرار فى خلواتهم

يا خسير من حطّت به النّزالُ

فقلت: زيدنا من هذا. فقالت: إليك عنى. ثم رفعت طرفها نحو

السماء وقالت:

أحبك حُبّين حُب الوداد

وحبّاً لأنك أهلٌ لذاكا

فأما الذى هو حب الوداد

فحبٌّ شُغِلْتُ به عن سواكا

وأما الذى أنت أهل له

فكشفك للحُجب حتى أراكا

فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى

ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا هى قد فارقت الدنيا^(١).

عابدة تخرميتة لما رأت الكعبة

* عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: دخل قوم حُجّاج ومعهام امرأة تقول:

أين بيت ربى؟ فيقولون: الساعة ترينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما

ترينه؟ فخرجت تشد وتقول: بيت ربى بيت ربى؛ حتى وضعت جبهتها

على البيت. فوالله ما رفعت إلا ميتة^(٢).

(١) «صفة الصفوة» (٤/٣٧٤، ٣٧٥).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/٤١٥).

«وجارية تتعلق بأستار الكعبة
تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت»

* عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة، تعلقت بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت^(١).

حكاية ياسمين

كان ذلك فى يوم من أيام صيف (١٩٩٦م) فى مدينة الدمام فى المملكة العربية السعودية وبالتحديد فى فندق الأوبروى.. حيث كنت على موعد مع صديقٍ لشرب القهوة العربية بعد صلاة العصر.

وصلت إلى الفندق وتحديداً إلى قاعة المقهى المكيف الجميل ذى الديكورات الخلابة وذلك قبل الموعد بساعة.. دخلت المقهى ولم أكن أعرف أين أجلس أو أنظر، إلا أن جمال المكان شدنى للتجوال فى أنحائه لرؤية كل زاوية فيه، وبالفعل تنقلت بين روعة الفن والديكور والأعمال الخشبية والزجاجية الجميلة حتى وصلت إلى زاوية فى آخر المقهى حيث وُضع أثاث جميل وهادئ الألوان.. وإضاءة خفيفة جداً، ولا يرى الإنسان هناك إلا صفحة الوجه.. شدنى ذلك الديكور الرائع.. وتقدمت قليلاً وبهدوء شديد إلى الجالس على تلك الأريكة، فقط لكى أهنته على حسن اختياره لتلك الزاوية.. ولكننى رأيت رجلاً فى الخمسينيات نحيف الوجه.. قد خطَّ فيه

(١) «السير» (٤/ ٣٣٤)، وقال الذهبى: إسنادها صحيح.

الزمن خطوطه .. وعيناه غائرتان ومليتان بدمعتين من الحجم الكبير جداً ..
وكان يجاهد لكى يمنعها من التدحرج على خديه .

تقدمت إليه فرأيته غارقاً في فكر بعيد جداً .. يخترق بنظرته الخمسينية
ما وراء الفندق والدمام والكرة الأرضية كلها . فقلت له : السلام عليكم
ورحمة الله .. فنظر إلى نظرة استغراب ؛ لأنه لا يعرفنى ولا أعرفه ..
وقال : وعليكم السلام ، وسكت . قلت له : هل يمكننى الجلوس على
الأريكة المقابلة أم أنها محجوزة ؟

فقال كالمنزعج لانقطاع جبل أفكاره : لا .. نعم .. تفضل .. تفضل ..
فعرفت من طريقة كلامه بأنه من أهل الشام وبالتحديد من لبنان ..
جلست وأنا ساكت .. ولكن كيف للثرثار بأن يجلس دون تعذيب
لسانه .. !

قلت له : عفواً .. ولكن لماذا تعذب عينيك وتمنع دمعتيك من التدحرج
على خدك .. لو كنت مكانك لأرحت عيني من تحمل حرارة الدمع الحزينة
وأرسلتها على خدي .. فما إن سمع كلامى حتى تدحرجت الدموع على
خديه وسلكت التقاطيع الكثيرة فى وجهه ولكنه لم يمسحها بمنديل ..
قلت له : لا بد وأنك تذكرت أناساً أعزاء عليك !!

قال : وما يدريك ؟ ! قلت : أرى معزتهم فى عينيك ومحياك ..
قال : نعم .. أعزاء جداً جداً .. قلت : ومتى ستلتقيهم ؟
قال : والله أتمنى فى كل لحظة أن أسافر إليهم ؛ ولكن المسافة بعيدة جداً
جداً ..

قلت : وأين سكنهم ؟ فقال : كان آخر لقائى بها فى أمريكا قبل ثلاث
سنوات ولكننا افترقنا فلم نكن نلتقى إلا فى المنام أو الأحلام ..
قلت : أيها العاشق ! أخبرنى بقصة عشقك ، إن لم يكن فى ذلك تدخل

شخصى فى حياتك.. قال - وبابتسامة صغيرة - : لا أبداً، ليس هناك بينى وبين ياسمين أية أسرار بل، وستكون سعيدةً حسب ظنى بها لو أننى قصصت عليك قصة حبنا الكبير.

ولكن دعنى أصحح لك معلومة صغيرة، وهى أن ياسمين هى ابنتى التى كانت تبلغ من العمر عشر سنوات..

ففوجئت بالمعلومة.. ثم استطرّد قائلاً: هل تحب أن تسمع قصة حبنا الكبير؟! قلت متحمساً: نعم، وبكل شوقٍ.. قال: عشت فى الدمام عشر سنين، ورُزقت فيها بابنةٍ واحدةٍ أسميتها ياسمين، وكان قد ولد لى من قبلها ابن واحد، وأسميته أحمد وكان يكبرها بثمانى سنين، وكنت أعمل هنا فى مهنة هندسية.. فأنا مهندس، وحائز على درجة الدكتوراة..

كانت ياسمين آية من الجمال لها وجه نورانى وملائكى زاهر.. ومع بلوغها التسع سنوات رأيتها من تلقاء نفسها تلبس الحجاب، وتصلى وتواظب على قراءة القرآن بصورةٍ ملفتةٍ للنظر.. فكانت ما إن تنتهى من أداء واجباتها المدرسية حتى تقوم على الفور، وتفرش سجادة صلاتها الصغيرة وتأخذ بقرآنها، وهى ترتله ترتيلاً طفولياً ساحراً..

كنت أقول لها: قومى يا ابنتى والعبي مع صديقاتك.. فكانت تقول لى: صديقى هو قرآنى، فقلت لها: نعم الصديق.. ثم أتركها؛ لتواصل قراءة القرآن..

وذات يوم اشتكت من ألم فى بطنها عند النوم.. فأخذتها إلى المستوصف القريب، فأعطاهما بعض المسكنات فهدأت آلامها ليومين.. ثم عاودتها.. وهكذا تكررت الحالة.. ولم أعط الأمر حينها أى جدية..

وشاء الله أن تفتح الشركة التى أعمل بها فرعاً فى الولايات المتحدة الأمريكية.. وعرضوا علىَّ منصب المدير العام هناك فوافقت.. ولم ينقض

شهر واحد حتى كنا فى أحضان أمريكا مع زوجتى وأحمد وياسمين .. ولا أستطيع وصف سعادتنا بتلك الفرصة الذهبية والسفر للعيش فى أمريكا، هذا البلد العملاق الذى يحلم بالسفر إليه كل إنسان ..

بعد مضى قرابة الشهرين على وصولنا إلى أمريكا عاودت الآلام ياسمين فأخذتها إلى دكتور باطنى متخصص .. فقام بفحصها وقال: ستظهر النتائج بعد أسبوع ولا داعى للقلق .. أدخل الطبيب الاطمئنان إلى قلبى .. وسرعان ما حجزت لنا مقاعد على أقرب رحلة إلى مدينة الألعاب (أورلاند) وقضينا وقتاً ممتعاً مع ياسمين .. بين الألعاب والتنزه هنا وهناك .. وبينما نحن فى متعة المرح .. رن صوت هاتفى النقال .. فوق قلبى .. لا أحد فى أمريكا يعرف رقمى .. عجباً أكيد الرقم خطأ .. فترددت فى الإجابة .. وأخيراً ضغطت على زر الإجابة ..

ألو .. من المتحدث؟؟ أهلاً يا حضرة المهندس .. معذرةً على الإزعاج فأنا الدكتور «ستيفن» طبيب ياسمين .. هل يمكننى اللقاء بك فى عيادتى غداً؟

فقلت له: وهل هناك ما يقلق فى النتائج؟!

فقال لى: فى الواقع نعم .. لذا أود رؤية ياسمين .. وطرح عدداً من الأسئلة قبل التشخيص النهائى ..

فقلت له: حسناً سنكون عصر غدٍ عند الخامسة فى عيادتكم .. إلى اللقاء ..

عندها اختلطت المخاوف والأفكار فى رأسى .. ولم أدر كيف أتصرف، فقد بقى فى برنامج الرحلة يومان، وياسمين فى قمة السعادة؛ لأنها المرة الأولى التى تخرج فيها للتنزه منذ وصولنا إلى أمريكا ..

وأخيراً أخبرتهم بأن الشركة تريد حضورى غداً إلى العمل لطارئ ما،

وهى فرصة جيدة لمتابعة تحاليل ياسمين.. فوافقوا جميعاً على العودة بشرط أن نرجع إلى «أورلاند» فى العطلة الصيفية.. فوافقت..

وفى العيادة استهل الدكتور «ستيفن» حديثه لياسمين بقوله: مرحباً ياسمين، كيف حالك؟ فقالت: جيدة والله الحمد، ولكنى أحس بالآلام وضعف، لا أدري مم؟

وبدأ الدكتور يطرح الأسئلة الكثيرة عليها.. وأخيراً طأطأ رأسه، وقال لى: تفضل فى الغرفة الأخرى..

وفى الحجرة أنزل الدكتور على رأسى صاعقة.. تمنيت عندها لو أن الأرض انشقت وبلعتنى.. قال الدكتور: منذ متى وياسمين تعاني من المرض؟

قلت: منذ سنة تقريباً، وكنا نستعمل المهدئات وتتعافى..

فقال الطبيب: ولكن مرضها لا يتعافى بالمهدئات.. إنها مصابة بسرطان الدم وفى مراحله الأخيرة جداً.. ولم يبق لها من العمر إلا ستة أشهر.. وقبل مجيئكم تم عرض التحاليل على أعضاء لجنة مرضى السرطان فى المنطقة، وقد أقرروا جميعاً بذلك من واقع التحاليل..

فلم أتمالك نفسى وانخرطت فى البكاء وقلت: مسكينة.. والله مسكينة ياسمين.. هذه الوردة الجميلة.. كيف ستموت وترحل عن الدنيا.. وسمعت زوجتى صوت بكائى فدخلت ولما علمت أغمى عليها.. وهنا دخلت ياسمين وابنى أحمد، وعندما علم أحمد احتضن أخته وقال: مستحيل أن تموت ياسمين.. فقالت ياسمين ببرائتها المعهودة: أموت.. يعنى ماذا أموت؟

فتلعثم الجميع من هذا السؤال.. فقال الطبيب: يعنى سترحلين إلى الله..

فقلت يا سمين ببراءة: حقاً سأرحل إلى الله؟! .. وهل هو سيئ الرحيل إلى الله، ألم تُعلماني يا والدي بأن الله أفضل من الوالدين والناس وكل الدنيا ..

وهل إذا رحلت إلى الله يجعلك تبكى يا أبى، ويجعل أُمى يغمى عليها ..

فوقع كلامها البريء الشفاف علينا كمثّل صاعقةٍ أخرى على قلبى وسمعى ..

فيا سمين ترى فى الموت رحلة شيقة فيها لقاء مع الحبيب .. مع الله تعالى .. والتي كانت تقول عنه ببراءة الطفولة .. هو حبيبى .. فهى دوماً كانت تسأل متى سأرى الله؟ وكنا نقول لها: بأن الله لا يُرى فى الحياة الدنيا ..

فقلت: آمنت بالله، ولكن هل سأرى رسول الله محمداً ﷺ والصحابة، وجبرائيل، وميكائيل، والملائكة جلوساً عند الله .. فكنا نقول لها: إن شاء الله سترينهم جميعاً ولكن عليك الآن أن تبدأى العلاج .. فقلت: إذا كان لا بد لى من الموت، فلماذا العلاج والدواء؟!

فقلت لها: نعم يا سمين .. نحن الأصحاء أيضاً سنموت، فهل يعنى ذلك بأن نمتنع عن الأكل والعلاج والسفر والنوم وبناء المستقبل .. فلو فعلنا ذلك لتهدمت الحياة، ولم يبق على وجه الأرض كائن حى ..

فقاطعنى الطبيب قائلاً: تعلمين يا سمين بأن فى جسد كل إنسان أجهزة وآلات كثيرة هى كلها أمانات من الله أعطانا إياها لنعتنى بها .. فأنت مثلاً إذا أعطتك صديقتك لعبة .. هل ستقومين بتكسيرها أم ستعتنين بها؟ فقلت يا سمين: بل سأعتنى بها وأحافظ عليها ..

الطبيب: وكذلك هو الحال لجهازك الهضمى والعصبى والقلب والمعدة

والعينين والأذنين، كلها أجهزة ينبغي عليك الاهتمام بها وصيانتها من التلف.. والأدوية والمواد الكيميائية التي سنقوم بإعطائك إياها إنما لها هدفان.. الأول: تخفيف آلام المرض.. والثاني: المحافظة قدر الإمكان على أجهزتك الداخلية من التلف حتى عندما تلتقين بربك وخالقك تقولين له: لقد حافظت على الأمانات التي جعلتني مسؤولة عنها.. ها أنا ذا أعيدها لك إلا ما تلف من غير قصد مني.

فقلت ياسمين: إذا كان الأمر كذلك.. فأنا مستعدة لأخذ العلاج حتى لا أقف أمام الله كوقوفى أمام صديقتي إذا كسرت لعبها وحاجياتها.. ومضت الستة أشهر ثقيلة وحزينة بالنسبة لنا جميعاً كأسرة، ستفقد ابنتها المدللة والمحبوبة.. وعكس ذلك كان بالنسبة لابنتي ياسمين، فكان كل يوم يمر يزيدنا إشراقاً وجمالاً وقرباً من الله تعالى.. وقامت خلال هذه الفترة بحفظ سور من القرآن.. وسألناها: لماذا تحفظين القرآن؟ قالت: علمت بأن الله يحب القرآن.. فأردت أن أقول له: يا رب! حفظت بعض سور القرآن لأنك تحب من يحفظه.. وكانت كثيرة الصلاة والوقوف بين يدي الله تعالى..

وأحياناً كثيرة تصلى على سريرها.. فسألتها عن ذلك فقالت: سمعت أن رسول الله ﷺ يقول: «وجُعِلَتْ قُرْة عَيْنِي فِي الصَّلَاة»^(١) فأحببت أن تكون لى الصلاة قُرْة عَيْنٍ.

وآخر ما فعلته أنها حفظت سورة ﴿يَس﴾... وكانت ترددها كي لا تنساها.. وما أجملها حين تسمعها تتغنى بها بصوت براءة الأطفال..

وحان يوم رحيلها.. وأشرق بالأنوار وجهها.. وامتلات شفتاها بابتسامة واسعة.. وأخذت تقرأ سورة ﴿يَس﴾ التي حفظتها.. وكانت تجدد مشقةً في قراءتها إلى أن ختمت السورة، ثم قرأت سورة «الفاتحة»، وسورة

(١) صحيح: رواه النسائي (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٨٠٩).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم آية «الكرسى» .. ثم قالت: الحمد لله العظيم الذى علمنى القرآن، وحفظني، وقوى جسمي للصلاة، وساعدني وأنار حياتي بوالدين مسلمين أحبهما كثيراً، يا رب أشكرك لأنك لم تجعلني كافراً أو عاصيةً أو تاركةً للصلاة ..

ثم قالت: تنح يا والدي قليلاً، فإن سقف الحجرة قد انشق وأرى أناساً مبتسمين لابسين البياض، وهم قادمون نحوي ويدعونني لمشاركتهم في التحليق معهم إلى الله تعالى ..

وما لبثت أن أغمضت عيناها وهي مبتسمة، ورحلت إلى الله تعالى ..
ثم أجهش الأب بالبكاء، وبكى بكاءً مريراً، جعل كل من في قاعة المقهى في الفندق يلتفتون إلى الزاوية التي نحن فيها ..
فقلت له: هوّن عليك، فهي في رحمة الله وكنفه ورعايته، فليرحمها الله، ويلهم قلوبكم الصبر على فراقها ..
فقال: رحمة الله عليها، لقد كانت ابنة بارة مؤمنة قانتة، لم تترك صلاتها ولا قرأتها حتى آخر لحظات عمرها ..

دموع الفراق

وحدثتك الليالى أن شيمتها
 تفريقُ ما جمعته فاسمع الخبرا
 وكن على حذرٍ منها فقد نصحت
 وانظر إليها ترى الآيات والعبراً
 فهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً
 وهل سمعت بصفوٍ لم يعد كدراً
 تقول الزوجة الصابرة: أقبلت ابنتى الصغيرة بدور . يسبقها صوت كتغريد
 الطيور . . وما إن التفتُ إليها، فإذا بها تجرى نحوى بسرعةٍ رافعةً يديها . .
 ضممتها بقوة . . وتحسست أطراف أصابعها تخترق جسمى . . أغمضت
 عيني . . حمدت الله . . نعم كثيرة . .
 طفلة وسيمة المحيا . . تغمرها سعادة وارفة الظلال . . حين ضممتها إلى
 صدرى . . تذكرت تلك الأيام الخالية . . عندما كنت فى المرحلة الثانوية . .
 عندها تقدم عادل لخطبتى . . وبحكم القرابة وافق الأهل . . مع أنه كانت
 قلوب الكثيرات من الفتيات تتمناه . . لأنه جمع بين حسن الخلق والدين . .
 وبعد انتظارٍ طويل تم عقد الزواج بعد أن نلت شهادتى الجامعية . . بدأنا
 نفكر معاً فى المستقبل . . ونحن فى بداية الطريق . . والآمال كبيرة . .
 والطموحات كثيرة . . تم التعاقد معه للعمل فى إحدى الشركات . .
 سافر وحده . . وبقي فى غربته . . وأنا وحيدة فى غربتى . . وبعد عام
 ونصف من بعد المسافات ومن الشوق والحنين . . قدمت إليه وكلّى خوف
 من الغربة الجديدة . .

وخوف من الوحدة .. كيف سأعيش بعيدة عن أهلى وأقاربى ..
ولكن تذكرت أن هنا زوجاً ينتظرنى .. ذا خلقٍ ودينٍ ما حلمت به فى
منامى ولا فى يقظتى لصفاتٍ وجدتها فيه .. حسن المعاشرة .. لين
الجانب .. بشاشة الوجه .. صفاء النفس .. صدق الحديث .. منحنى من
الحنان أوفره ومن العطف أكثره جمعت بيننا الغربة .. ونمت فى قلوبنا
المودة .. أشياء البسيطة .. أحببتها ..

أحياناً يطلب كأساً من الماء أو الشاى .. يتبعه الثناء والشكر .. عجبت
من أدبه وحسن تعامله ..

قلت له مرة: لا تشكرنى على خدمتك .. هذا واجبى نحوك .. ولكنه
كان يغمرنى بطيب أخلاقه ..

حمدت الله وشكرته .. أن زوجى مسح عنى دموع الغربة، وعوضنى
فَقْدَ من أحب من أهلى ..

كان لى نعم الزوج والأب والأهل .. ومرت الأيام .. وأنا اليوم فى
الشهور الأخيرة من حملى ..

لم يرهقنى بطلب .. ولم يأمرنى بما لا أستطيع ..
بل كان يقدم لى سؤالاً قبل طلبه .. هل أنت مرهقة ..؟ هل أنت
متعبة؟

كان يشاركنى فرحه .. وحلمه .. ويقول: إن رزقنا الله طفلاً .. سنسميه
بلالاً .. كان يحب بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ .

تمر الأيام الأخيرة للحمل .. وأضع طفلة كالبدر .. أسميناها «بدور» ..
سألته يوماً وهو يداعبها .. هل أنت حزين؛ لأنها أتت بدور ولم يأت
بلال ..؟

فقال لى: إن هذا رزق الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ

الدُّكُورُ^(١) . ومن رزقنا بدوراً . . . يرزقنا بلائاً . . . إن شاء الله .

الحمد لله . . . ظل السعادة يزيد . . . وشجرة المحبة تكبر وتنمو . . . ومن نعم الله علينا . . . قدومنا إلى هذه البلاد . . . حيث دروس العلماء . . . والمحاضرات والندوات . . . وحتى مجتمع المدرسة مجتمع تناصح وخير . . . أهدتني زميلة لى فى المدرسة . . . شريط «أيتها المرأة الحجاب أو النار- لأحد العلماء . . .» .

وبمجرد سماعى لهذا الشريط . هدانى الله لغطاء وجهى . . . كان زوجى يفرح بسماع أذان الفجر . . . يهبُّ من فراشه مسرعاً . . . يوقظنى . . . ويخرج للصلاة . . . وكانت وصيته لى وأنا ذاهبة للمدرسة - لأننى أعمل آنسةً فى إحدى المدارس الشرعية - : أنت مربية الأجيال . . . عليك بالإخلاص . . . واحذرى الغيبة والنميمة . . . إن كان فى حديثك خير فتحدثى ، لا خير فى حديثٍ تندمين عليه يوم القيامة . . .

وكنا غالباً فى ذهابنا وعودتنا . . . نستمع إلى شريط لأحد العلماء . . . وهكذا مرت الأيام حلوة جميلة . . . كهبات نسيم معطرة . . . وفى يوم مثل بقية الأيام . . . ذهبت للمدرسة . . . وعندما خرجت بعد صلاة الظهر من المدرسة . . . رأيته على غير عادته . . . لاحظت تعبهُ وإرهاقه . . . قلت : ماذا بك . . . ؟

قال : إننى مرهق وأحس بدوار فى رأسى . . . وعندما وصلنا إلى المنزل . . . جهزت له طعام الغداء . . .

لم يستطع أن يتحرك من سريره . . . أطعمته بيدي . . . كررت عليه السؤال . . . ما بك ؟! فقال : مرهق وأريد أن أستريح . . .

تركته نائماً حتى موعد صلاة العصر . . . أيقظته . . . لكن لم يستطع أن يستيقظ اتصلت بالجيران . . . ثم ذهبت معهم إلى المستشفى . . .

(١) سورة الشورى : الآية : (٩٤) .

وهناك .. كانت بداية النهاية .. أتى الطبيب بخطوات سريعة .. وقال لى: حالة زوجك حرجة جداً، وهناك اشتباه فى وجود التهاب على قشرة المخ ..

ثم فصل الأمر .. هناك نوعان .. نوع بسيط ونوع خطير ..

تقبلت الخبر بثبات .. وما كنت أظن أنى كذلك ..

وفى الساعة الواحدة والنصف ليلاً، وأنا أصلى وأدعو الله أن يشفيه ..

ظل فى غيبوبة ثلاثة أيام متواصلة من ظهر يوم الأربعاء .. ومروراً بيومى الخميس والجمعة ..

وفى صباح يوم السبت .. تحسنت حالته وأفاق من غيبوبته وبدأ يعرف

الزائرين شكلاً .. وعندما اقتربت منه .. قلت له: هل عرفتني يا عادل؟

قال: لا .. فقلت له: أتعرف بدور؟

قال: هى ابنتى .. أردفت بسرعة .. فقلت: أنا أم بدور ..

تبسم ضاحكاً وقال: .. أنت زوجتى! .. بكيت بكاءً مرّاً ..

قبل ثلاثة أيام .. كيف كان حاله .. ذاكرته .. عقله .. سؤاله عنى ..

واليوم تبدلت الأحوال .. لا يعرف حتى أحب الناس إليه .. لا يعرف زوجته ولا ابنته ..!

طال بى التفكير .. ولم أنس ذكر الله .. ومن المسجد المجاور تنبّهت

على صوت الإمام يقرأ فى الصلاة .. وكأنه يخاطبني .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١) .

وأنا أتابع الآيات تتابعتم دموعى .. وعلمت أنني من أصحاب هذه

الآية .. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣) .

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٥) .

فقلت فى نفسى: نحن هنا فى غربه .. وبفقد الزوج .. فى مصيبة ..
من يذهب بى إليه فى المستشفى .. من يأتى معى! .. إنها غربه بل هى أشد
أنواع الغربه .. خاصة إذا كانت امرأة ضعيفة مثلى .. وحيدة فى بيتها .. لا
أخ ولا أب .. ولا زوج ..

وفى يوم الأحد كتمت حزنى .. ذهبت مع أحد أصدقائه وزوجته ..
وحين وصلنا كانت سعادتى لا توصف .. وفرحى لا نهاية له ..
عرفنى زوجى .. وعرف كل من ذهب إليه .. لكنه لا يستطيع تذكر
الأسماء .. أما أنا وزوجته وأم أبنائه .. عرفنى منذ أن رأتى .. ونادانى
باسمى .. وابتسم فى وجهى ..
كأنى لم أذق طعم السعادة إلا اليوم .. وكأنى لم أسمع اسمى على
لسانه إلا هذه المرة ..

طلب منى أن يتوضأ للصلاة، ويصلى ما فاته من الصلوات فى الأيام
الماضية .. هاجسه الأذان .. وحديثه الصلاة .. ومر هذا اليوم بسرعة رهيبه ..
وفى اليوم التالى كان يوم الاثنين .. نقلوه إلى غرفة بمفرده؛ لأن
الفيروس انتشر فى جسمه وزادت حرارته .. كان هذا اليوم .. يوماً مشهوداً
فى حياته ..

كل يوم أزوره من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة .. ومن الساعة
السابعة وحتى التاسعة .. وأراد الله فى هذا اليوم أن أبقى معه من الثالثة
وحتى التاسعة ..

وأنا أضع له الكمادات الباردة على وجهه ويديه ورجليه .. ولكن
حرارته فى ازدياد .. بدأت أقرأ القرآن بصوت يسمعه ..
وعندما توقفت برهة عن القراءة، لكى أضع الكمادات على قدميه ..
قال لى: افتحى جهاز التسجيل على القرآن ..

فرحت وقلت له: تريد أن تسمع القرآن يا عادل ..
قال: .. طبعاً .. أكملت له التلاوة إلى أن أتى موعد الزيارة الثانية،
وحضر بعض زملائه وأصدقائه .. ومنهم صديق له ملتزم يحبه ويوده ..
تبسم زوجي عندما شاهده .. ومد يده نحوه ليسلم عليه ..
ولكن كانت فرحتي أكبر، فمددت يدي بسرعة .. وصافحت زوجي ..
وكان آخر سلام ومصافحة له ..
بعدها ذهبت إلى منزلي فارغة القلب .. مهمومة النفس .. أغالب
أحزاني .. كل شيء أصبح بجانبى حزيناً .. وأسأل الله الثبات ..
وفي صباح اليوم التالي .. بحثت عمن يذهب بي إلى المستشفى ..
وتطوع أحد الجيران مع زوجته ..
شعرت أن زوجي ربما حدث له شيء من أثر الحرارة المستمرة ..
ونحن بجوار المستشفى قال لي جارنا: انتظري سأذهب، وأسأل عن
حالته ثم أعود مسرعاً .. رفعت طرفي إلى مكان غرفته .. أقلب الطرف ..
فكان يعود كسيراً ..
طالت غيبة جارنا .. أو حسبت أن الأمر كان كذلك ..
لم أستطع الصبر .. وعندما هممت بدخول المستشفى .. فإذا به قادم
مطأطئ الرأس .. وقال لي بصوت خافت: رحمه الله تعالى .. اصبري
واحتمسي .. فإنه مع تبشير هذا الصباح .. والمؤذن يرفع صوته بالأذان ..
الله أكبر .. الله أكبر، فتح زوجك عادل عينيه، وجلس نصف جلسة على
سريره .. ونظر بعينه إلى السماء .. ثم رجع إلى الخلف وأغمض عينيه ..
وصعدت روحه إلى بارئها .. والمؤذن لم يفرغ بعد، مات على صوت طالما
كان يحب سماعه .. بل كان يقول لي: إن رزقني الله مولوداً سأسميه
بلالاً .. حباً في الأذان .. وحباً بمؤذن رسول الله ﷺ ..

نعم.. كل إنسان مهما طالت حياته له نهاية.. وقد حانت نهايته.. في هذا اليوم.. أصبح من أهل الدنيا، وأمسى من أهل الآخرة.

فقلت لجارنا والدموع تنسكب فياضة غزيرة: هل ذهبوا به من هنا..؟

قال: لا.. قلت: أرجوك أريد أن أراه.. وأصررت على ذلك.. ذهبنا

نحن الثلاثة.. وأنا أردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»..

أسابق اللحظات.. واستحث الخطى.. دخلت إلى غرفته.. فإذا به

ممدداً على السرير.. ومغطى برداء.. تقدمت نحوه.. كشفت الغطاء عنه..

فإذا بوجهه تعلوه السكينة والبشر.. لم أشعر إلا وأنا أقبله على

جبينه.. إلى جنة الخلد.. إلى الحور العين..

فسارعوا إلى إخراجي، ولساني يردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»..

اللهم أجرني في مصيبي واخلفني خيراً منها..

الصدمة قوية.. والفجعة كبيرة.. ولكني احتسب مصيبي عند الله

تعالى..

دفنناه هنا حيث الأرض التي أحب..

بعدها جاءت المعزيات يواسيني.. فالجميع هنا، وكل من عرفه بدأ

يعدد محاسنه.. ومحافظته على الصلاة..

حمدت الله تعالى على هذه الخاتمة الطيبة.. ثم تفكرت في حال

الدنيا.. إن أعطت أخذت.. وإن أفرحت أبكت.. وإن أسرت أحزنت..

ساعات قليلة.. بين فرحي وحزني.. بين ابتسامتي ودمعتي.. اليوم انقلبت

إلى غربتي.. وعادت إلي وحدتي.. فقدت عادل.. ولكن بقي رب

عادل.. لن يضيعني أنا وبدور.. وهو أرحم الراحمين..

ماقت فى ليلة الزفاف

هذه القصة هى كما قال ناشرها حقيقية وواقعية، وليست ضرباً من الخيال.. خططتها لكم كى يتعظ بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. كى يأخذ العاقل منها الفائدة، ويتعلم من صاحبها العظة.. فصاحبة قصتنا هذه فتاة مسلمة صادقة مع الله تعالى.. وإليك قصتها باختصار..

حفل الزفاف.. الليلة موعد زفاف العروس.. كل الترتيبات اتخذت.. الكل كان مهتماً بها..

أمها وأخواتها وجميع أقاربها.. الجميع ينتظرون الكوافيرة، والتي ستأتى بعد صلاة العصر؛ لتجهيز العروس لحفل زفافها.. تأخرت الكوافيرة ومضى الوقت مسرعاً.. ثم وصلت وبدأت عملها.. حتى اقترب موعد أذان المغرب..

طلبت العروس من الكوافيرة أن تعجل فى عملها قبل أن يؤذن المغرب.. فهى لم تتعود منذ صغرها أن تؤخر الصلاة عن وقتها..

ونمضى اللحظات.. وفجأة انطلق صوت الحق قائلاً: الله أكبر.. الله أكبر.. إنه أذان المغرب.. والعروس بدت مرتبكة ومهمومة بل حزينه تريد أن تصلى.. فقالت للكوافيرة: أرجوك بسرعة.. فوقت المغرب قصير، وكانت الكوافيرة ترد عليها وتقول: إننا نحتاج لبعض الوقت، اصبرى قليلاً وأنت الليلة عروس وماذا لو أنك تأخرت قليلاً.. ومضى الوقت وكاد وقت المغرب أن ينتهى.. والعروس تصر على الصلاة.. والجميع يحاول أن يشيها عن الصلاة إلى أن تنتهى الكوافيرة من عملها.. قائلين لها: إذا توضأت ستهدمين كل ما عملناه منذ ساعات.. وكانت الفتاوى فى تأخير المغرب

تأتيها من هنا وهناك، فتارة يقلن لها: اجمعي المغرب مع العشاء.. وتارة تيممي.. ولكن العروس المؤمنة، أصرت في هذه المرة على موقفها.. وعقدت العزم وتوكلت على الله وألقت بأقوالهم وفتاويهم خلف ظهرها.. فما عند الله خير وأبقى.

وقامت العروس المؤمنة بشمّوخ المسلم الصادق فتوضأت.. ثم فرشت سجادتها لتبدأ الصلاة.. وظهر عليها، وهي قائمة بين يدي الله من السعادة أضعاف ما كانت عليه من السعادة حين كانت تُجهّز لتُزف إلى زوجها.. وارتسمت على هيئتها الراحة والطمأنينة..

الله أكبر.. نعم، الله أكبر من كل شيء.. ومن كل أمر.. وها هي العروس وصلت للركعة الثالثة عند التشهد الأخير من صلاتها.. والأهل يرمقونها بنظراتهم الغريبة، ويتظنون فراغها من الصلاة بلهفة شديدة.. كي تعود إلى ما كانت عليه..

وما إن سلمت عن يمينها، ثم سلمت عن يسارها حتى أسلمت روحها إلى بارئها.. ورجلت عن هذه الدنيا طائعة لربها عاصية لشیطانها.. نسأله تعالى أن تكون ممن رُفّت إلى جنات الخلد في دار النعيم المقيم التي لا يُكدر ساكنها ولا يشقى..

فى أعلى الجنة

قالت صديقتها والدمع فى عينيها، وغصة فى حلقها تدفعها حيناً وتغلبها
أحياناً أخرى.. لقد سكن حبها فى قلبى منذ أن رأيته..

ابتسامتها العذبة.. كلماتها الرقيقة.. نور الإيمان الذى يشع من
وجهها.. صفاؤها.. نقاؤها.. كل شيء فيها جعلنى أأخذها الصديقة
والحبيبة..

إليها أبت أحزاني فتعزيني.. أشكو لها ضعف إيماني فتعطيني
وتذكرني..

أتأملها كثيراً وهى تردد آيات القرآن الكريم التى كانت تحفظها، فأشعر
بنقصى وضعفى.. الكل يستمع إليها، والكل يحبها.. لقد كانت مشعل
هداية للجميع.

أعرضت عن الدنيا.. لم تشغلها فتن هذا الزمان.. وكأنها من أهل
الآخرة..

الموضات.. الصرعات.. الموديلات الحديثة.. لا تعنى لها شيئاً أبداً..
بسيطة فى ملبسها.. فى مأكليها ومشربها.. حديثها ذكر الله وقراءة
للقرآن.. وأمر بالمعروف.. أو نهى عن المنكر.. تأنس بحديثها
النفوس..

وفجأة هجم عليها مرض خطير.. وتمكن من جسدها.. وانتشر فى
خلاياها..

صارحها الجميع.. إنه مرض السرطان.. وصدق رسول الله ﷺ يوم
قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر

دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة»^(١).

وكيف لا فإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط..

ألم يخبرنا نبينا ﷺ فقال: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»^(٢) اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

وهكذا بدأت حالة صديقتى الحافظة لكتاب الله تسوء شيئاً فشيئاً.. لكن هذا الداء لم يصل إلى قلبها.. ولم يحطمه.. فظل قلبها قوياً بالإيمان.. صابراً محتسباً.. راضياً بقضاء الله وقدره.. لم يتوقف لسانها عن ذكر الله.. وهى تردد آيات القرآن الكريم.. لتجد سلوانها وعزاءها فيها.. وكيف لا، وهو كلام رب العالمين..

وحانت اللحظة الحاسمة.. وجاءت سكرة الموت.. جاءت غُصصه.. وآلامه.. فصارت تردد بضع كلمات لم يفهمها من كان حولها، لقد كانت تقول وهى تبتسم، وقد أشرق وجهها كأنه ورقة مصحف.. لا.. أريد درجة أعلى.. لا.. أريد درجة أعلى..

تعجب أهلها من قولها.. فقالوا: إنها الحمى.. إنها سكرات الموت.. لا بد، وأنها تهذى.. ظلت صديقتى المؤمنة الصابرة تردد.. لا.. أريد درجة أعلى.. وأخيراً ابتسمت ابتسامة عريضة.. وسكن بعدها كل شيء فى جسدها.. لقد صعدت روحها إلى خالقها.. لقد ماتت بعد أن اختارت درجتها فى الجنة..

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الزهد، وأحمد (١٤٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٣٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٠).

أسأل الله تعالى أن يجعلها من أصحاب الفردوس الأعلى ..
 لقد ماتت حافظة القرآن .. الداعية إلى الإيمان .. الحريصة على
 الصلاة .. المواظبة على الطاعات .. لم تُغرها الدنيا بشهواتها وملذاتها ..
 حفظها الله تعالى بحفظها للقرآن الكريم .. وبما فيه من أوامر ونواه ..
 أيها الأحبة الكرام بين سماعي لهذه القصة وكتابتها ساعات قليلة ..
 وهي قصة من الواقع ذكرها الشيخ «على باقيس» . فنسأله تعالى أن يرحم
 هذه الفتاة .. وأن يحسن ختامنا وختام المسلمين .. آمين .

* * *

ورحلت نورا

تقول: بدت أختى شاحبة الوجه نحيلة الجسم .. لكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم .. إذا بحثت عنها وجدتها فى مُصلاها راکعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء .. هكذا فى الصباح وفى المساء وفى جوف الليل لا تفتقر ولا تمل ..

أما أنا فلقد كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصى .. وأشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنى عُرِفْتُ به .. ومن أكثر من شىء عُرِفَ به .. فأنا لا أؤدى واجباتى كاملة، ولست منضبطة فى صلواتى .. وفى ليلة من الليالى وبعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً متنوعةً لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور ..

فعدت إلى فراشى .. فنادتنى أختى نورا من مصلاها .. قلت لها: نعم ماذا تريدین يا نورا؟

قالت لى بنبرة حادة: لا تنامى قبل أن تصلى الفجر .. فقلت: أووه .. بقی ساعة على صلاة الفجر، وما سمعته كان هو الأذان الأول ..

فأجابتنى بنبرتها الحنونة -وهكذا كانت هى حتى قبل أن يصيبها المرض الشديد وتسقط طريحة الفراش-: تعالى يا هناء إلى جانبى .. وأنا لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها .. فأنت تشعر بصفتها وصدقها .. فقلت لها: نعم ماذا تريدین؟ فقالت لى: اجلسى ..

فقلت: ها قد جلست ماذا تريدان؟

فقلت مُرددة بصوت عذب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(١). ثم سكتت برهة.. ثم سألتني: ألم تؤمنى بالموت؟

فقلت: بلى إننى مؤمنة به..

قالت: ألم تؤمنى بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة؟

فقلت: بلى.. لكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل..

قالت: يا أختى ألا تخافين من الموت وبغته؟ انظري ههنا هي أصغر منك وتوفيت فى حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة.. وفلانة.. الموت يا أختى لا يعرف العمر وليس مقياساً له..

أجبتها بصوت خائف حيث مصلاها المظلم: إننى أخاف من الظلام وأخافتنى من الموت.. كيف أنام الآن؟ كنت أظن أنك وافقتى على السفر معنا هذه الأجازة.

فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبى لذلك..

فقلت: لعلى هذه السنة أسافر سفيراً بعيداً.. إلى مكان آخر.. ربما يا هناء فالأعمار بيد الله تعالى.. وانفجرت بالبكاء..

تفكرت فى مرضها الشديد، وأن الأطباء أخبروا أبى سراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشيء؟ قلت لها: نورا.. ما لك؟ بم تفكرين؟

فجاءنى صوتها القوى هذه المرة: هل تعتقدين أنى أقول هذا؛ لأنى مريضة؟ كلا.. ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما عشرين سنة.. ربما أربعين.. ثم ماذا؟

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

لمعت يدها فى الظلام وهزتها بقوة.. قائلة: لا فرق بيننا، كلنا سنرحل
وسنغادر هذه الدنيا إما إلى الجنة أو إلى النار.. تصبحين على خير يا هناء..
هرولت مسرعةً وصوتها يطرق أذنى، هداك الله.. لا تنسِ الصلاة..
وفى الثامنة صباحاً أسمع طرقاً على الباب.. هذا ليس موعد
استيقاظى.. بكاء.. وأصوات.. ماذا جرى؟

لقد تردت حالة أختى نوراً.. وذهب بها أبى إلى المستشفى.. إنا لله
وإنا إليه راجعون.. لا سفر هذه السنة، مكتوب على البقاء هذه السنة فى
بيتنا..

وبعد انتظار طويل.. بعد الواحدة ظهراً، هاتفنا أبى من المستشفى
قائلاً.. تستطيعون زيارتها الآن.. هيا بسرعة.. أخبرتنى أمى أن حديث
أبى غير مطمئن وأن صوته متغير.. ركبنا فى السيارة.. أمى بجوارى تدعو
لها.. إنها بحق بنت صالحة ومطبعة.. لم أرها تضيع وقتاً أبداً.. دخلنا
من الباب الخارجى للمستشفى وصعدنا درجات السلم بسرعة..

قالت الممرضة: إنها فى غرفة العناية المركزة وسأخذكم إليها، إنها بنت
طيبة، وطمأنت أمى أنها فى تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها.. وقالت
لنا: ممنوع الدخول لأكثر من شخصٍ واحد.. هذه غرفة العناية المركزة.
وفى وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التى فى باب الغرفة رأيت
عينى أختى نورا تنظر إلىّ، وأمى واقفة بجوارها، بعد دقيقتين خرجت أمى
التي لم تستطع إخفاء دمعتها.

سمحوا لى بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيراً..
فقلت لها: كيف حالك يا نورا؟ لقد كنتِ بخير البارحة.. ماذا جرى
لك؟

أجابتنى بعد أن ضغطت على يدى قائلة: وأنا الآن والحمد لله بخير..

فجلست بجانبها على حافة السرير فلامست يدي ساقها . . فإذا بها تبعده عني . . قلت لها: أنا آسفة إذ ضايقتك . . قالت: كلا؛ ولكنني تفكرت في قول الله تعالى: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (١). أوصيك يا هناء بالدعاء لى فرما أستقبل عما قريب أول أيام الآخرة . . سفرى بعيد وزادى قليل . . سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت . . لم أنتبه أين أنا . . استمرت عيناى فى البكاء . . أصبح أبى خائفاً على أكثر من نورا . . لم نتعود مثل هذا البكاء من قبل . .

ومع غروب شمس ذلك اليوم الحزين . . ساد صمت طويل فى بيتنا . . دخلت علينا ابنة خالتي . . وابنة عمتي . . أحداث سريعة . . كثر القادمون . . واختلطت الأصوات . . شئ واحد عرفته . . نورا ماتت .

لم أعد أميز من جاء . . ولا أعرف ماذا قالوا . . يا الله . . أين أنا؟ وماذا يجرى؟ عجزت حتى عن البكاء . . تذكرت من قاسمتنى رحم أمى، فنحن توأمان . . تذكرت من شاركتنى همومى . . تذكرت من نفّست عني كربتى . . من دعت لى بالهداية . . من ذرفت دموعها ليالى طويلة وهى تحدثنى عن الموت والحساب .

الله المستعان . . هذه أول ليلة لها فى قبرها . . اللهم ارحمها ونور لها قبرها . . هذا هو مصلاها . . وهذا هو مصحفها . . وهذه هى سجادتها . . وهذا . . وهذا . . بل هذا هو فستانها الوردى الذى قالت لى سأخبئه لزواجى . . تذكرتها وبكيت على أيامى الضائعة . . بكيت بكاء متواصلاً ودعوت الله أن يتوب علىّ ويعفو عني . . دعوت الله أن يشبها فى قبرها كما كانت تحب دائماً أن تدعو هى، رحمها الله تعالى .

* * *

ومسك الختام أمي الحبيبة^(١)
(رحمة الله عليها)

كانت أمي (رحمة الله عليها) عابدة زاهدة لا تطمع في أى شىء من حطام الدنيا الفانية... كنت إذا رأيته تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(٢).. كانت تصلى قيام الليل عظمى الرغم من شدة مرضها، وكانت تحب الخير لكل من حولها، وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله.

مات أبوها وهي فى بطن أمها، وماتت أمها بعد ولادتها بشهر واحد فتجرعت غُصص اليُتم، وذوقت من العذاب ألواناً، ولم يكن لها أخ أو أخت فعاشت كل أنواع الغربة.

وعلى الرغم من ذلك كان لسانها لا يفتر عن كلمة «الحمد لله...» وكانت تدعو دائماً ألا تطول عليها السكرات، فلما جاء اليوم الموعد سمعت أذان العصر، فقامت لتتوضأ فما غسلت إلا كفها ووجهها، فقالت لها ابنة أختي: «يا ستي أنت ما توضأتى» فقالت لها أمي: «والله يا ابتى ما تركونى حتى وضؤونى» فتعجبت ابنة أختي!! وقامت أمي لتصلى العصر وهي جالسة -لشدة مرضها- ثم لما أرادت أن تكبر مرة أخرى، قالت لها ابنة أختي: «يا ستي ليس هناك صلاة بعد العصر». فقالت لها أمي: «بل هناك صلوات كثيرة بس يا ريت الوقت يسمح» ودخلت فى الصلاة وجاءتها السكرات وماتت وهي تصلى وكنا نلقنها كلمة: «لا إله إلا الله» فكانت تقولها وظلت ترددها حتى ماتت.

(١) أى: أمي أنا (محمود المصرى).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

وإذا بالمفاجأة السعيدة: فعلى الرغم من كبر سنها إلا أن وجهها عاد ناصعاً وكأنها ابنة عشرين سنة، وإذا بالوجه تعلوه ابتسامة جميلة وكأنها ترى الجنة فى تلك اللحظة. وإذا بالبشائر العظيمة - التى لا أستطيع أن أذكرها - تخبر بها الأخت التى قامت بتغسيلها. . . وإذا بالصالحين يجمعهم الله على غير موعد ويمتلئ المسجد للصلاة عليها، وذهبنا إلى القبر ونزلت لأدفن حبيبتي - التى نzf قلبى بموتها الدماء بدل الدموع - وإذا برائحة جميلة تصدر من قبرها.

وتتوالى البشريات العظيمة، فيعلم العلماء والدعاة فى مصر بخبر موت أمى فيدعون لها فى صلاة الجمعة. فكان هؤلاء الأفاضل يدعون لها وآلاف البشر يؤمنون على دعائهم. . . فرأيتها فى المنام فى تلك الليلة وهى تقول: جزاك الله يا بنى خير الجزاء على كل الخير الذى وصلنى.

فأسأل الله أن يرحم أمى رحمة واسعة - وكل موتى المسلمين - وأن يجمعنى بها فى جنته ومستقر رحمته.

وأسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنى وإياكم حسن الخاتمة، وأن يجمعنا جميعاً فى جنته إخواناً على سررٍ متقابلين.

وأشهد الله - عز وجل - على أنى أحبكم جميعاً فى الله. . . فمن أحببني، فليدعُ لأمى بالمغفرة والرحمة، وبأن يجعل الله قبرها روضة من رياض الجنة.

دعوة مستجابة

أخي الحبيب.... أختي الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربي - عز وجل - أن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبي وأمي .
فما كان في هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان . . والله ورسوله ﷺ منه براء وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يخل على بدعوة لعل الله أن يتجاوز عني وعنكم، وأن يجمعنا جميعاً في جنته إخواناً على سرر متقابلين .
* روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثله»^(١) .

* جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب، وتعلم منه شيئاً وعلمه لمن حوله .
* كما أنصح إخواني وأخواتي بقراءة هذا الكتاب على المسلمين في المساجد والبيوت ومجالس العلم؛ لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس .

* سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* مقدمة الناشر	٥
* إهداء واعتراف لأصحاب الفضل	٧
* بين يدي الكتاب	٩
* علامات حُسن الخاتمة	١٢
* الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت	١٢
* الثانية: الموت برشح الجبين	١٢
* الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها	١٣
* الرابعة: الاستشهاد في ساحة القتال	١٣
* الخامسة والسادسة والسابعة: من صُرِعَ عن دابته في سبيل الله	
ومن وقصه بغيره ومن لدغته هامة وهو في سبيل الله	١٤
* الثامنة: من سأل الله الشهادة بصدقٍ ومات على ذلك	١٤
* التاسعة والعاشرة: المائد في البحر والغريق	١٥
* الحادية عشر: من افترسه السبع	١٥
* الثانية عشر: الشريق	١٥
* الثالثة عشر: القابض على دينه في وقت الفتن	١٥

الموضوع

الصفحة

- * الرابعة عشر: من تردى من رؤوس الجبال ١٦
- * الخامسة عشر: المرباط فى سبيل الله ١٦
- * السادسة عشر: من قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ١٦
- * السابعة عشر: الموت على عمل صالح ١٧
- * الثامنة عشر: الموت بالطاعون ١٧
- * التاسعة عشر: الموت بالهدم ١٧
- * العشرون: الموت بداء البطن ١٨
- * الحادية والعشرون: المرأة تموت فى نفاسها بسبب ولدها ١٨
- * الثانية والعشرون والثالثة والعشرون: الموت بالحرق وذات الجنب ١٨
- * الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس والأهل ١٩
- * السابعة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه ١٩
- * الثامنة والعشرون: الموت غازياً فى سبيل الله ٢٠
- * التاسعة والعشرون: الموت بداء السل ٢٠
- * الثلاثون: الموت بالمدينة المنورة ٢٠

الموضوع

الصفحة

- * أسباب حسن الخاتمة ٢١
- (١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا) ٢١
- (٢) التقوى ٢٢
- (٣) الاستقامة ٢٤
- * وهيب بن الورد (رحمه الله) ٢٥
- * أبو الطيب الطبري (رحمه الله) ٢٥
- (٤) الإكثار من ذكر الموت ٢٦
- (٥) الصدق ٢٨
- (٦) حسن الظن بالله (جل وعلا) ٣١
- (٧) التوبة ٣٤
- * وأما عن شروط التوبة فهي ستة ٣٥
- (٨) الدعاء ٣٦
- (٩) قصر الأمل والتفكير في حقارة الدنيا ٣٦
- * واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان ٣٧
- (١٠) البعد عن أسباب سوء الخاتمة ٣٩
- * موت آدم (عليه السلام) ٤٠
- * أهل الجنة يدخلونها على هيئة أبيهم آدم ٤٣
- * إدريس (عليه السلام) ٤٤

الصفحة

الموضوع

- ٤٤ * الله يرفعه مكاناً علياً
- ٤٥ * النبي ﷺ يقابله فى ليلة المعراج
- ٤٦ * وصية نوح (عليه السلام)
- ٤٦ * موت خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)
- ٤٧ * موت كلیم الله موسى (عليه السلام)
- ٤٩ * موت داود (عليه السلام)
- ٥١ * موت النبي محمد ﷺ
- ٥٢ * مع الصحابة على فراش الموت
- ٥٢ * وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
- ٥٥ * وصيته الغالية لعمر رضى الله عنه
- ٥٦ * كلمة خالدة قالها (على) بعد موت (الصديق) رضى الله عنه
- ٥٨ * وفاة الفاروق عمر رضى الله عنه
- ٦٠ * الفوز بالشهادة
- ٦٣ * صحبة الحبيب ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه فى القبر
- ٦٥ * وفاة ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه
- ٦٨ * وفاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
- ٧٢ * وفاة خال رسول الله ﷺ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه
- ٧٣ * أمين الأمة الشهيد أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه

الصفحة

الموضوع

- * وفاة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ٧٣
- * موقفه يوم الجمل . . . والشهادة في سبيل الله ٧٤
- * سالم مولى أبى حذيفة رضي الله عنه ٧٦
- * وحن وقت الرحيل ٧٦
- * مصعب بن عمير رضي الله عنه ٧٨
- * ادخار الأجر لمصعب يوم القيامة ٧٩
- * سعد بن معاذ رضي الله عنه ٨٠
- * الملائكة تحمل جنازة سعد ٨١
- * سعد بن معاذ وضمة القبر ٨٢
- * مناديل سعد بن معاذ في الجنة ٨٣
- * عمار بن ياسر رضي الله عنه ٨٤
- * جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه ٨٦
- * وها هو يطير بجناحيه في الجنة مع الملائكة ٨٧
- * عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٨٨
- * خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله وفارس الإسلام ٨٩
- * ثابت بن قيس رضي الله عنه ٩٠
- * أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ٩١
- * كرامة ثابتة لأبى طلحة بعد موته ٩٢

الموضوع

الصفحة

- * بلال مؤذن الرسول ﷺ ٩٣
- * أسد الله وأسد رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . ٩٤
- * روحه في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة ٩٤
- * التمثيل بجسده الطاهر رضي الله عنه ٩٥
- * كرامة ثابتة (لأسد الله) بعد موته ٩٥
- * حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ٩٦
- * أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ٩٧
- * أبو سلمة رضي الله عنه ٩٨
- * عمرو بن الجموح رضي الله عنه ٩٩
- * كرامة ثابتة (لعمره) بعد موته ١٠٠
- * عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه ١٠١
- * سلمان الفارسي رضي الله عنه ١٠٢
- * عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ١٠٣
- * سعد بن الربيع رضي الله عنه ١٠٦
- * عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ١٠٨
- * معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ١٠٩
- * أبو هريرة رضي الله عنه ١١١
- * أبو سفيان بن الحارث بن المطلب رضي الله عنه ١١٢

الصفحة

الموضوع

- ١١٢ * عبادة بن الصامت رضي الله عنه
- ١١٣ * عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه
- ١١٤ * عاصم بن ثابت رضي الله عنه
- ١١٨ * عثمان بن مظعون رضي الله عنه
- ١٢٠ * أبو الدرداء رضي الله عنه
- ١٢١ * البراء بن مالك رضي الله عنه
- ١٢٢ * النعمان بن مقرن رضي الله عنه
- ١٢٤ * خالد بن سعيد رضي الله عنه
- ١٢٥ * زيد بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٢٦ * عامر بن فهيرة رضي الله عنه
- ١٢٧ * عمرو بن العاص رضي الله عنه
- ١٢٩ * حنظلة (غسيل الملائكة) رضي الله عنه
- ١٣١ * حرام بن ملحان رضي الله عنه
- ١٣٢ * معاذ بن جبل رضي الله عنه
- ١٣٤ * حكيم بن حزام رضي الله عنه
- ١٣٥ * يشتري داراً في الجنة
- ١٣٥ * رحلة الرحيل
- ١٣٦ * أبو ثعلبة الحشنى رضي الله عنه

الموضوع

الصفحة

- * عبد الله بن جحش رضي الله عنه ١٣٧
- * جلييب رضي الله عنه ١٣٨
- * عمير بن الحمام رضي الله عنه ١٣٨
- * العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ١٣٩
- * أنس بن مالك رضي الله عنه ١٣٩
- * أنس بن النضر رضي الله عنه ١٣٩
- * خبيب بن عدى رضي الله عنه ١٤١
- * شداد بن أوس رضي الله عنه ١٤٢
- * عامر بن ربيعة رضي الله عنه ١٤٣
- * أبو بكرة مولى النبي صلوات الله عليه ١٤٣
- * الحسن بن علي رضي الله عنه ١٤٤
- * الحسين بن علي رضي الله عنه ١٤٥
- * سعد بن خيثمة بن الأنصاري رضي الله عنه ١٤٧
- * عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه ١٤٧
- * أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه ١٤٨
- * المثني بن حارثة رضي الله عنه ١٤٩
- * عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه ١٥٠
- * عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه ١٥٠

الصفحة

الموضوع

- * زيد بن الدثنة رضي الله عنه ١٥١
- * نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه ١٥١
- * صدق الله فصدقه الله ١٥١
- * محمد بن عبد الله بن حوذان (رحمه الله) ١٥٢
- * أبو محمد عبد الله البطال (رحمه الله) ١٥٣
- * الجراح بن عبد الله الحكمي (رحمه الله) ١٥٤
- * علباء بن جحش العجلي (رحمه الله) ١٥٥
- * خاتمة السعادة للصالحين عند الموت ١٥٦
- * أصحاب الأخدود ١٥٦
- * الرجل الذي قتل مائة نفس ١٥٨
- * ثابت البناني (رحمه الله) ١٥٩
- * الحسن البصري (رحمه الله) ١٦٠
- * الربيع بن خثيم (رحمه الله) ١٦١
- * سعيد بن جبير (رحمه الله) ١٦١
- * عبد الرحمن بن الأسود النخعي (رحمه الله) ١٦٣
- * يزيد بن الأسود (رحمه الله) ١٦٤
- * عامر بن عبد الله بن الزبير (رحمه الله) ١٦٥
- * أبو حازم (رحمه الله) ١٦٥

الصفحة

الموضوع

- * محمد بن واسع (رحمه الله) ١٦٦
- * عامر بن قيس (رحمه الله) ١٦٦
- * حسان بن أبي سنان (رحمه الله) ١٦٧
- * محمد بن المنكدر (رحمه الله) ١٦٨
- * أبو عبد الرحمن السلمى (رحمه الله) ١٦٨
- * عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ١٦٩
- * عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ١٧٢
- * عبد العزيز بن سلمان (رحمه الله) ١٧٢
- * الإمام القدوة أبو بكر محمد بن أحمد بن النابلسى (رحمه الله) ١٧٣
- * الإمام المبارك عبد الله بن المبارك (رحمه الله) ١٧٤
- * أبو العالية رفيع بن مهران (رحمه الله) ١٧٥
- * مجاهد بن جبر (رحمه الله) ١٧٦
- * عبد الله بن عامر الأسلمى المدنى ١٧٦
- * عبد الله بن عون بن أرطبان (رحمه الله) ١٧٧
- * عروة بن الزبير ١٧٨
- * أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى (رحمه الله) ١٧٨
- * الإمام عبد الله بن وهب (رحمه الله) ١٧٩
- * عمر بن حسين الجمحى (رحمه الله) ١٨٠

الموضوع

الصفحة

- * الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله) ١٨٠
- * شيخ الإسلام أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد بن عمرو
- الإمام ١٨١
- * مالك بن أنس (رحمه الله) ١٨٣
- * الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) ١٨٤
- * أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (رحمه الله) ١٨٥
- * عبد الرحمن بن أبان بن عثمان (رحمه الله) ١٨٥
- * أبو مسلم الخولاني (رحمه الله) ١٨٦
- * شيخ الإسلام حماد بن سلمة (رحمه الله) ١٨٦
- * داود الطائي (رحمه الله) ١٨٧
- * إبراهيم النخعي فقيه العراق (رحمه الله) ١٨٧
- * أبو يحيى مالك بن دينار (رحمه الله) ١٨٨
- * يزيد بن أبان الرقاشي (رحمه الله) ١٨٩
- * علي بن صالح (رحمه الله) ١٩٠
- * الإمام الأوزاعي (رحمه الله) ١٩٠
- * الإمام الشافعي (رحمه الله) ١٩١
- * العلاء بن زياد العدوي (رحمه الله) ١٩٣
- * أبو عمران الجوني (رحمه الله) ١٩٣

الموضوع

الصفحة

- * توبة بن الصمة (رحمه الله) ١٩٤
- * شيخ الإسلام. طلحة بن مصرف (رحمه الله) ١٩٤
- * على بن الفضيل بن عياض (رحمه الله) ١٩٥
- * أبو عبد الله محمد بن يوسف الأصبهاني (رحمه الله) ١٩٦
- * رباعي بن حراش العبسي (رحمه الله) ١٩٦
- * سليمان التيمي (رحمه الله) ١٩٧
- * الإمام خالد بن معدان شيخ أهل الشام (رحمه الله) ١٩٧
- * الإمام أبو أسماء إبراهيم التيمي عابد الكوفة (رحمه الله) ١٩٨
- * عبد الله بن إدريس الأودي (رحمه الله) ١٩٩
- * أبو جهث «المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية» ١٩٩
- * حطيظ الزيات (رحمه الله) ٢٠٠
- * أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع (رحمه الله) ٢٠٠
- * عمرو بن قيس الملائي (رحمه الله) ٢٠١
- * شيخ الإسلام أبو بكر بن عياش (رحمه الله) ٢٠١
- * آدم بن أبي إياس العسقلاني (رحمه الله) ٢٠٢
- * ذو النون المصري (رحمه الله) ٢٠٢
- * شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل (رحمه الله) ٢٠٤
- * الحافظ عبد الوهاب الأنماطي (رحمه الله) ٢٠٤

الموضوع

الصفحة

- * شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي (رحمه الله) ٢٠٥
- * إبراهيم بن هانيء النيسابوري (رحمه الله) ٢٠٦
- * شيخ القراء أبو بكر النقاش (رحمه الله) ٢٠٧
- * شيخ الإسلام نصر بن إبراهيم (رحمه الله) ٢٠٧
- * إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (رحمه الله) ٢٠٨
- * الجنيد بن محمد (رحمه الله) ٢١١
- * شيخ أهل خراسان أبو محمد أحمد بن عبد الله المغفلي المزني
- (رحمه الله) ٢١٢
- * الوزير الكبير الحسن على الطوسي (رحمه الله) ٢١٢
- * محمد بن نوح (رحمه الله) ٢١٣
- * خير النساج (رحمه الله) ٢١٤
- * شيخ الشافعية ابن الإسماعيلي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم
- (رحمه الله) ٢١٤
- * أبو يحيى زكريا بن يحيى (رحمه الله) ٢١٥
- * أعرابي وحسن ظنه بربه عند موته ٢١٥
- * يوسف بن الحسين الرازي (رحمه الله) ٢١٥
- * الإمام الحافظ أبو الوليد ابن الفرضي مصنف «تاريخ الأندلسيين»
- (رحمه الله) ٢١٦

الموضوع

الصفحة

- * عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر غلام الخلال (رحمه الله) ٢١٧
- * أبو زرعة الرازي (رحمه الله) ٢١٨
- * إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري (رحمه الله) ٢١٩
- * بطل الإسلام طغان خان التركي (رحمه الله) ٢١٩
- * أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العلبي (رحمه الله) ٢٢٠
- * الإمام البخاري (رحمه الله) ٢٢١
- * علي بن بابويه الصوفي (رحمه الله) ٢٢٢
- * الإمام أبو حامد الغزالي (رحمه الله) ٢٢٣
- * الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) ٢٢٤
- * جعفر بن الحسن (رحمه الله) ٢٢٦
- * شيخ الحنابلة أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (رحمه الله) ٢٢٦
- * أبو بكر بن حبيب (رحمه الله) ٢٢٦
- * الإمام أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى (رحمه الله) ٢٢٧
- * شيخ الإسلام الحنجرى (رحمه الله) ٢٢٨
- * الفقيه الزاهد سعد بن عثمان بن مرزوق القرشى (رحمه الله) ٢٢٩
- * شاعر عصره يحيى بن يوسف الصرصرى الأنصارى (رحمه الله) ٢٣٠

الموضوع

الصفحة

- * الإمام الجبل إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المروزي ابن راهويه
 ٢٣٠ شيخ الإسلام، شيخ البخارى (رحمه الله)
- * الإمام الحافظ العماد المقدسى (رحمه الله) ٢٣١
- * شيخ الإسلام محيى الدين النووى (رحمه الله) ٢٣٢
- * شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى الأنصارى (رحمه الله) ... ٢٣٤
- * الشيخ المحدث الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة
 (رحمه الله) ٢٣٦
- * جمال الإسلام أبو الحسن السلمى على بن المسلم (رحمه الله). ٢٣٦
- * القسم بن القسم، الملك العادل، تقي الملوك، ليث الإسلام
 محمود بن زكى (رحمه الله) ٢٣٧
- * شيخ الإسلام عبد القادر الجيلانى (رحمه الله) ٢٣٧
- * شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة (رحمه الله) ٢٣٨
- * الشريف أبو جعفر الهاشمى عبد الخالق بن عيسى بن أحمد
 العباسى (رحمه الله) ٢٤٠
- * الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلى (رحمه
 الله) ٢٤٢
- * الأمير الفقيه ضياء الدين الهكارى أبو محمد عيسى بن محمد
 ابن عيسى (رحمه الله) ٢٤٢

الموضوع

الصفحة

- * بطل الإسلام وقاهر الصليبيين السلطان صلاح الدين الأيوبي
(رحمه الله) ٢٤٣
- * الفقيه الزاهد أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني (رحمه الله). ٢٤٤
- * المقرئ أبو البركات ابن الحنبلي محمد بن سعد العسال (رحمه
الله) ٢٤٥
- * جنيد عصره، الزاهد القدوة العارف عماد الدين ابن شيخ
الحزاميين (رحمه الله) ٢٤٦
- * أمير المؤمنين المسترشد بالله (رحمه الله) ٢٤٧
- * الإمام عبد الرحيم البيساني (رحمه الله) ٢٤٨
- * الفقيه الزاهد أبو الحسن علي بن عمر الحراني (رحمه الله) ... ٢٤٩
- * أبو الحسن عقيل ابن شيخ الخنابلة ابن عقيل (رحمه الله) ٢٥٠
- * محمد بن أحمد بن أبي نصر بن الدباهي الزاهد أبو عبد الله بن
أبي العباس (رحمه الله) ٢٥١
- * الشيخ الجليل أبو الحسين العمراني اليماني يحيى بن أبي الخير
ابن سالم (رحمه الله) ٢٥٢
- * الإمام ثقة الدين أبو القاسم ابن عساكر (رحمه الله) ٢٥٢
- * الفقيه الزاهد أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنى (رحمه
الله) ٢٥٣

الموضوع

الصفحة

- * قاضي المارستان محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري
 ٢٥٤ (رحمه الله)
- * الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن
 ٢٥٤ (رحمه الله)
- * أحمد اليونيني البعلبي (رحمه الله)
- * شيخ الإسلام أبو طاهر السلفي (رحمه الله) ٢٥٥
- * الشيخ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي (رحمه
 ٢٥٦ (الله)
- * الشيخ الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي (رحمه الله) ٢٥٧
- * الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم (رحمه الله) ٢٥٨
- * شيخ المحدثين أبو موسى المديني الأصبهاني الشافعي (رحمه
 ٢٥٨ (الله)
- * مصلح الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحمامي (رحمه
 ٢٥٩ (الله)
- * الفقيه المفسر محمد بن الخضر ابن تيمية فخر الدين شيخ حران
 ٢٦٠ (رحمه الله)
- * شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ٢٦١
- * الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري محمد بن عمر
 ٢٦٢ (رحمه الله)

الصفحة

الموضوع

- * على بن الفتح الحلبي (رحمه الله) ٢٦٥
- * الإمام الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسي
- (رحمه الله) ٢٦٥
- * حافظ الدنيا وشيخ المحدثين الإمام الذهبي (رحمه الله) ٢٦٦
- * قتيل القرآن الإمام شيخ الإسلام: يحيى بن سعيد القطان (رحمه
- الله) ٢٦٨
- * السلطان محمد بن أبي عامر المعافري الحاجب المنصور (رحمه
- الله) ٢٦٨
- * قاضي القضاة مجد الدين أبو إبراهيم التميمي الشيرازي البالي
- (رحمه الله) ٢٦٩
- * الإمام الحافظ أبو عمر الظلمنكي أحمد بن محمد المعافري
- (رحمه الله) ٢٧٠
- * السلطان مراد فاتح البلغار والبوسنة والهرسك (رحمه الله) ... ٢٧١
- * شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن
- أحمد ... بن عائذ (رحمه الله) ٢٧٣
- * أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى (رحمه الله) . ٢٧٤
- * أستاذ الأستاذين وشيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني
- (رحمه الله) ٢٧٥

الموضوع

الصفحة

- * يهودى يسلم لرؤيا رآها لوالد شيخ الإسلام الصابونى ٢٧٨
- * الشيخ أبو على سند بن عنان بن إبراهيم الأزدى (رحمه الله) .. ٢٧٩
- * الشيخ المنفلوطى محمد بن إبراهيم ولى الدين الديباجى (رحمه الله) ٢٨٠
- * الرئيس أبو على المنيعى الحاجى حسان بن سعيد المخزومى (رحمه الله) ٢٨٠
- * القاضى أبو العباس عبد الله بن طالب بن سفيان التميمى (رحمه الله) ٢٨١
- * الشيخ جمال الدين التبريزى (رحمه الله) ٢٨٢
- * الوزير الجواد ابن بقية (رحمه الله) ٢٨٣
- * أبو محمد الأصيلى عبد الله بن إبراهيم (رحمه الله) ٢٨٤
- * الفقيه اليمنى العلامة الزاهد، الورع القانت حاتم بن منصور الحملانى (رحمه الله) ٢٨٥
- * الإمام الطيبى الحسين بن محمد (رحمه الله) ٢٨٥
- * الشيخ أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم (رحمه الله) ٢٨٦
- * ابن العطار يحيى بن أحمد التنوخى القاهرى الشافعى (رحمه الله) ٢٨٦
- * ابن عنان الشافعى (رحمه الله) ٢٨٧

الصفحة

الموضوع

- ٢٨٨ * مات غضباً لله (جل وعلا)
- ٢٨٩ * أبو العباس أحمد بن محمد الديلمي (رحمه الله)
- ٢٩٠ * الشيخ أبو بكر الشعيبي (رحمه الله)
- ٢٩٠ * إبراهيم .. أحد موالى الروم (رحمه الله)
- ٢٩١ * أبو عبد الله الحربى (رحمه الله)
- ٢٩٤ * الفقيه الشافعى محمد بن الحسين الأجرى (رحمه الله)
- ٢٩٤ * فاضت روحه وهو يلبى
- * الشيخ الإمام شيخ الفقهاء وأستاذ الأولياء الشيخ على بن عطية
- ٢٩٥ ابن علوان الهيتى الشافعى (رحمه الله)
- ٢٩٦ * عابد يموت عند سماع آية
- ٢٩٧ * أبو على الحسن بن نصر السوىسى (رحمه الله)
- ٢٩٨ * عبد الله بن دارس (رحمه الله)
- * السلطان العادل المجاهد محمود بن محمد الكجراتى (رحمه
- ٢٩٩ الله)
- ٢٩٩ * مات خوفاً من وقوفه بين يدى الله (جل وعلا)
- ٣٠٠ * الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثمانى (رحمه الله)
- ٣٠١ * قتل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان
- ٣٠٢ * السلطان الفاضل العادل مظفر الحليم الكجراتى (رحمه الله)

الموضوع

الصفحة

- * فتح الموصلى (رحمه الله) ٣٠٤
- * معاوية بن قرة (رحمه الله) ٣٠٥
- * الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادى العمرى (رحمه الله) .. ٣٠٦
- * من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن (جل وعلا) ٣٠٦
- * الشيخ سنان زاده القسطنطينى (رحمه الله) ٣٠٨
- * شيخ الإسلام نجم الدين الغزى (رحمه الله) ٣٠٨
- * يُحشر من حواصل الطير ٣٠٩
- * القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخى (رحمه الله) ٣١١
- * الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفى (رحمه الله) ٣١٢
- * أبو محمد عبد الله التاهرتى (رحمه الله) ٣١٢
- * الشيخ محمد بن عمر المعلم (رحمه الله) ٣١٣
- * أبو عقاب بن غليون (رحمه الله) ٣١٣
- * القاضى الأندلسى أبو الربيع سليمان الحميرى (رحمه الله) ... ٣١٤
- * أبو العباس أحمد بن سريج (رحمه الله) ٣١٥
- * أبو عبد الله غزىة (رحمه الله) ٣١٦
- * أبو عبد الله محمد الدُّكالى (رحمه الله) ٣١٦
- * ابن السماك (رحمه الله) ٣١٧

الموضوع

الصفحة

- * الشيخ صدقة الضريير (رحمه الله) ٣١٧
- * مطرف بن عبد الله بن الشخير (رحمه الله) ٣١٨
- * أبو القاسم بن عبد الصمد الدينوري (رحمه الله) ٣١٨
- * القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي (رحمه الله) ٣١٩
- * الشيخ أحمد أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين (رحمه الله) ٣١٩
- * أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي (رحمه الله) ٣٢٠
- * محمد النيسابوري (رحمه الله) ٣٢١
- * أبو إسحاق السبائي القيرواني (رحمه الله) ٣٢١
- * الشهيد المخلص ٣٢٢
- * أبو إسحاق ابن قرقول (رحمه الله) ٣٢٣
- * أبو بكر بن مسلم الحضرمي (رحمه الله) ٣٢٣
- * حسن أولو بادلي «أول مسلم وطئ أرض القسطنطينية» (رحمه الله) ٣٢٤
- * الأمير محمد بن أبي القاسم (رحمه الله) ٣٢٥
- * أبو حفص عمر بن عبد الله المعروف بابن الإمام الصدفي (رحمه الله) ٣٢٦

الموضوع

الصفحة

- * الشيخ سعيد ملا الكردى (رحمه الله) ٣٢٦
- * شيخ الزهاد إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) ٣٢٨
- * عبد الله بن إدريس الأودى (رحمه الله) ٣٢٨
- * أبو على الروذبارى (رحمه الله) ٣٢٩
- * النور يخرج من قبره ٣٢٩
- * أهلاً بصديقى وحببى ٣٣٠
- * كل من عليها فان ٣٣٠
- * إنما الأعمال بالخواتيم ٣٣٢
- * يقرأ القرآن عند موته ٣٣٤
- * الشيخ إبراهيم عزت (رحمه الله) ٣٣٦
- * الشيخ عبد الحميد كشك (رحمه الله) ٣٣٧
- * الشيخ عامر شيخ القراء (رحمه الله) ٣٣٧
- * الشيخ المجاهد أحمد ياسين (رحمه الله) ٣٣٨
- * موت القانتات العابدات الراكعات الساجدات ٣٤٠
- * آسية بنت مزاحم زوج فرعون اختارت القتل على الملك ٣٤٠
- * ماشطة ابنة فرعون (رحمها الله) ٣٤١
- * خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ٣٤٢
- * عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنها ٣٤٣

الموضوع

الصفحة

- * وحن وقت الرحيل ٣٤٣
- * ابن عباس رضي الله عنه يثنى عليها عند موتها ٣٤٤
- * زينب بنت جحش رضي الله عنها ٣٤٥
- * فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله ٣٤٦
- * وحن وقت الرحيل ٣٤٦
- * فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ٣٤٧
- * وحن وقت الرحيل ٣٤٧
- * هذا هو الوفاء وتلك هي الكرامة ٣٤٨
- * أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ٣٤٩
- * سمية بنت خباط (أم عمار) رضي الله عنها ٣٥٠
- * أم ورقة بنت الحارث رضي الله عنها ٣٥١
- * وحن وقت الرحيل ٣٥١
- * الغامدية رضي الله عنها ٣٥٣
- * السيدة الربانية الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنية
- (رحمها الله) ٣٥٤
- * معاذة العدوية (رحمها الله) ٣٥٤
- * رابعة العدوية (رحمها الله) ٣٥٦
- * راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوى (رحمها الله) ٣٥٧

الموضوع

الصفحة

- * رقية بنت عبد الله مُعَن الأندلسي «الولية الكاملية العلية»
 ٣٥٨ (رحمها الله)
 * عابدة تموت من خشية الله (جل وعلا) ٣٥٩
 * عابدة تموت شوقًا للقاء الله (جل وعلا) ٣٥٩
 * عابدة تخر ميتة لما رأت الكعبة ٣٦٠
 * «وجارية تتعلق بأستار الكعبة تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت» ٣٦١
 * حكاية ياسمين ٣٦١
 * دموع الفراق ٣٦٩
 * ماتت في ليلة الزفاف ٣٧٦
 * في أعلى الجنة ٣٧٨
 * ورحلت نورا ٣٨١
 * ومسك الختام أمى الحبيبة (رحمة الله عليها) ٣٨٥
 * دعوة مستجابة ٣٨٧
 * الفهرس ٣٠٠